مذكرات

الجزء السادس

تحقيق

د. عبد العظيم رمضان

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢
أ.د/عبد العظيم رمضان
القاهرة

سـعد زغلول

الجزء السـادس

قام بقراءة هذه الكراسات :

سامى عزيز

محمد حجازى

ايزيس راغب

استر غالى

نبيلة الدسوقى

الإخراج الفنى

هاشـــم الأشمونى

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مذكـــــرات
سعد زغلول

الجزء السادس

تحقيق

د . عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

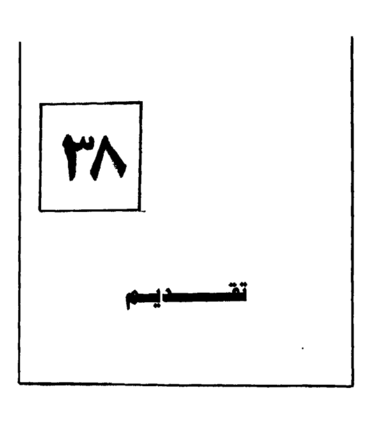
١٩٩٣

ويل لى من الذين يطالعون

من بعدى هذه المذكرات !

سعد زغلول

كراس [٢٨] صفحة ١٥٨١



يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذا الجزء من مذكرات سعد زغلول ، وهو الجزء السادس ، ويتناول الفترة من ١٣ سبتمبر ١٩١٦ إلى ٢٥ نوفمبر ١٩١٧ ، أى أربعة عشر شهرا تقع فى صميم الحرب العالمية الأولى . وهى فترة حرجة زادت فيها سلطة الحماية تحت ظروف الحرب إلى مدى لم تبلغه من قبل ، وتضاءلت سلطة السلطان حسين وحكومته الى ما لم تصل اليه ، وانتقل العرش من يد السلطان حسين الى يد السلطان أحمد فؤاد ، كما تغير المندوب السامى السير هنرى مكماهون وحل محله السير ريجنالد ونجت .

وفى هذه الفترة برزت ظاهرة التعذيب والفساد مع زيادة وطأة الحماية البريطانية ، وزاد التدخل فى المحاصيل الزراعية لحساب الجيش الانجليزى ، ووصل تدخل السلطة العسكرية فى حياة الشعب المصرى الى حد اجباره على الحج الى بيت الله الحرام ! وارغام الأثرياء على التبرع للمحتاجين من الحجاج ، لاظهار الدعم لثورة الشريف حسين !

وفى هذا الجزء يرسم سعد زغلول صورة صادقة لما كان يجرى على مسرح السياسة المصرية ، ويكشف ما خفى عن الجماهير من أسرار ، من واقع معايشته اليومية لرئيس الوزراء حسين رشدى باشا والوزراء والأمراء والكبراء ، ومقابلاته للسلطان ، كما يبرز العلاقات المتشابكة بين الوزراء ، ومشاعرهم تجاه بعضهم البعض ، وعلاقاتهم بسلطات الحماية ، ومشاعر الغضب التى كانت تحتاج طبقة كبار الملاك والأعيان تجاه الاحتلال بسبب سياسته الاقتصادية التى كانت تضر بمصالحهم . كما يكشف مشروعات الاتفاق بين مصر وبريطانيا التى وضعتها حكومة حسين رشدى باشا ووضعها الوطنيون وعلى رأسهم سعد زغلول .

هذا فضلا عن حياة سعد زغلول الخاصة ، ومونولوجاته اليومية المثيرة التى ينقد نفسه فيها ويلومها ويعنفها بقسوة لسقوطه فى رزيلة لعب الورق ، وتأثير ذلك على حياته الاقتصادية . كما يقدم لنا من خلال نشاطه الاقتصادى صورة من حياة أحد كبار الملاك فى ذلك العصر ، وهو يقود العملية الانتاجية فى أطيانه ، وما يقاسيه من قلق وتوتر وحركة لا تهدأ ومشاق ، وبذلك يتيح الفرصة للقارىء المقارنة بين هذه الصورة وبعض صور الرأسمالية الطفيلية الحالية فى مصر ، وهى تكسب بالمليارات من الجنيهات دون مشقة أو تعب ، أو بالنصب على الجماهير وخداعها .

والجزء الحالى يضم الكراسات ٣١ و ٢٩ و٢٧ و ٣٠ وفقا للترتيب الزمنى للكراسات وليس للترتيب الرقمى . ومع ذلك فقد أعدنا تقسيم هذه الكراسات لتداخل أحداثها زمنيا ، فصارت على النحو الآتى : ٣١ جـ ١ ، ٢٩ جـ ١ ، ٢٧ جـ ٢ ، ٢٩ جـ ٢ ، ٣١

٢٢٩٩
جـ ٢ ، ٢٩ جـ٣ ، ٣٠ جـ ٣ ، وذلك لسلاسة الانتقال من أحداث الى أحداث ، ولأن سعد زغلول كان يجعل فى كل بلد يقيم فيه كراسة لتسجيل الحوادث فيها أولا بأول . فكانت هناك كراسة فى بيته فى القاهرة ، وكراسة فى عزبته بمسجد وصيف ، وكراسة فى عزبته بدسونس بدمنهور ، مما أدى إلى تداخل الحوادث والتواريخ بين الكراسات .

وفى هذا الجزء نرى سعد زغلول ، الوطنى الغيور على حريات الشعب المهدرة ، والغاضب لخضوع الحكومة المصرية لسلطات الحماية وعجزها حتى عن تعيين عمدة ! أو إنصاف مدير مديرية فصلته ظلما ! وهو يواجه رئيس الحكومة والوزراء بالنقد الشديد . كما نقرأ كثيرا من المواعظ والحكم والنصائح التى اعتاد سعد زغلول أن يوجهها الى نفسه فى مذكراته اليومية!

كذلك نقرأ فى هذا الجزء فصلا مثيرا من حياة سعد زغلول الخاصة ، وتأزم علاقاته بزوجته السيدة صفية زغلول بسبب لعب الورق ، كما نرى حنينه إلى طفل ينجبه ، وقد حرم منه بسبب عقم زوجته . وفى هذا الجزء يبدى رغبته فى الزواج سرا ، ويشكو من عقوق أفراد أسرته ، واضطراب علاقاته بعديله محمود صدقى باشا .

ولسنا فى حاجة الى القول بأننا اتبعنا فى تحقيق هذا الجزء المنهج نفسه الذى اتبعناه فى الأجزاء السابقة ، وذلك بتقديم صورة طبق الأصل من المذكرات ، واثبات ما خفى علينا قراءته من الكلمات فى الحواشى ، مع تقديم الاجتهاد اللازم لما غمض علينا قراءته من واقع السياق ، لمساعدة القارىء على متابعة النص .

٢٣٠٠

وقد آثرنا ابقاء شكل الكلمات كما كتبها سعد زغلول ، مثل أن لا ، بدلا من ألا (قبل الفعل) ، والدوكتور بدلا من الدكتور ، وأفريل وأكطوبربدلا من ابريل وأكتوبر - وان كنا نلاحظ اختفاء الشكلين الأولين تدريجيا - ومسئلة بدلا من مسألة .

كما عملنا على توضيح النص بعلامات الترقيم التى تخلو منها كلية كتابات سعد زغلول ، وبدونها يستحيل فهم النص .

وقد اتبعنا فى ترقيم صفحات الكراسات نفس المنهج الذى اتبعناه فى الأجزاء السابقة ، من ناحية وضع الأرقام وسط كلمات السطور طالما كان الكلام لا يتطلب ابتداء فقرة جديدة ، مع تمييز رقم الصفحة ببنط أكبر من بنط الكتاب ، وذلك حتى لا ينقطع سياق الكلام بدون مبرر .

كذلك وقفنا بهذا الجزء عندما رأيناه مناسبا لحجم كتاب ، ولم نقف به عند حدث معين ، لتداخل الأحداث من جهة ، ولأننا أردنا ألا نعطل القارىء المتتبع لمذكرات سعد زغلول طويلا عن قراءة أجزاء المذكرات أولا بأول ، وتزويده بجرعة مناسبة من هذه المذكرات الهامة كلما فرغنا من تحقيقها .

وجريا على ما رسمناه فى الأجزاء السابقة ، فقد صدرنا كل كراسة من هذا الجزء بأهم محتوياتها من الموضوعات التى عالجها سعد زغلول والمقابلات التى أجراها ، واختتمنا الكتاب بكشاف تفصيلى للأعلام والهيئات والبلاد والأماكن والحوادث والدوريات ، فضلا عن فهرس تفصيلى بكل ما احتوته المذكرات التى ضمها هذا الجزء .

وقد تطلب منى تحقيق هذا الجزء الرجوع الى عدد كبير من المصادر والمراجع المصرية والأجنبية ، فضلا عن خلفيتى التاريخية

للأحداث التى كانت على الدوام خلف قراءة ما غمضت قراءته على الباحثين من كلمات أو عبارات . كما قدمت تعليقاتى التاريخية وانطباعاتى الشخصية عن بعض الجوانب الانسانية فى شخص سعد زغلول ، وقمت بالترجمة للشخصيات التى ورد ذكرها فيما تقتضى الحاجة الاشارة اليه ، مع احالة القارىء إلى الحواشى المتعلقة بها فى الأجزاء السابقة للاستزادة .

وقد اتبعت فى ترقيم صفحات هذا الجزء المنهج نفسه الذى اتبعته فى الأجزاء السابقة ، التى تحمل ترقيمين : أحدهما خاص بالجزء ، والآخر ترقيم عام للمذكرات يبدأ بما انتهى اليه الجزء الخامس من ترقيم .

ولعلى بذلك أكون قد ساعدت قارىء العربية على التفاعل مع هذه الشخصية العظيمة ، التى لا مثيل لها فى طول التاريخ وعرضه فى شجاعتها وجرأتها على كشف مكنون أسرارها وخفايا ضعفها الانسانى ، فى اعترافات مكتوبة مؤثرة يحجم عن ابدائها شفاهة أى فرد - حتى فيما بينه وبين نفسه! ولكنها وسيلة سعد زغلول الفريدة فى تقويم نفسه واعدادها لدور الزعامة الخالدة فى حياته ، عندما قاد ثورة شعب أعزل فى حركة هى أكثر حركات التحرر الوطنى تأثيرا فى شعوب العالم الثالث بعد الحرب العالمية الأولى .

وفى النهاية لا أملك الا أن أوجه خالص شكرى وتقديرى للدكتور سمير سرحان ، رئيس هيئة الكتاب ، الذى صدرت فى عهده الأجزاء الخمسة السابقة ، وأشكر الأستاذة سميرة عرابى ، وكيل الوزارة ورئيس الادارة المركزية لشئون المطابع بهيئة الكتاب ، التى قدمت رعايتها ومساندتها وكافة الامكانات الفنية اللازمة

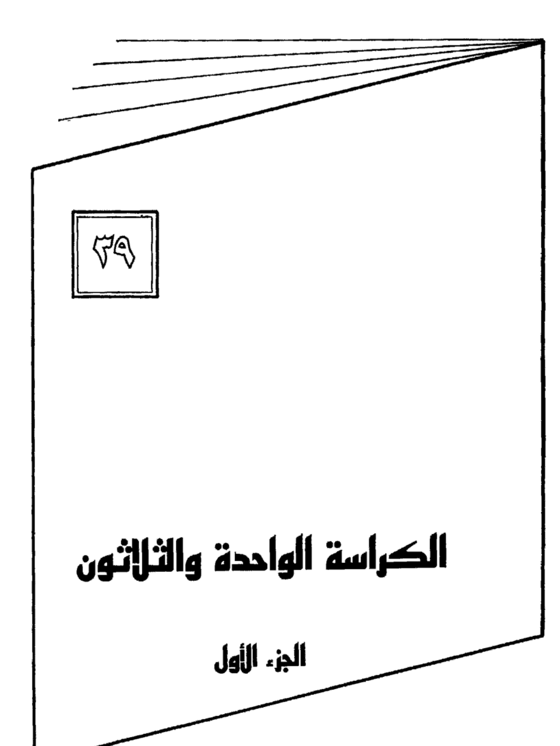
٢٣٠٢

لاخراج الكتاب بهذه الصورة المشرفة ، كما أشكر مجموعة الباحثين وعلى رأسهم الأستاذ سامى عزيز لما بذلوه من جهد ومشقة ، سواء فى القراءة الأولى أو المراجعة أو عمل الكشافات ، وأدعو الله تعالى أن يبارك هذا العمل العلمى الذى قصد به وجهه الكريم ونفع أمتنا والله الموفق . ،

أ . د . عبد العظيم رمضان

رئيس اللجنة العلمية المشرفة على

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



٣٩
الكراسة الواحدة والثلاثون
الجزء الأول

الكراسة الواحدة والثلاثون

الجزء الأول

من ص ١٦٩٩ - ص ١٧٣٩

من ١٣ سبتمبر ١٩١٦

الى ١٣ ديسمبر ١٩١٦

المحتويات :

- سقوط سعد زغلول عن ظهر حماره .
- الخلاف بين عبد الرحيم باشا صبرى وبين أخت زوجته وابنه .
- تحديد بورصة اسكندرية ثمن القطن ، وتدخل الحكومة بالشراء ، ورأى سعد زغلول .
- ثورة شريف مكة على الدولة العثمانية .
- انجلترا تحمل الحكومة المصرية على ارغام المصريين على الحج !
- غضب السلطان حسين على عثمان باشا مرتضى .
- مأمورو الادارة يجبرون الأهالى على التبرع للحجاج !
- سعد ولعب الورق .
- رفض سعد زغلول الاشتراك فى حفلة قيام المحمل .
- حكم سعد زغلول

٢٣٠٦

- مباشرة سعد زغلول زراعة القطن
- حديث سعد زغلول عن رتيبة ابنة أخته ، وتوأميها مصطفى وعلى أمين .
- سوء علاقة سعد زغلول بعديله محمود باشا صدقى .
- السلطان يقيم حفل توديع للحجاج بأمر الانجليز !
- تأليف لجنة احتفال لتوديع جراهام مستشار الداخلية .
- السلطان يمنع الأمير عمر طوسون من عقد اجتماع للاحتجاج على قرار ضد مصلحة البلاد !
- سفر سعد زغلول الى دمنهور لتفقد المبنى الجديد الذى أقامه فى عزبته .
- مقارنة يعقدها سعد زغلول بين « شيتى » و« جراهام » مستشارى الداخلية .
- سعد زغلول ينتقد نسيان المصريين لعرابى ومصطفى كامل ورياض باشا ، ويعتبر هذا النسيان من أعراض موت الأمة وانحلالها .
- ذكريات سعد زغلول عن والده وأسرته .
- سعد يعلن أنه اختار العزلة ، وينقد الحياة العامة فى مونولوج طويل .
- مرض السلطان حسين ، وتعليق سعد زغلول على موته المحتمل .
- حديث بين يونانى وسعد عن العلاقة بين اليونان والصرب أثناء الحرب .
- حديث رشدى مع سعد عن مرض السلطان ، وعن الوزراء وخلافاتهم .

٢٣٠٧

ـ مقابلة سعد مع البرنس أحمد فؤاد .
ـ محاسبة سعد نفسه على لعب الورق .
ـ خبر تعيين السير ريجنالد ونجت مندوبا ساميا فى مصر وسرور سعد لهذا الخبر .
ـ تردد سعد بين مسجد وصيف ودمنهور لمباشرة زراعاته .
ـ رأى سعد فى المنفلوطى وحافظ عوض .

[ص ١٦٩٩]

يوم ١٠ ذى القعدة ١٣٣٤ ، ١٣ سبتمبر ١٩١٦

فى هذا اليوم وضعت المكتب فى هذا المكان من قاعة المائدة[١] ، ووضعت فيه الأوراق التى كانت منثورة هنا وهناك ، وابتدأت أن أقيد فيه الحوادث اليومية التى تمر بى سواء كانت متعلقة بى أو عامة[٢] :

فى يوم الاثنين ١١ منه

كنت عائدا من الغيط على حمار ، وخلفى محمود باشا صدقى على حمارة ، فعثر بى حمارى ، وهوى إلى الأرض ، فهويت معه . ثم أردت النزول فلم أستطع ، حيث انقلب الحمار علىّ وجاءت رجلى تحته ، فتألمت . ثم أدركنى مَنْ خلفى ، وأعانونى على النهوض ، وسندنى صدقى باشا بضع خطوات . وكان الألم شديدا ، ثم خف ، وأمكننى أن أسير وحدى الى المنزل ، حيث جلست برهة ، ثم انصرف محمود باشا ، فتبعته الى باب الدوار ، وعدت من غير أن

---

(١) قراءة تقريبية .

(٢) كان سعد زغلول يقيم فى عزبة مسجد وصيف ، التابعة لمركز زفتى بمديرية الغربية ، وهى التى ورثتها زوجته صفية زغلول عن والدها مصطفى فهمى باشا بعد وفاته فى سبتمر ١٩١٤ . وكان مصطفى فهمى قد خلف ثلاث بنات أوقف عليهن أطيانه وقدرها ٦٤٨ فدانا تقريبا بناحية مسجد وصيف ، احداهما زوجة سعد زغلول ، والثانية زوجة اسماعيل باشا سرهنك ، والثالثة زوجة محمود باشا صدقى .

وقد أمضى سعد وأسرته الفترة من ٧ إبريل إلى ٦ أكتوبر سنة ١٩١٦ فى عزبة مسجد وصيف . وكتبت هذه الكراسة هناك .

أشعر بشديد ألم . ولكنى بعد أن تمشيت شعرت بتزايد الألم ، وأحسست بعسر حركة الرجل اليسرى ، فصعدت السلم بكل صعوبة ، وألقيت بنفسى فى السرير .

ولكنى لم أنم طول ليلى ، لشدة الألم ، وعجزى عن قبض رجلى وبسطها ، فأرسلت فى إحضار برسوم المجبر ، وقيل لى إن بناحية دقدوس[٣] مجبرا ، فأرسلت فى البحث عنه ، فحضر فى الساعة ١ بعد الظهر ، وطمننى ، ثم دلكها بسائل كان معه فى زجاجة ، وربطها ، وقال : إن المشى أحسن لها ، وإن الحركة تبدأ أن تعود لها بعد يومين ، وإنه سيعود هو للغيار بعد باكر - أى يوم ١٤ منه - الساعة ١ صباحاً .

وبعد انصرافه شعرت بألم الى الساعة الخامسة ، حيث خف الألم ، وبدأ التحسن بعده ، فاستطعت أن أحرك رجلى بالقبض والبسط بعض الحركة ، وان كانت خفيفة جدا . ولكن التحسن

---

(٣) دقدوس أو دقادوس بلدة تابعة لمركز ميت غمر ، وهى بلدة الشيخ متولى الشعراوى ، وبلدة صاحب هذا القلم ولولا هذه الصلة لاستحال قراءة هذه الكلمة ! ففى بلدة دقادوس عائلة الهَبَل ، وهى عائلة متخصصة فى تجبير العظام ، وكانت ذات شهرة مدوية فى ذلك العصر الذى كان الاعتماد على أطباء العظام نادرا .

وهذه البلدة قريبة من بلدة مسجد وصيف التابعة لمركز زفتى بالغربيةوالتى أقام بها سعد زغلول وأسرته من ٧ إبريل إلى ٦ أكتوبر ١٩١٦ ، وكان لزوجته صفية زغلول أرض بها ورثتها عن والدها مصطفى فهمى باشا الذى كان له بناحية مسجد وصيف ٦٤٨ فدانا أوقفها عليها وعلى شقيقتيها المتزوجتين من كل من محمود صدقى باشا واسماعيل سرهنك باشا . وكان سعد زغلول قد بنى بها منزلا انتقل إليه فى ١٢ نوفمبر ١٩١٥ - كما ورد فى مذكراته فى الجزء الخامس .

٢٢٣١٠

استمر بحمد الله الى الآن الظُهر ، حيث أمكننى أن أُحركها حركة واسعة .

ولقد زارنى أمس محمود باشا ، ومكث طويلا ، وكان معه السباعى ، وأعجب بسلم المنزل ثم حرم الأول ، وكلٍ من كنَّ نازلة[٤] عنده . وكنا دعوناهم أن يتناولوا الغدا اليوم ، ولكن حصل الاتفاق على أن يكون عشاء . وقد ارتحت إلى هذا التغيير ، لأننا كنا سمعنا بقدوم إسماعيل باشا سرهنك ظهر هذا اليوم ، ولا نريد أن يتلاقيا عندنا لما بينهما من الخصام .

جاءوا بعد الغروب ، وكان عندنا باشمهندسا الغربية والمنوفية ، وخليل باشا فوزى ، وعباس أمين[٥] . [ص ١٧٠٠] وبعد هنيهة انصرف هؤلاء ، ثم تعشينا ، ومكثنا نتحادث . وكان موضوع الحديث الخلاف ما بين عبد الرحيم باشا صبرى[٦] وأخت زوجته ، ثم بينه وبين ابنه حسين . وكانت زكية[٧] متحاملة عليه كل التحامل ، ولكنى كنت أدافع عنه ، وعلت أصوات المناقشة من غير

(٤) هكذا فى الأصل : والأصح : نازلات

(٥) عباس أمين هو ابن أمين باشا سيد أحمد

(٦) عبد الرحيم باشا صبرى كان مدير المنوفية ، وقد توفيت زوجته فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٥ ، ثم عين وزيرا للزراعة فى وزارة حسين رشدى باشا التى تألفت فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، وبعد ثلاثة أيام ، أي فى ٢٤ مايو ١٩١٩ عقد السلطان فؤاد الأول قرانه على ابنة عبد الرحيم باشا صبرى ، نازلي ، التى أصبحت حضرة صاحبة العظمة السلطانية نازلى . وكانت قد راجت إشاعة بأنها رفضت الاقتران به بعد أن خطبها بسبب طلبه من الانجليز حرسا لحمايته من غضب الأمة .

(٧) أخت حرم عبد الرحيم باشا صبرى .

ما نعهده ، وقد أكثرت من قولها إنها لا تقبل كذا وكذا ، ولا تسمح بكذا ، وتتبرم وتحتد . وكنت ألاطفها وأهدئها .

وفي أثناء الحديث قالت : لماذا يضطهدون الشبان وهم يعملون أقبح منهم ؟ ثم إنهم يموتون ويتركون لآبائهم أموالهم يتمتعون بها ؟ ويظهر أن ذلك أغضب قرينها ، فقطع الحديث وقال : هيا بنا نعود الى منزلنا ! قال ذلك بهيئة تدل على الغضب ، وخرج من غير أن يسلم على سيدة البيت ، ولكن حرمه سلمت عليَّ مرتين ، وكانت أبسط منه وجها ، وألطف قولاً .

أخبرني إسماعيل سرهنك أن « وتسن باشا »[٨] قال لـه أول أمس : إن مستر جراهم[٩] سيعين في وظيفة سياسية بـإنكلترا ، وما رأيك فيمن يخلفه ؟ قال له : إنك بأشخاص الانكليز أعلم !

بتاريخ (   )[١٠] أصدرت لجنة إدارة بـورصة إسكندرية قرارا بأن لا يزيد ثمن القطن في الكونتراتات عن ثلاثة وعشرين ريالا إلى غاية ٢٠ سبتمبر !

فتكدر الناس - وخصوصا المزارعين - من هذا القرار ، واحتج أغلبهم عليه في الجرائد . وأخذت الحكومة تنظر في الأمر ، وبعد

---

(٨) الجنرال وطسن Watson قائد الحامية البريطانية في مصر .

(٩) مستر جراهم Ronald Graham هو المستشار الانجليزى لوزارة الداخلية حتى ١٦ أكتوبر ١٩١٦ ، حيث خلفه جيمس هينز James Haynes حتى ديسمبر ١٩١٩ .

(١٠) بياض في الأصل ، وواضح من السياق أن التاريخ في شهر سبتمبر ١٩١٦ .

مضى (   )[١١] يوما ، قررت أن تشترى هى مقدار ٨٧ سبعة وثمانين ألف قنطار قطنا ، الذى هو على المكشوف ، بسعر أزيد من سعر الأمريكانى بمبلغ تسعة ريال عن كل قنطار . وكان الفرق بين سعرى[١٢] النوعين سبعة فقط ، وإن ما تدفعه الحكومة من الفرق يتحمله السماسرة بفائدة خمسة فى المائة ، وهو عادة من رسم يضربونه على العمليات التى تجرى فى البورصة باعتبار مليم واحد عن كل قنطار . وقبل ذلك السماسرة ، وعادت الأعمال فى البورصة إلى مجاريها ، وأخذت الجرائد تصوغ[١٣] حملة المدح والثناء للحكومة على هذا الحل ، وخصت بالنصيب الأوفر منه المستشار المالى ورئيس الوزراء .

ولكنى أنتقد الحكومة من الأوجه الآتية : أولا ، تباطؤها فى هذا الحل حتى مضى (   )[١٤] كان يمكن أن تصعد فيه الأسعار إلى حد عظيم بسبب صعودها فى أميركا وليفربول

ثانيا : أنها حمَّلت نفسها حِملاً ليس عليها أن تحمله تخفيفا عن قوم من المضاربين خاطروا بأموالهم ضد مصلحة البلاد [ص ١٧٠١] لأن نزول الأسعار الذى كانوا يسعون إليه يضر بأرباب المحصولات القطنية ، ولا يفيد غير الأجانب الذين يحتاجون

---

(١١) بياض فى الأصل .

(١٢) فى الأصل : « سعر » .

(١٣) فى الأصل : « تصيغ » وهو خطأ لأن الفعل من صاغ يصوغ .

(١٤) بياض فى الأصل ، ويمكن أن تحل محله هذه الكلمات : « وقت كاف » ويكون معنى العبارة إن الحكومة تباطأت فى شراء القطن بالأسعار الزائدة حتى مضى وقت كاف لصعود الأسعار بسبب صعودها فى بورصة أمريكا وليفربول .

إلى شراء هذه المحصولات . فهؤلاء القوم لا يستحقون أن تعينهم الحكومة ، وليس لهم إلا أن يعودوا باللوم على أنفسهم .

ويظهر لى أن قرار لجنة البورصة مخالف للنظام العام الذى يقضى بحرية التجارة ، ويعاقب على كل عمل من شأنه تعطيل المزادات العمومية.فكان على الحكومة أن تستعمل سلطتها فى إبطال هذا القرار .

وعلى فرض أن لا يكون لها فى ذلك حق فى الأحوال العادية ، فإن حقها فى زمن الأحكام العرفية غير محدود بحد ، فكان لها أن تستعمله محافظة على الثروات التى للبلاد .

ثالثا : لأن تحملها بما تحملت به توسلا لإلغاء ذلك القرار ، اقرار لحق اللجنة فى إصداره ، وواجب الحكومة فى إحترامه ! وهذا خطر كبير ، لأنه يجعل فى يد لجنة غير مسئولة وصاحبة غرض سلطة التصرف فى أهم شىء يتعلق بالثروة العامة .

ولقد تقوّل الناس كثيرا فى هذا الشأن بعد قرار الحكومة وقبله ، وتكاد الآراء تكون متفقة على أن الحكومة لم تكن أجنبية عن قرار لجنة البورصة ! ومهما كان ، فإن تصرف الحكومة فى هذه المسئلة لايتفق مع مصلحة الجمهور.ولا مع وظيفتها الحقيقية .

١٥ سبتمبر سنة ١٩١٦

أعلن شريف مكة إستقلاله عن الدولة العلية ، وحارب رجالها الذين كانوا فى مكة وجدّة والطائف ، واستولى على مراكز الحكومة فى هذه المدن وزحف على المدينة وحاصرها ، ولكنها إلى الآن لم تسقط فى يده . وقد نشر منشورات أن الأسباب التى حملته على الخروج على

الدولة هى[١٥] ترجع إلى إستخفاف لجنة الإتحاد والترقى ، القابضة على زمام الأحكام فى الدولة ، بالأمور الدينية ، وارتكابها ظلم الرعية ، وقتل الأبرياء من بنى العرب فى سورية .

ويؤكدون أن الحكومة الإنكليزية تشد أزره فى هذا الإستقلال ، وتمده بالمعونة من المال والرجال والذخيرة بواسطة الحكومة المصرية .

ورأت الحكومة الإنكليزية أن تؤيد فى الإسلام دعوته ، وتنصر رايته ، وتعمل ما فيه تمكين تبعيته ، لكى يكون خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، فترتبط به قلوب المسلمين فى سائر الأقطار ، وتنصره على سلطان بنى عثمان ، فلا يكون للترك فى البلاد الإسلامية نفوذ ، وتمحى سطوتهم الدينية من النفوس .

ولهذه الغاية جعلت الحكومة المصرية[١٦] تسهل الحج على الناس فى هذا العام ، بعد أن كانت تضيق الطريق [ص ١٧٠٢] عليهم فى كل عام ، بما تضعه من الشروط الصعبة ، وما تضْربه من الحجر الصحى طويل الأمد ، شديد النطاق . وحملتها أن تسير على نفقتها للحج كثيرا من العلماء وطلبة العلم ، وأن توعز لمأموريها فى الأقاليم أن يُرغبوا الناس فيه ، ويشوقوهم إليه بكل الوسائل .

وبلغنى أن بعض العلماء ، وهو - كما قيل - الشيخ الظواهرى شيخ الجامع الأحمدى ، كان تورط بحضرة السلطان ، وقبل أن يكون ضمن الحجيج ، ثم اعتذر . فسيئت معاملته ، وأشعر

(١٥) فى الأصل : وهى .

(١٦) أى : حملت الحكومة الانجليزية الحكومة المصرية . وكلمة « جعلت » هنا ، معناها حملت ، أو أرغمت .

بغضب السلطان منه . وكان رشدى باشا أولا ، ثم السلطان ثانيا ، هما القائمان[١٧] بأمر الترغيب فى الحجيج .

شاع من أيام أن عظمة السلطان عفا[١٨] عن عثمان باشا مرتضى[١٨م] ، وأرسل إلى أهل بيته رسولا من عنده يبشرهم بعودته . فانقلب حزنهم على وفاة زوج إبنته فرحا ، وعلت الأصوات بالدعاء للسلطان . ولكن إشاعة انتشرت بعد ذلك أن عفو السلطان عطلته السلطة العسكرية ، لأنه لم يراجعها فيه قبل إصداره . ولكن يظهر أن هذه الإشاعة كاذبة إذ أن أهل الخير سعوا فحلوا العفو عن الاعتقال ، لأن المقطم نشر حديثا أن الباشا المشار إليه عائد قريبا بإذن الله .

لم أنم أمس نوم الراحة ، وشعرت بعودة شىء من الألم وعسر الحركة إلى رجلى ، ولكنى مع ذلك ذهبت إلى الغيط ، وأعدت على القطن النظر ، فوجدت أن أغلب اللوز (. .)[١٩] مصاب بما يزيد على الثلث .

قال لى سعيد[٢٠] إنه كان فى الليلة التى قدم فى ظهرها إلينا ، وحتى مساء الثلاث ١٢ سبتمبر ، بمنزل عاطف مع صدقى وبهى

---

(١٧) فى الأصل : « القائمين » .

(١٨) فى الأصل : « عفى » .

(١٨ م) كان يشغل منصب « السر تشريفاتى خديوى » فى عهد عباس حلمى الثانى ، وعندما خلع عباس وعين الأمير حسين كامل سلطانا ، انضم إليه هو والشاعر أحمد شوقى ، وطعن على عباس ، وأشيع نفيهما إلى اسبانيا ، ثم تقرر اعتقاله .

(١٩) كلمة غير مقروءة ، والأرجح أنها : « المغمض » !

(٢٠) سعيد زغلول ، ابن اخت سعد زغلول .

الدين . وإنه ذكر إلى صدقى وبهى الدين خبر وقعتى ، ودعوتى إلى برسوم المجبر ، ثم إرسال تلغراف بالعدول عن هذه الدعوة . ولكن لم يرد لى من واحد منهما خبر ، ولم يكلفا سعيد بأن يخبرهما عنى بشىء ! فلم أستغرب ذلك منهما ، ولا اهتممت به إلا من جهة ما يجب أن أعامل القصور(٢١) فى نفسى .

[١٧٠٣]

فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

بالأمس زارنى محمد بيك حتاتة ، وعلمت منه أن مأمورى الإدارة يحملون الناس على أن يحجوا ! ويحملون الأهالى على أن يدفعوا إعانة لمن يحجون ! وأن مأمور مركزهم عرض عليه قائمة بأسماء الذين تجب الإعانة عليهم ، واسمه فى رأسهم ، فاكتتب بمبلغ ثمانية عشر جنيها قيمة تحجيج نفرين !

وأخبرنى محمود باشا صدقى أن سباعى بيك أخبره أن مأمور مركز زفتى جمع من المركز مائة وسبعين جنيها ، وانه هو دفع منه تسعة جنيهات(٢٢)

ونشرت جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ اليوم، أن الأهالى يقبلون على الحج فى هذا العام إقبالا عظيما ، وأنه اجتمع من مديرية الدقهلية وحدها مائة وسبعون ، وأن عظمة السلطان تبرع بمبلغ مائتين وخمسين جنيها(٢٣) إعانة لعشرين عالما وطالب علم على الحج ، وأنه حجج ١٤ نفرا من أملاكه فى جبارس .

(٢١) قراءة تقريبية ، وقد تقرأ : « التصور » .
(٢٢) أى قيمة تحجيج نفر واحد ! وهى قراءة تقريبية .
(٢٣) فى الأصل : « جنيه » .

ويؤخذ على الحكومة تداخلها فى هذه المسئلة ، وتداخلها على هـذه الصورة ! لأن حمـل الناس عـلى أن يفعلوا ما لا ينـطبق على عقيدتهم من جهة ، وتحميل غيرهم بنفقتهم ، غاية فى التحكم فى الضمائر وظلـم النفوس . وفى الطريقة التى تُجمع الأموال بها تسهيل عظيم لذوى الطمع من المأمورين أن يجمعوا لأنفسهم - باسم هذه الإعانة - ما الناس فى حاجة إلى أقل منه ، خصوصا فى هذا الزمن العصيب .

كل ذلك والمقربون من ولاة الأمور يروجون هذه السيـاسة ، ويعدون الموافقة عليها حكمة وحسن تصرف !

قاتل الله الحسد ، ما أحرقه للصدور ، وما أقل راحة من تمكن من نفسه !

إذا فعل منافسك ما يقصد به إغاظتك ، فلا أحسن من سرورك به ، لأن فيه راحة لك وكمدا له !

لا تطمع أن تعلو فى قوم سفلوا !
أنكد العيش عيش الحى فى الأموات !

[ص ١٧٠٤]

لا يـزيد الـظلم النفوس الكـريمة إلا كـرامة ، ولكنـه يسلب الضعيفة عزتها .

أعجب لقوم يتخيلون راحتهم فى التعلق بغيرهم !

فى ١٨ سبتمبر

قضيت أمس ليلة قلقة . فقد زاد فيها ألم رجلى ، فأرقت ، ولم أذق النوم إلا فى الساعة الثالثة . ومع ذلك فقد أصبحت غير منقبض الصدر .

قال لى صدقى باشا[٢٥] أمس ، تحت الخيمة التى نصبها فى زراعة قطنه ليراقب فيها حركات جنيه - بلا مناسبة - ما نصه : « يظهر أنهم خصموك[٢٦] فى اسكندرية فخسرت كثيراً » !

قلت : إن هذا لا حقيقة له ! قال : إنهم يقولون إنك كسبت ثم خسرت كل ما كسبت ، وفوقه مبلغ ألف ومائة جنيه ! قلت : لا حقيقة لذلك ، وما أضعت أزيد مما كسبت ! وكررت هذه العبارة بصوت شديد بغية التأكيد . فسكت ، وخضنا فى حديث غيره . وانما قال ذلك شامتاً ، لا أشمته الله .

ولكن لا تلمه ولُم نفسك ! فإن من أراد أن لا يعيبه الناس ، عليه أن لا يفعل ما يعاب ! ولكنه إذا حاول بعد الوقوع فى الغلط أوالخطيئة أن يسكت أعداءه عنه ،[٢٦م] فقد حاول محالا !

ويلوح لى أن السلطان هو الذى أخبر صدقى باشا ، وهذا أخبر طلعت باشا ، وهو أخبر صدقى بيك الذى قال لعاطف ذلك ، وعين له نفس المبلغ الذى ورد فى حديث صدقى باشا ![٢٧] .

أجمعت الجرائد على أن السلطان سيرأس فى هذا العام حفلة قيام المحمل ، وأن كثيرا من العظماء والكبراء سيكونون فى هذا

---

(٢٥) يقصد : محمود صدقى باشا ، عديله .

(٢٦) قراءة تقريبية .

(٢٦ م) فى الأصل : أعداءها عنها ، وصحتها ما أوردناه فى المتن .

(٢٧) هذا الحديث كله يدور حول لعب الورق ، الذى كان سعد زغلول يقاوم الميل إليه فينتصر ، ثم يتغلب عليه ضعفه فيعود إليه ، ولكنه يقاوم من جديد عن طريق زجر نفسه زجرا شديدا كما هو واضح مما كتبه فى المتن .

٢٣١٩
الاحتفال . وبناء عليه سيحضر من اسكندرية يوم الأربع القادم ٢٠ الجارى .

وليس فى نيتى الذهاب ، لأن القصد من هذا الإحتفال ليس إظهار عظمة الإسلام كما كان ، بل ضعته وتصغيره ! ومرض رِجلى أصلح عذر لهذا التخلف .

أفعل ذلك لا رغبة فى تعطيل هذه الحفلة ، لأنى أعلم أنه لا يتجرأ على التخلف عنها حتى أكثر الذين يعتقدون فيها ما أعتقد ! ولكن لكى لا أخالف ضميرى وأشترك فى حفلة لم يحصل الإهتمام بها إلا لغاية أجنبية عن مصر ، وربما لا تفيد غير [ص ١٧٠٥] الطامعين فيها .

إنى ، ولا طمع لى فى منصب أرقى إليه ، ولا فى مسند أتقلده – لا ينبغى لى أن أتنازل عن حريتى ، وأباشر أى عمل يكون فيه ضرر بأمتى – ماديا كان أو أدبيا – فإن مالت نفسى إلى شىء من ذلك ، حقت علىّ اللعنة إلى يوم الدين .

يلزمنى ، بناء على ذلك ، أن أكون بعيدا عن الرسميات والرسميين ، ما استطعت لذلك سبيلا . يعنى أن أمضى أغلب الأيام هنا ، وبعيدا عن المنافقين .

سعادة الحياة فى الصداقة الصادقة ، فمن لم يكن له أصدقاء فهو أشقى الأشقياء .

يظهر أن الصداقة يندر انعقادها زمن الشيخوخة : إما لأن تجارب الشيوخ تقلل ثقة[٢٨] الناس بعضهم ببعض ، أو لأن البقية الباقية من أعمارهم لا تتسع لاكتسابها ، أو للأمرين جميعا .

(٢٨) وقد تقرأ : « صلة » .

٢٣٢٠ ويحسن بالذى فقد أصدقاءه ، ولم يكن له ولد يرجوه ، ولا امرأة يعشقها ، ولا وطن يسعى فى رفع مناره ، ولا آخرة يعمل لها - أن يرحل عن هذه الحياة .

أكثر الناس انتقادا ، أكثرهم عيوبا .

الأنانية رذيلة فى الفرد ، فضيلة فى الأمة .

كثير يحبون التمتع بالمعروف ، وينفرون من الشكر عليه !

إصنع الخير واحترس من شره ! لأن فى الخير شرا يعود فى كثير من الأحيان على فاعله !

لا تطلب من وراء المعروف تسديه مكافئة ، فإن لذتك بفعله أكبر من لذتك بنوال المكافئة عليه .

المكافأة[٢٩] على المعروف بغير الشكر ابطال له .

شر الهزائم تخفى الأنصار عن النصرة وقت الحاجة إليها !

كن سجينا مع من يتفق فى الشعور والمبدأ معك ، ولا تكن طليقا مع من يخالفك فى ذلك .

لا يرحمك من مصلحته فى تعذيبك !

[ص ١٧٠٦]

يستغرب الانسان من معاكسة الدهر له ، ولا يستغرب من إقباله عليه !

الانسان محمول على التماس سبب لشقائه ، ولكنه قل ما يبحث عن سبب راحته ! كأن الأصل فى الوجود أن يكون مسخراً لخدمته !

---

(٢٩) فى الأصل : المكافئة .

من عُتو القوة أن يكلّف الضعيف أن يقبل الظلم ، ويشكر الظالم عليه !

الجرائد فى الدول المطلقة[٣٠] أعوان الظلمة ، وألسنة الأثمة ، وتشويه[٣١] الحقائق ، وضلال العقول .

وفى البلاد المقيدة رواة الحقائق ، وهداة الحق ، ومظهر الأفكار العامة ، ورقباء الأمة ، وألسنة الخلق .

فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩١٦

دعانى محمود باشا عنده أمس إلى وليمة أعدها لعباس بيك نجل المرحوم أمين باشا سيد أحمد ، وخليل باشا فوزى ، وحضرها السباعى بيك المصرى .

وقد احتفل بى احتفالا عظيما ، ورأيته يُفرج على منزله مدعويه . ودار الحديث على القطن ، وإصاباته . وتبين أن الإصابات عامة فى كثير من الجهات ، وإنها سببت أضرارا بالغة

وعلمت من محمود باشا أن الأرض البحرية للسكة الزراعية أعطت ٢ قنطار[٣٢] فقط ، وأن القبلية ربما كانت أقل إعطاء . وقد جاء ذلك مخالفا لما كان يتعشمه من قبل ، وما كان يفتخر به هو وقرينته من جودة القطن فى هذا العام عندهما جودة لم تحصل عند غيرهما .

أشعر من أمس بتقدم فى صحة رجلى . وقد حضر المجبر

---

(٣٠) أى : ذات الحكم المطلق .

(٣١) قراءة ترجيحية .

(٣٢) قراءة اجتهادية .

اليوم ، ودهنها بسائل أحمر ، ثم غسلها بالماء الفاتر الممزوج بالملح ، وبعد ذلك نشّفها ودهنها بسائل[٣٣] أزرق ، وقال إن الشفا قد تم ، ولم يعد لعودته ضرورة . فقلت له : الأحسن أن تعود لتتحقق من تمام الشفا . فوعد أن يعود يوم الجمعة القادم ، وأشار أن نستعمل الأدهان بالسائل الأحمر مرتين فى اليوم ، مدة يومين ، وانصرف .

أرسل لى حافظ باشا حسن فتى من متخرجى مدرسة الزراعة بالمنصورة ، لكى أوظفه عندى ، فاتفقت معه على أن يلاحظ المواشى والفراخ واللبن والجبنة ، ويأخذ فى مقابل ذلك مائتين قرش فى الشهر ، تحت التجربة .

[ص ١٧٠٧]

نشرت الأهرام اليوم خبر وقوعى ، وقالت إنى أصبت برضوض خفيفة لا توجب القلق . وعلى أثر ذلك حضر محمد بيك يوسف مستفسرا عن صحتى فى الساعة ٣ بعد الظهر ، ثم عاد . وتلقت حرمى من حرم المرحوم فتحى باشا[٣٤] تلغرافا بالسؤال عن صحتى .

رأيت اليوم ، آخر النهار ، القطن كثير التفتح ، ورأيت أن يبدأ الجنى فيه يوم الخميس ، ولكن استحسنت بعد ذلك أن يكون يوم السبت القادم ، خشية المنافسة مع قسم أول الذى يشكو من قلة الأنفار . وربما أتم الجنى يوم الجمعة القادم .

---

(٣٣) قراءة ترجيحية .

(٣٤) فتحى زغلول باشا ، شقيق سعد زغلول .

٢٣٢٣
بعت المرجوانة[٣٥] الحمراء بسبعة عشر جنيه ، فيكون كسبت فيها جنيه .

أخبرنى محمد يوسف أن بعض المأمورين يجبرون النـاس على الحج !

فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٦

خف ألم رجلى أمس ، ولكنى لم أكن فى السرير مرتاحا ، بـل قلقت كثيـرا ، ولم أكن أستقر عـلى وضـع من الأوضـاع ، لا لألم أجده ، بل لضيق أشعـر به ! وقـد أصبحت منشرح الصـدر ولله الحمد ، وأصبح الطقس طرياً ، والشمس زاهية ، والسماء صافية ، ودرجة الحرارة ٢٢ فوق الصفر .

أخلاق الكبار ظاهرة فى الصغـار ظهورا تـاما ، لأنـه لا عقل يسترها . فالصبى ينافق ويعلم أنه ينافق ، ويطمع أن يكون له كل ما يراه مما يقدر على حيازته ، وإذا كان له حاجة لديك ملقك حتى تقضيها له ، فلا يعرفك من بعدها . ويكون أطوع لك من بنانك ، وكله سمع لكلامك مادامت حاجته لـديك ، فـإذا انقضت ولاّك ظهره ، وصعب عليه أن يطيعك فيما تأمر به ! فيـظهر أن نكـران الجميل خلق طبيعى فى الانسان ، وكذلك الحرص والأثرة .

لرتيبة بنت أختى ولدان توأمان ، أحدهمـا يدعى مصـطفى ، والثانى على ، ولا يتجاوز عمرهما الآن سنتين ونصف[٣٦] . وهمـا يحبان بعضهما ، ويلعبان معاً ، وإذا غاب الواحد بحث الآخر عنه !

(٣٥) هكذا تقرأ .
(٣٦) فى الأصل : ونصفين .

ومصطفى ضعيف البنية ، ولكنه رقيق المزاج . وكل منهما سريع التأثر ، ولكن مصطفى أسرع ، وفيه حسن التفات ، ورقة قلب وحنان .

وقد ربتهما والدتهما على النظافة ، ولكن لشدة حبهما الأموى عودتهما أن تطيع شهواتهما إذا بكيا ، فتجد الواحد منهما يطلب الشىء ، فإذا مُنع بكى بكاء مرا ، وإذا نُهى عن أمر كان يميل إليه بكى أيضاً كذلك ! ولكن بكاء مصطفى يؤثر فيها أكثر لضعفه ، فتسارع إليه[٣٧] .

[ص ١٧٠٨]

وربما أعود إلى الكلام عنهما بعد ذلك فى فرصة أخرى .

زارنى اليوم عبد الله بيك شريف ، وعلمت منه ما يؤيد إلزام الناس بالسفر إلى الحج ، والإعانة بالنقود عليه ! وإنه حمل البعض من أهل بلده ، فامتثلوا ، ثم هربوا ! وشكى إلىّ قلة محصول القطن ، وقال : إن أحسن زراعة لا تعطى أكثر من أربعة قناطير ! ورأيت هذا رأى كثير غيره .

رأيت فى جرائد اليوم أن السلطان وصل أمس مساء إلى مصر ، وريثما وصل زار وزيره الأول رشدى باشا ، ولبث عنده ثلاثة أرباع ساعة ، ثم عاد . وأن مظلوم باشا حضر من اسكندرية إلى مصر لحضور حفلة قيام المحمل .

قال لى عبد الله شريف على المائدة : إنك قد تمتعت بأحسن

---

(٣٧) كلمة « إليه » غير موجودة فى الأصل ، إذ لم يكمل سعد زغلول العبارة ، وقد أضفناها من واقع السياق .

الأشياء ، وبلغت أعلى المناصب عن جدارة واستحقاق ، فلم يفتك شىء رغبت فيه !

وفى الحقيقة أنى رأيت كثيرا من الأشياء ، وخبرت كثيرا من الأشخاص ، وصرت الآن أنظر بالاستخفاف إلى كثير من الأمور التى كنت أهتم بها ، وأرى غيرى يهتم بها الآن !

أشكر المصائب لأنها تعرف الإنسان منزلته من قلوب الناس ، وتعلمه أن يقتصد فى الاعتماد على غيره ، وأن يفعل الخير للخير .

فى ٢١ سبتمبر سنة ٩١٦

مضيت ليلة أهدأ ، وأحسست بألم فى الرجل أخف ، ومشيت اليوم بخطوة أخف، وأصبح الهواء طريا ، والشمس زاهية ، والسماء صافية .

وسأل عن صحتى - بخطاب - عبد اللطيف لطفى ، شقيق محمد بيك يوسف . ورددت عليه بالشكر .

يشغلنى القطن ومحصوله ، فقد أصابته فى الزمن الأخير عدة إصابات ، أضرت بلوزه ضررا كثيرا . وكل ليلة أحسب ما علىّ ، وما يمكن أن ينتج ، وأخصم هذا من ذلك ! والله موفى الحقوق وقاسم الأرزاق .

[ص ١٧٠٩]

وكذلك ورد على تلغرافات الاستفسار من محمد بيك المكباتى ، ومحمد بيك على المحامى ، ورشدى باشا ، وخطابات من نقولا تماده[٣٨] ، وأحمد منير ، وأمين بيك الرافعى ، وعبد الرحمن

(٣٨) هكذا تقر .

البرقوقى ، والشيخ عبد الكريم سلمان . وزارنى كل من محيى الدين بيك ، ونجله ، وراغب بيك عطية ، ثم على بيك الرفاعى .

وكنت توهمت أن هذا الأخير يمكن أن يمكث عندى للغداء ، فكتبت أعتذر به لمحمود باشا صدقى الذى كنت مدعوا عنده . ولكى أفهمه عدم الكلفة ، طلبت أن يرسل لنا حصتنا من أهم طبق وأشهاه ! ولم يكد الإعتذار يصل إليه ، حتى حضرت عربة راغب بيك ، وأصر على الرحيل . فأرسلت فى استرجاع الاعتذار ، وأسرعت إلى العزبة الثانية حيث تغدينا . ولم يكن الأكل كله على ما يرام ، ورأيتهم مشتغلين بإرسال الديك إلينا ، فأبطلت هذا الإشتغال . وعلمت منه أن قطنه قد لا يبلغ محصول الفدان منه أزيد من قنطارين ونصف فقط .

فى ٢٢ سبتمبر سنة ٩١٦

نمت أمس نوما أطول وأهنأ . ولكنى تألمت آخر الليل من رجلى ، وأصبحت غير منقبض الصدر . وبعد الافطار ركبت الحمارة ، وطفت الغيط وبعض أطيان قسم أول المجنية[٣٩] حديثا، فوجدت هذا الأخير قد أخذ فى التفتح على كيفية تبشر بحسن المآل ، خصوصا إذا استمر الطقس حارا كما هو اليوم .

تدل أحاديث القوم على أن أحسن محصول للفدان فى هذا العام ، لا يتجاوز أربعة قناطير فى الأماكن الخصبة المعروفة بالجودة واتقان الزراعة .

مادامت الصداقة الصادقة غير موجودة فى هذا العالم ، فإن

(٣٩) هكذا تقرأ .

أسلم خطة ، وأبعدها عن الخطر ، هى العمل بقول القائل : وعاشر الناس واصحبهم على دَخْل[٤٠] ! على معنى أنك لا تعطيهم كل قلبك ، ولا تعتمد عليهم فيما يخصك ، واجعل همك فيهم أن تجيب دعاء المضطر ، وتسعى فى قضاء حاجة ذوى الحاجة منهم ، من غير أن تكل أمورك لهم !

ما أثقل الانسان على الإنسان عند حاجته إليه ! وما أخفه عليه عند استغنائه عنه !

كل ما فى المناصب من أبهه وفخامة ، لا يعادل التنعم به ألم النفس عندما تُحمل على عمل ما يخالف الذمة ومصلحة الأمة ، وغنى عن البيان أن ذلك لا يكون إلا فى الحكومات المحتلة بأجنبى .

[ص ١٧١٠]

سبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

أصبحت الوظائف التى يشغلها العظماء منا ، منحصرة فى تنفيذ جميع المشروعات التى ترجع إلى إذلالنا ، وإماتة الشعور الوطنى فينا ، وإخماد هممنا ، وتقطيع أوصالنا ، وتمزيق شملنا ، وتقسيم وحدتنا ، وتمزيق إجتماعنا ! هذا الذى لوزرائنا وكبار موظفينا نفوذ فيه وسطوة واسعة !

زارنى اليوم إسماعيل صدقى باشا ، ومحرز باشا ، ومتولى بيك الجحش[٤٢] ومعهم رابع لا أعرفه ، ولم يسبق لى أن رأيته ولكنى

---

(٤٠) الدخْل يعنى : الريبة .

(٤٢) هكذا تقرأ . وقد تقرأ : « الجمسى » .

أظنه من عائلة شكيب نسيبة عائلة سيد أحمد ، وجلسوا نحو ساعة ، تحدثنا أثناءها(٤٣) فى القطن ، وسوء محصوله ، وفى أسعاره ، وضغط البورصة عليها ، وتراخى الحكومة فى حل مسئلتها ، وحلها على وجه . . . . (٤٤) .

فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٦

قضيت ليلة هادئة نوعا ، وأصبحت منشرح الصدر ، فى نحو الساعة السابعة ، ورأيت الضباب منتشرا ، وماء الندى(٤٥) يُبلل الأرض ، وما عتم حتى انقشع وظهرت (. . .)(٤٦) واشتد الحر ، ورأيت القطن قد زها(٤٧) وبهى .

وبعد أن طفت بزراعته(٤٨) ، عدت مسرورا .

وقبل ذهابى إلى الغيط ، ورد علىّ تلغراف من لطفى(٤٩) يسأل به عن صحتى . وتلقيت فى هذا المعنى خطابات من ثروت وعدلى . ويقول الأخيران فى خطابهما : كيف من ملك قياد الكلام ، لا يُحسن قياد الحمار ؟

وحضر أمس ، على خبر الحادثة ، عبد الله زغلول(٥٠) ، وأريته

---

(٤٣) فى الأصل : أثنائها .

(٤٤) لم يكمل سعد زغلول العبارة .

(٤٥) فى الأصل : « الندا » .

(٤٦) كلمة غير مقروءة .

(٤٧) فى الأصل : « زهى » .

(٤٨) أى بزراعة القطن .

(٤٩) يقصد : أحمد لطفى السيد .

(٥٠) عبد الله زغلول هو ابن أخى سعد زغلول الشناوى أفندى زغلول .

البيت ، فقـال ببـرود : حسن ! كـما أريتــه الغيط والقــطن ، فاستحسنها . ثم عاد بعد أن تغدى مع رتيبة(٥١) ، لأنى أكلت مع صدقى باشا(٥٢) وحرمه اللذين كانا مدعوين عندنا من قبل .

ولقـد زعم صدقى ، بعـد أن شكى من محصول قـطن العام القارض(٥٣) ، أن صافى ربح الفدان عنده بلغ تسعة جنيهات ! على أن ثمن القنطار لم يتجاوز خمسمائة قرش ، ومحصول الفدان الواحد من القطن لم يبلغ ثلاثة قناطير ونصف ، والقاعدة أن ثمن القطن هو مكسب الفلاح ، أما غيره من المحصولات ففى نظير المصروفات .

بلغ ما جنى أمس ٤٠ قيراط ١٠ قنطار من ٤ فدن أربعة وثلث . وكان الجنى فى الزراعة التى تلى زراعة الأذرة غربا من الجهة القبلية ، وهذه القطعة فيها مسـاحة أربعـة أيضا ، بـطول الذرة من الكتلة الزراعية لغاية الحد الأخير من قسم ثان أول ، وشجيرات(٥٤) القطن فيها قصيرة ، ولوزها قليـل ، وزرعها خفيف ، وبلغ الأنفـار ٦٥ خمسة وستين . أما اليوم فالأنفار مائة وثلاثون - كما قال لى الناظر .

[ص ١٧١١]

قـرأت فى جرائـد أمس أن انعقدت حفلة فى مسجـد سيدنـا الحسين ، تحت رئاسة محمود شكرى باشا رئيس الديوان السلطانى ، بأ ر السلطان ، توديعا للحجـاج فى هذا العـام . وقد دعى إليهـا ستمائة عـالم من علماء الأزهر ، وثـلاثمائـة عين ووجيـه وصاحب

---

(٥١) رتيبة والدة مصطفى وعلى أمين ، وابنة أخت سعد زغلول .

(٥٢) محمود صدقى باشا ، عديل سعد زغول .

(٥٣) أى : القديم أو الماضى .

(٥٤) فى الأصل : شجيرات .

٢٣٣.

مقام . فحضروا ، وفى مقدمتهم شيخ الجامع ، ومديره ، والشيخ الـدمـرداش ، وإبـراهيم راجى ،ووزيـر الأوقـاف . وقـرىء[٥٥] البخـارى ، ودعا[٥٦] الأخـير - آخر الحفلة - للحجـاج بسلامـة الذهاب والعودة ، وأمّن عليه الحاضرون .

وكذلك وضع الشيخ سليمـان العبد دعـاء للسلطان ، مقسما فقرات ، آخر كل فقرة دعاء للتأ مين على الدعاء !

فأنظر - رعاك الله - كيف يساء الدين باسم الدين ، وكيف يسبق الأمـراء المسلمون رغبـات الغـير فيـما لا يفيـدهـم إلا الـذل والإنكسار !

لم يكتف هؤلاء بأن يجبروا كثيرا من الناس على الحج ، وكثيرا غيرهم على دفع المصاْريف لهم ، وبأن يسلطوا المأمورين على الأهالى يبتزون أموالهم بطرق سرية لا يجرأون على إظهارها .

فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٦

أصبحت اليوم غير مسرور ، لأنى قضيت ليلة قلقة ، تردد فيها ألم الساق ، واختلط بألم العضل ، فلم أنم إلا قليلا من الليـل . وكـان يتردد عـلى خاطـرى أشخاص من سـألوا عنى ، مصحـوبا بالارتياح منهم ، ومن لم يسأل سابقا[٥٧] للسخط عليهم .

وكان يعقب ذلك الهزء بهذه الأفكـار ، والاستخفاف بهـذه الخواطر ! لأنه رب سائل غير مهتم ، ولم يدعه للسؤال إلا دفـع

---

(٥٥) فى الأصل : وقرأ .

(٥٦) فى الأصل : دعى .

(٥٧) قراءة اجتهادية .

اعتراض[٥٨] ، أو الجرى على خطة النفاق ! وربما ساكت لم يعلم ، أو علم على وجه لا يوجب الاهتمام ! ولأن الناس ، من يوم أن خلق الله الدنيا ، مجبولون على الإقبال على من يجدون لديه نفعهم ، والإنصراف عمن لا نفع منه لهم ، فلا[٥٩] تطمع فى أن يواليك فى هذه الظروف إلا من عرفوك ، واختبروك ، وشعروا بشعورك . وقليل ما هم !

يتناول الغداء عندى اليوم كل من إسماعيل باشا صدقى ، ومحرز باشا ، وعباس بيك سيد أحمد ، ومتولى بيك الجحش ، حيث كنت دعوتهم لذلك أول أمس .

بلغ ما جنى من القطن أمس ٢٩ قنطارا من . . . .[٦٠]

حضر المدعوون ، ومع صدقى نجله ، ولم يأكل معاليه لانحراف معدته واحتمائه[٦١] ، وأكل نجله قليلا . وكان الأكل لذيذا شهيا ، وقد تحدثنا فى مسائل كثيرة .

وفهمت من إسماعيل [ص ١٧١٢] أن السبب فى توقف الانكليز فى مسئلة عثمان مرتضى تعجُّل السلطان بالإعلان عنها قبل الاتفاق عليها ! وإنه إذا اقتضى الحال تغير فى الوزارة فالأرجح أن تكون الرئاسة لسرى باشا[٦٢] . أما عدلى ، قيل : إن كان موضوعا للمناقشة ، لا يبلغ مبلغ سرى باشا .

---

(٥٨) قراءة ترجيحية .

(٥٩) فى الأصل : « ولا » .

(٦٠) الكلام مقطوع فى الأصل .

(٦١) الاحتماء ، أى الالتزام بنظام غذائى بسبب المرض .

(٦٢) يقصد : اسماعيل سرى باشا ، وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية .

وقال إن السلطان أرسل إلى محمد سعيد عقب مسئلة دعوة عمر طوسون للناس بخصوص البورسة ، وقال له : إن البرنس تعجل فى الأمر ! فقال : إنى نصحته بأن لا يفعل ، فلم يقبل .

فى يوم ٢٥ سبتمبر سنة ٩١٦

بلغ ما جنى من القطن أمس ٥٠ قيراط و٢٦ قنطار ، والفدن عدد ٧ من حوض (. . .)[٦٣] .

وقد قضيت ليلة هادئة ، نمت فيها مع الراحة . ويظهر أن السبب فى قلق الليالى السالفة أنى كنت أتغطى بحرام من الصوف . وقد أصبحت والصدر منشرح ، والهواء معتدل ، والشمس مشرقة إشراقا زاهيا .

اتق[٦٤] جانب السلطان ، واحذر بطشه ، لا تدنو من مواقف التهم .

يقبل الإنسان أن يعيش فى كل حال ، وإنما يصعِّب الحال عليه أو يسهلها لديه التعود وعدمه ، فلا تعود نفسك إلا احتمال ما تكره ، لأنك ستلقى فيه المكروه أكثر من المعروف !

الضعيف لا راحم له فى هذه الحياة ، والقوى لا عاصم من شره !

احتمال الظلم خير من فعله !

لا راحة لمن أتعب ضميره .

---

(٦٣) كلمة غير مقروءة .

(٦٤) قراءة اجتهادية من السياق

لا تتمتع بألم غيرك ، ولا تتألم بنعيم سواك ، فالأولى محض شر ، والثانية مجرد حسد !

لا توال عدو صديقك ، ولا صديق عدوك ، فإن ذلك من صور النفاق ، ويفسد الصداقة .

إذا أردت أن تربى الطفل فلا تعانده ، ولا تعوده أن تعطيه ما يطلب بالعياط ، لانك تفسد طبعه وتجعله . . .[٦٥]

[ص ١٧١٣]

قرأت فى جرائد اليوم أن جراهم استعفى من منصبه فى وزارة الداخلية ، وأن السلطان سيأدب له مأدبه يدعو إليها سبعين مدعوا . وأن جماعة من أعيان القطر وأعضاء الجمعية التشريعية رأوا أن يؤلفوا لجنة يرأسها مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية ، لتعقد احتفالا لوداع المستشار الراحل ، لما له من الأيادى البيضاء على مصر !

فتأمل كيف أن الاجتماعات أصبحت فى مصر ممنوعة إلا ما كانت نفاقا لموظف إنكليزى راحل ، أو موظف قادم !

فالجمعية التشريعية موقوف انعقادها ، وعظمة السلطان لا يأذن لأحد الأمراء (الأمير عمر)[٦٧] بأن يعقد اجتماعا للنظر فى قرار ، لم يصدر من الحكومة بل من جماعة من السماسرة ضد مصلحة البلاد ! ولم يكن الغرض من هذا الإجتماع إلا الشكوى من ذلك القرار ، ورجاء الحكومة فى أن تسعى فى إبطاله ومنع صدور مثله !

---

(٦٥) الكلام مقطوع فى الأصل ، ويقصد سعد مصطفى وعلى أمين . (أنظر ص ١٧٠٧) .

(٦٧) يقصد : الأمير عمر طوسون .

فى ٢٦ سبتمبر سنة ٩١٦

بلغ ما جنى أمس من القطن ٥٠ قيراطا و٢٠ قنطار من سبعة أفدنة .

أصبحت اليوم منشرح الصدر ، وقد قضيت لية هادئة ، ونمت نوما متقطعا ولكنه مستريحا .

وقد حضر سعيد[٦٨] من إسكندرية أمس آخر النهار ، وقال إن سعيد ذو الفقار أخبره بأن السلطان كان يسأل عنى ، ويقول إنه لم يرنى من زمن طويل ! ولكنى مرتاب فى صحة هذه الرواية ، مع كونه لم يبد من عظمته شىء يدل على التفات بمناسبة حادثة رجلى ! ومهما يكن من الحقيقة ، فإنه رجل لا يعول عليه إن سأل أو لم يسأل !

سألت الكاتب عما إذا كانت الوسية تزرع قبل القسمة مقدارا عظيما من الأرض أذرة يبلغ من مائة إلى مائتين فدان ؟ فقال : إنها لم تزرع من هذا الصنف إلا ما بقى من الأطيان[٦٩] بغير استئجار ، ولا يمكنها أن تزرع بنفسها مقدارا كبيرا لعدم السباخ ، ولم يكن لديها من الماشية ما يزيد على خمسة وعشرين جوزا ! فعجبت لمحمود باشا ! وكذلك أكد لى أن الوسية لم تجعل شيئا من مصاريف نقاوة الدودة على الأنفار ، لا النصف كما قال محمود ، ولا أقل منه !

استغن عمن شئت تكن نظيره ، واستغن عما تشاء تكن حرا بمقدار ما تستغنى عنه !

---

(٦٨) يقصد : سعيد زغلول .

(٦٩) قرئت بصعوبة فائقة لجفاف الحبر من قلم سعد زغلول .

[ص ١٧١٤]

فى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

مضيت ليلة هادئة ، وشعرت فى الرجل بألم أخف ، والفكرة التى سادت علىّ وكثر ترددها ، هى تمنى النوم كلما صحوت أو أصبحت غير منشرح تمام الانشراح .

بلغ ما جنى أمس ٤٧ قيراط و٢٣ قنطار من ١٢ فدان ، وذلك بما جنى قبل الآن .

لا تعلق أملا كبيرا على الأجنبى عنك ولو كان قريبا ! والمراد بالأجنبى كل من لم يكن منك بمنزلة الأثر من الفاعل ! وبعبارة أخرى : لا ترب(٧٠) غير ابنك ، وإلا كنت كالبانى فى غير ملكه !

وليس مراد المثل النهى عن التربية لغير الولد ، لأن ذلك يكون حَمْلا على القسوة والجفوة ، ولكن المراد عدم تعليق الأمل على المربَّى .

وأظن أن الأحسن أن لا يفتكر الإنسان فى هذه الأمور ، لأنه كلما افتكر فيها قسى قلبه على بنى جنسه ، وضن بمساعدته حتى للأطفال ، فإن الأمثلة على نكران الجميل وتعمد ايذاء المحسنين كثيرة .

فى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٦

حضر أمس فتح الله باشا بركات من مصر . وعلمت منه أنه لم يعلم بالحادثة الا من جريدة وادى النيل ، وإن إبنه أخبره بأنها بسيطة

---

(٧٠) فى الأصل : لا تربى .

ولا شيء فيها ، وأنه قرأ خطابى الذى كتبته بتفصيل واقعتها للشيخ عبد الكريم .

ولم يفاتحنى فى الحادثة عند قدومه ، ولم يسأل عن الصحة ، بل تجاهلها بالكلية ! حتى ذهبت لقضاء حاجة ، ثم عدت وأنا أعرج ، فوجدت الست قد فتحت الكلام معه فيها . ورأيت من تردده وتجاهله أنه كان عالماً ولكنه تهاون وأراد أن يخفى تسامحه[71] .

وقد علمت منه أن الأصل فى احتفال التكريم إلى المستشار جراهام ، هو أن اسماعيل طلبة باشا حمل محمود باشا حسين أن يعرض عنه[72] للسلطان ، فاستحسن الفكرة ، وأوعز إلى إبراهيم باشا سعيد وغيره بأن يقوموا بالدعوة ، وانضم هو إلى كل من إبراهيم باشا مراد ، وعبده باشا ، وأباظة باشا ، وعلى مهنا باشا ، ومحمود باشا أبو حسين ، ومدكور باشا ، وألفوا لجنة ، وعرضوا على مظلوم باشا رئاستها ، فقبل بعد تردد ، وعدل بعد أن علم كونه مدعوا إلى الوليمة الذى يعدها السلطان تكريما إلى المذكور . وقد كانوا عرضوا على السلطان أن يكون الرئيس ابنه كمال أو مظلوم ، فاستحسن مظلوم .

[ص ١٧١٥]

قال لى فتح الله باشا : وقد ذهب كل من أباظة ، وعلى مهنا ، ومحمود أبو حسين إلى المستشار ، وعرضوا عليه الفكرة ،

---

(٧١) هكذا فى الأصل ، وهى سقطة قلم ، فالأولى أن يكتب سعد زغلول إن فتح الله بركات أراد أن يخفى تهاونه .

(٧٢) أى : نيابة عنه .

واستحسنها . ورغب أن يكون الاحتفال فى اليوم الذى يتبعه السفر وأن يودعه المحتفلون فى المحطة .

والظاهر أن السلطان ، والذين سعوا فى الاحتفال وتشجيعه وتنظيمه ، يتوهمون أنه سيعود نائبا عن الملك فى مصر ! كما اتفق إلى جورست الذى كان فى الوظيفة التى تعين لها فى وزارة الخارجية ، فهو نفاق احتياطى !

إذا أردت أن تعيش غير معذب ، فما عليك إلا أن تعتزل – بقدر الإمكان– المنافقين والمقربين . ولا تعترض عليهم مرة ، فان الأكثر من يتهم ، ولا يفيدك أن تعترض ، ولكنه ربما أضر بك فى بعض الشئون . والله الهادى إلى سواء السبيل .

فى يوم ٢٩ سبتمبر

نمت الليلة نوما أهدأ ، ولكنى أحسست بنوع من الآلام الروماتيزمية فى الرجل المريضة . وأصبح الجو باردا ، وقد نزل البارحة إلى درجة ١٩ فى الساعة ٧ صباحاً .

بلغ ما جنى أمس ١٨ قنطارا .

حضر اليوم أمين أبو يوسف[٧٤] ، وكان الجو متقلباً بين البرودة والحرارة . ولم يحدث ما يستحق الذكر .

فى يوم ثلاثين سبتمبر سنة ٩١٦

نمت نوما هادئا ، وكان ألم الرجل أخف . وأصبحت غير

---

(٧٤) أمين أبو يوسف والد مصطفى وعلى أمين .

مسرور نوعاً ، وعزمت على أن أزور زراعة دسونس غدا ، ونبهت على أهل البيت أن يستعدوا للرحيل فى اليوم الذى يتم لهم فيه جمع الأمتعة وحزمها ، لأنى أنوى مشاورة الأطباء فى مرض رجلى الذى أزمن ، وأبتعد عن الرطوبة زمنا ، وأتمكن من التردد على دسونس آناً فآناً ، وأسوى بعض المسائل المالية .

أرسل أمس عبد الرحيم باشا بدر شتلة شليك ، فدفعتها إلى البستانى ، وأمرته أن يغرسها . فتناولها وأخذ يبحث عن غرسها بجوار الأولى ، وغرسها فعلا .

[ص ١٧١٦]

فى أول أكطوبر سنة ٩١٦

حضر أول أمس أمين أبو يوسف كما سبق التنويه ، وسافر مع زوجته ونجليه[٧٦] اليوم عائدين إلى دمياط .

وسافرت أنا إلى دمنهور[٧٧] ، حيث يبدأ فى جنى القطن . فوجدت الجنى جاريا فيه ، والناظر مع الفلاحين يفرزون الجنى ،

---

(٧٦) هما : مصطفى وعلى أمين .

(٧٧) كان سعد زغلول قد اشترى عزبتين فى مديرية البحيرة ، أثناء المحاماة بجهة قرية دسونس أم دينار مركز دمنهور ، وقرية مطوبس مركز فوة . وتبلغ مساحتها ١٧٠ فدانا تقريبا .

(مذكرات سعد زغلول ، كراسة ٢٨ ص ١٥٤٢ ، عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، ص ٥٣٥ ولكنه يورد أن سعد زغلول اشترى بالاشتراك مع سيد أحمد بك زغلول ٤٠٠ فدان كانت أرضا لسيد أحمد القاضى عمدة مطوبس وبيعت بالمزاد العلنى وفاءاً لدين عليه . أنظر أيضا محمد الجزيرى : آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب ، القاهرة ١٩٢٧ .

لعزل الردىء منه عن الطيب . ورأيت المواضع التى أصابتها الدودة قد فتكت بها فتكا يختلف فى طريقة الشدة . ولكن أغلب اللوز المتفتح جميل زاه باه ، وأظن انه لا يمكن الحصول منه على أزيد من قنطارين ونصف !

وقد قاربت المبانى على الانتهاء ، ورأيت الحائط البحرى الشرقى مائل[٧٨] غير مستو ، بل فيه انحراف ! فعنفت البنا . وأعجبتنى المخازن والأود . ودفعت عشرين جنيها للناظر كى يصرف ويشترى لوازم العمارة . (. . . .)[٧٩] وعدت إلى مصر .

وقد تقابلت مع كثيرين فى الطريق ، منهم سباعى بيك المصرى[٨٠] وعلى بيك الرفاعى ، وسليم بك عمدة (. . .)[٨١] وكانوا متوجهين إلى طنطا ، وجورجى لطف الله وكان ذاهباً إلى اسكندرية ، وفارس نمر وكان ذاهبا إلى عزبته فى الغربية ، وأمين عبد الله باشا وكان عائدا من العزبة[٨٢] إلى مصر . وإليا موسيرى ، وكان متوجها من اسكندرية إلى مصر . وكل هؤلاء يؤكدون أن محصول هذا العام قليل ، ولكن جورجى لطف الله وموسيرى كانا أقل المذكورين تشاؤماً .

عدت إلى مصر ، ولم أقابل أحداً إلا فتح الله ، ونجله بهى الدين ، وأخاه عاطف ، ومحمد حتاتة وتكلم فى ترقيته[٨٣] ، ونمت

---

(٧٨) قراءة اجتهادية .
(٨٠) قرئت بصعوبة لجفاف الحبر .
(٨١) اسم غير مقروء .
(٨٢) قراءة تقريبية .
(٨٣) قرئت بصعوبة بسبب جفاف الحبر .

۲۹٤٠
بعد أن سهرت مع هؤلاء إلى الساعة ١١ تقريباً ، ولكن فتح الله لم يكن معنا ، لأن لجنة تكريم مستشار الداخلية كـانت منعقدة فى حينه . وقد لاحظت من هذا (. . .)[٨٤] قرار هذه اللجنة كان يجتهد أمامى فى إخفائه ، ولكنـه كان يـظهر من خـلال حركـاته وسكنـاته . وكـان كـل من صـدقى وعـاطف يتجنب الآخـر فى الحديث .

فى ٢ أكطوبر سنة ١٩١٦

بت فى منزلى ، ونمت نوما هادئا . وفى الصباح كتبت إلىّ البنك العقارى رداً على خطاب [ص ١٧١٧] ، ورد منه أول أمس رقم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٦ ، يؤكد فيه مضمون خطاب سـابق بشأن السلفة التى كنت طلبت عقدها ، ويـطلب إرسال الأوراق التى سبق أن طلبها لإتمام أمـر هذه السلفـة . وقلت فى ردى إنى اتفقت مع موسيو ميرليه على تأخير عقدها لحين ظهور المحصـول الجديد ، فربما لا يحتاج الحال اليها . وطلبت تأخيـرها إلى ذلـك الميعاد .

ثم دعوت مسيو هنرى شيزار[٨٥] النقـاش ، ودفعت له مبلغ خمسة وستين جنيه باقى حسابه من البوية التى دهنها فى البيت داخلاً وخارجاً ، وذلك بتحويل على البنك الأهلى (ذلك بعد أن نقصت منه ستة وعشرين جنيه وكسور كان طلبها من الفتورة[٨٦] .

ثم حضر كل من إبراهيم باشا سعيد ، وعلى باشا شعراوى ،

---

(٨٤) كلمة غير مقروءة .

(٨٥) هكذا تقرأ ، ويلاحظ أن مهنة النقاشة ، وهى مهنة صغيرة ، كانت فى يد الأجانب !

(٨٦) هكذا تقرأ .

وصدقى بيك . وأفهمنا على باشا أن جراهام زاره فى إسكندرية ، وانه اشترك فى تكريمه لهذا ، لا لأمر السلطان !

ولما قيل له إن أباظة يزعم أنه(٨٧) صاحب فكرة هذا الإحتفال ، قال : إن الأحسن أن لا يشاع ذلك !

قلت : أتظن أن فى هذا شرفاً له حتى تريد أن تحرمه منه ؟ فلم يرتح إلى هذا ، وتكلم بما لست أذكره الآن .

ثم ذهبنا إلى قطار الساعة ١٢ فى عربة فتح الله باشا ، وصحبنى بهى الدين ، ووجدت أباه فى المحطة ، ورأيت ذلك منهما نفيا لما بدا منهما من الاغضاء فى حادثة الوقعة(٨٨) .

ونزلت فى قطار الدلتا مع شاب سودانى نظيف ظريف ، علمت منه أنه مأمور فى حكومة السودان ، وأنه من أهل بلد فى الدقهلية قريبة من ناحية (. . .)(٨٩) ، وهو من المعجبين بحكومة السودان وعدالتها ، والمحبين لهواء تلك البلاد .

إستدعيت الدكتور على إبراهيم ، وبحث رجلى ، فوصف مرهما ، وأن أضعه مرتين فى اليوم بدلك خفيف ، وأن أضع عليها كذلك شيئا حارا مدة ساعة كل يوم . ففعلت ذلك بعد عودتى من مصر .

---

(٨٧) أى أباظة .

(٨٨) يقصد سعد زغلول وقعته من فوق ظهر حماره .

(٨٩) اسم غير مقروء .

٢٣٤٢

[ص ١٧١٨]

فى يوم ٣ أكطوبر سنة ٩١٦

استعملت العلاج الذى وصفه الدكتور ، غير أن الألم ظهر آخر الليل ، وكان برداً . ولازلت الآن أشعر بشىء منه .

وقد تفكرت طويلا فى علاقتى مع الإنكليز والسلطان ، فرأيت ، بعد طول التفكر ، أنى لا أتعرض لسخطهما ، ولا أبحث عن رضائهما ، وأن أسلك سبيلاً وسطاً ، وأنى لا أعول كثيراً على الناس فى شأنى ، وأعذرهم فى كثير من الأعمال التى يباشرونها إسترضاء لهذا وذلك ، لأن نظام البلاد يقضى بذلك ، ولا يمكن لذى مصلحة فيها أن يعيش حُراً تحت هذا النظام .

وإعذارى للناس فى ذلك ، فضلاً عن كونه موافقاً للصواب ، فإنه يقينى شر الكثير منهم ، لأنهم ، مع كونهم يأتون هذه الأعمال مضطرين نوعاً ، فإنهم يتألمون من أن تعاب عليهم أو يؤاخذوا بها ، فالأسلم تركهم وشأنهم ، الا قولا بمعروف .

وهذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن انتقادهم لا يجدى نفعاً الآن ، إذ لا يمكن أن يثنيهم عنها ، وهو ينفع السفيه لأنه يتخذه رده وسيلة للتقرب من أولياء الأمور[٩٠] .

قارن بين شيتى وجراهم ! ترى أن الأول كان يميل حقيقة إلى المصريين ، ويخدم مصلحتهم ظاهرا وباطناً ، وقد برهن على ذلك فى جميع الوظائف التى تولاها ، وكَرِهه قومه من أجل هذا ، وحملوه على الاستعفاء من الداخلية ، فرحل عنها . وما ودعه أحد ! ولا احتفل

---

(٩٠) يقصد : أن السفيه يرد ردا ينافق فيه أولى الأمر .

به أحد ! إلا أن محمد سعيد دعانى للعشاء معه فى أوتيل كونتننتال ، وودعناه ، من غير أن يودعه أحد من المصريين !

وجراهم الذى خلفه ، لم يفعل شيئا من الخير يذكرونه لـه ، وقدم كثيرا من الناس لا يستحقون التقـدم ، واضطهـد قومـا من الناس تقربا من الخديوى تارة ، وعملا بأوامر كتشنر من جهة أخرى وتوكل[٩١] من قائد جيش الاحتلال ، بعد إعلان الحماية ، فى إدارة الأحكام العرفية فى البلاد ، فاعتقل كثيرامن أبنائها ، بعد أن هجم بيـوتهم وأدخل الـرعب فى قلوب أهليهم ، ونفى كثيرا إلى البـلاد الخارجية .

ويحتفل الناس به ! ويظهرون له الاحتفال بوسائل شتى عند[٩٢] رحيله ، [ص ١٧١٩] لتوهم قوم أنـه سيكون فى لـونده ، حيث يضر وينفع كالسلطان وحاشيته ! وتوهم آخرين أنه سيعود بعد قليل مندوباً سامياً ! وحسبان الكل أن مثل هذا الإحتفال يـرضى الانكليز عنهم ، ويعطفهم عليهم !

ويحزننى أن أقول إن هؤلاء لا يبحثون عن العطف لعمومهم ، أو لمجموعهم ، بوصف[٩٣] كونهم أمة ، وباعتبار كونهم شعباً ، بل لخصوصهم وفى خدمة[٩٤] أشخاصهم .

ولذلك لا يكتفى الواحد بأن يشترك فى الإحتفال ، بل يبحث عن إظهار نفسه أمامه بصفة محتفل وآسف على فراقه وحرمان البلاد

---

(٩١) أى : أصبح وكيلا .

(٩٢) فى الأصل : « وذلك عند » ، وقد حذفنا « وذلك » لسلاسة العبارة .

(٩٣) قراءة ترجيحية .

(٩٤) قراءة اجتهادية .

منه ، فيتسلل من بين إخوانه ، ويزوره زيارة خاصة ، ويعلن إليه ذلك وأكثر منه ، مثل شعراوى ، وأباظة باشا ، وعلى فهمى ، والدمرداش ، وغيرهم وغيرهم ، ممن كثر فى هذه الأيام ترددهم على مكتب المستشار لإبداء الأسف ، وتقديم واجبات الاحترام !

ويزعم قوم من المحتفلين أن السلطان دعاهم إلى هذه الغاية ! ويزعم آخرون أنهم هم الذين أول من ألمحوا هذه الفكرة !

ولقد زادوا فى الطنبور نغمة ، وفى سواد صحيفتهم نقطة ، أن تألفت لجنة تحت رئاسة حرم رشدى باشا ، لتقديم هدية إلى قرينة جراهم ، لما لها من الفضل - الذى لم يعرفه أحد ولا تحدث به(٩٥) من المصريين ! وما ذكروا ، عندما أعلنوا عن قيام هذه اللجنة ، أعضاءها ! ولكن لعلها لا تكون إلا من نساء الوزراء والمقربين منهم .

زارنى اليوم آخر النهار حافظ حسن باشا ، ومعه مأمور مركز ميت غمر ، ومهندسه ، وعبد الله بيك شريف ، وعلمت منه أن المديرين لم يعرضوا على جراهم عزمهم علي تقديم هدية له ، ولم يصلهم منه ما يدل على رغبته من عدمها !

وبعد أن تناولوا القهوة ، أكلوا شيئا من الذرة المشوية ، وانصرفوا . وأكد لى المدير أن القطن فى مديرية المنوفية ردىء للغاية ، كما أكده له مديرها . وامتدح الذرة المنزرعة أمام الجرن . وانصرفوا .

عزمنا أن نعود إلى العاصمة بعد باكر بحول الله وعنايته .

---

(٩٥) قراءة اجتهادية .

[ص ١٧٢٠]

أشعر الآن بتحسن فى رجلى ، وخفة فى حركتها . فهل ذلك نتيجة العلاج الجديد ؟ أم هو عارض ؟ ستظهر الحقيقة غدا !

يمر فى كثير من الأوقات . . . (٩٦)

فى ٤ أكطوبر سنة ٩١٦

شعرت من يومين بنوع من البرد ، فأخذت أمس معرّقا من البابونج ، واسترحت من السعال مدة الليل ، ولكنى أكثرت من السعال فى الصباح . ورجلى يظهر لى أنها أحسن ، وقد انحل انتفاخها(٩٧) قليلا .

ورد بخاطرى عرابى باشا ، وما كان له من المشاق فى أول ظهوره ، وما كان من تعلق الأمة به ، وافتخارها بفعاله ، وثقتها بصفاته ، وما كان فيه أخريات أيامه !

فقد تنوسى وهو بين ظهرانيها ، وتنكره أكثر من انتفع بحركته ، ومات كواحد من الذين لا شأن لهم !

وذكرت مصطفى كامل ، وما أحدث من ضجة عند موته ، وما خلف من لوعة بعد فوته ، ثم ما لاقى أنصاره بعد ذلك من استخفاف بهم ، واستهزاء بحزبهم وتفاخر بالبعد عنهم ، والتبرؤ (٩٨) منهم حتى ممن كانوا فى مقدمتهم ، ومن أركان حزبهم !

---

(٩٦) الكلام مقطوع فى الأصل .

(٩٧) قراءة اجتهادية .

(٩٨) فى الأصل : والتبرأ .

وذكـرت رياض بـاشا ، ومـا كان لـه من المنزلـة الساميـة فى القلوب ، والمكانة الرفيعة فى النفوس . كيف تنوسى إسمه ، وانهار نسبه إلى السقوط !

وذكرت ذلك وغيره ، فوصلت إلى أن كل ذلك من أعراض موت الأمة وانحلالها ، وأن العامل على هذا الإنحلال والمؤثر فيه مادام موجودا وقوياً فلا حيلة فى علاج هذه الحالة . ولا مندوحة لمن يتألم منها ويشكو من أثرها عن أن يجارى الناس فى باطلهم ، فيعمل ما يعملون ويرضى بما يقولون ، أو يرحل عن بلادهم لأنه أجنبى فيها ، ويترك لهم ما يحبون وما يكرهون . أما الإقامة بينهم ، مع مخـالفتهم فى ما يـرتـأون ومـا يصنعـون ، ونقـدهم فيـها يـأتـون وما يتركون ، فذلك مضر به ولا فائـدة منه ! - يعنى أنـه حمق ، وخرق فى الرأس ! والسلام .

لما مات والدى كنت صغيرا جدا ، ولا أتذكر من شخصه إلا أنه كان ذا شنب يميل للصفرة ، طويل . وأتذكر أنى رأيته يضرب امرأة تدعى وهبانة . وأنه لما مات نصبت خيمة ، واستمرت منصوبة عدة أسابيع ، وكان يؤتى فيها بكعك كثير ، يفطر الناس منه صباحا ، لأن كثيرين كانوا ينامون فيها .

[ص ١٧٢١]

وقد كان متزوجا بسيدة غير والدتى تدعى فاطمة ، ورزق منها بنتين : فرحانة ، وستهم ، وخمسة أولاد:عبد الرحمن ، وشناوى ، ومحمـد ، وأحمد ، وشلبى . وكـانت امرأتـه ممتلئة الجسم ، ولهـا الرئاسة فى البيت . ورزق من والدتى ببنت تدعى ستهم ، وأنا ،

وفتحى ، وولد آخر يدعى فرج الله مات بعد ولادتـه ، وكان هـو بكرها .

عزمت أن نعود مع العائلة غدا إلى مصر ، لزوال الحر ، وظهور الطراوة .

حضر الريس أحمد مندوب إدارة البساتين ، ونبه على إسماعيل الجناينى تنبيهات تتعلق بتربية الأشجار والأزهار ، وتعهدها بما يلزم لحفظها ونمائها .

وقد رأيت أن أغير باب الجنينة ، فأذهب به إلى الشمال قليلا ، حتى يكون مقابل باب المنزل ، وقد رسمت الخطوط اللازمة لذلك .

ونبهت على الناظر أن يشترى لكل نفر كسوة ، فلم يرتح كل الارتياح لهذا التنبيه ، بل تقبله بفتور ! ولا أدرى سبب الفتور !

ولما عدت إلى المنزل سار خلفى ، وقال بصوت خافت : هل تسمح لى بأن أسترد جاموستى ؟ فقلت : إن الجاموسة ليست لك ، وهى للوسية ، وقد جُلبت مخصوصا لتدبير اللبن والجبن والسمن ، وليس فى الإمكان الاستغناء عنها . قال : إئذن(٩٩) لى - إذن - أن أشترى جاموسة ! قلت : لك ذلك !

وفى الأثناء ، أفهمته أنه لم يكن من شروط تعيينه ، جامـوسة له ، فقال : كذلك ! واستغربت هذا الطلب بعد أن رأيت كـل ما ينافيه(١٠٠) .

---

(٩٩) فى الأصل : اذن .

(١٠٠) يقصد عدم ارتياح الناظر لشراء كسوة لكل نفر .

فى ٦ أكطوبر سنة ٩١٦

سافرنا يوم ٥ أكطوبر صباحا ، وقد غضبت الحرم من كونها رأت السفينة مشرعة ، خلافا لما رجته فى اليوم السالف ، وعدت شراعها مع خوفها من الشراع إهمالا واستخفافا بحياتها[١٠١] . فاسترضيتها ، ولم ندرك قطار مصر الأول ، فأخذنا ما بعده ، ووصلنا مصر الساعة ١١ وما جرى بعد ذلك مثبت فى الكراس الخاص بمصر .

وقد عدت وحدى[١٠٢] فى هذا اليوم ٦ أكطوبر - يعنى من غير الحرم - ولكنى لم أدرك قطار الدلتا [ص ١٧٢٢] فقد[١٠٣] تحرك عند وصولنا ، فناديناه أن يتمهل قليلا ، فتمهل ، ولكن القومسير[١٠٤] وهو شاب طويل القامة أشقر اللون يظهر عليه أنه غير مسلم - ولو تأنى نصف دقيقة لأدركناه - تركنا القطار[١٠٥] .

فأشار علينا حمّال أن نذهب إلى قطار ميت بره[١٠٦] فبلغناه . ولما أردنا ، بعد وصولنا إلى ميت بره ، أن نَكْترى ذواب ، قابلنا

---

(١٠١) فيما يبدو أن العودة من العزبة إلى محطة القطار كانت فى النيل .

(١٠٢) أى عاد إلى مسجد وصيف .

(١٠٣) فى الأصل : وقد .

(١٠٤) يقصد بالقومسير· الكمسارى .

(١٠٥) هكذا فى الأصل : ويقصد سعد زغلول أن الكمسارى لم يساعدهم على ركوب القطار . .

(١٠٦) فى الأصل : « قطر ميتبره » ويقصد : قطار خط ميت بره الذى يمر ببلدة « ميت بره » . ولولا أننى أعرف خط ميت بره ، وركبت قطاره من قبل ، لاستحالت قراءة كلمة « ميتبره » . وهذا يوضح أن الظروف تلعب أحيانا دورها فى قراءة خط سعد زغلول.

شاب مليح الوجه ، فقال : هنا عربة التفتيش ، ولا ينبغى أن تكتروا دواب . وقد تأثر المفتش من كون سعادتكم زرتم فى المرة السابقة من غير أن تعطفوا عليه .

وسار أمامنا ، حتى وصلنا دوار التفتيش ، ومكثنا ننتظر العربة . وقد وجدنا شابا ضخما يظهر أنه من عائلة العمدة التى تسمى عائلة أبو زيد . وحضر معاون التفتيش ، وتناولنا القهوة . ثم حضرت العربة ، وحضرت إلى هنا ، واستغرقت المسافة ساعة إلى حد سكة البلدة .

وقد رأيت الأشغال سائرة سيراً لا بأس به ، ولكن هالتنى كثرة الأنفار الذين يُحتاج إليهم فى جنى القنطار ! فإنهم يبلغون الثلاثين ، مع أن القنطار لا يحتاج فى العادة إلى أكثر من ستة أنفار ! وقد وجدت ذلك أيضا فى دمنهور . ولعل السبب الأصلى فى ذلك عدم تفتح القطن جيدا ، فلا يسهل على العامل فصل القطن عن البذرة(١٠٧) .

ورأيت قطن محمود باشا ، المجاور لنا ، مفتحاً تفتحا جيداً ، وزاهيا . ويغلب على ظنى أن الفدان يجنى فيه قنطارا ونصف فى الجهة البحرية – أى المجاورة لنا – أما فى القبلية فلا يتجاوز ما يجنيه الفدان قنطارا ، وقد يكون أقل من ذلك ! والغالب أنه لا يتحصل من مجموع الزراعة فى هذه الجَنْية على أزيد من قنطار وثلث قنطار .

وقد حضر تاجر ، وعاين القطن فى مخزنه – جيده ورديئه – وأعطى فى القنطار سبعمائة وأربعين قرش ، من أول لوزة لآخر لوزة ، بما فيه الساقطة والاسكيرتو (. ...)(١٠٨) . وكان الوسيط

---

(١٠٧) قراءة تقريبية .

(١٠٨) كلمة غير مقروءة .

۲۳٥٠
بينى وبينه العمدة ، فقلت : إنى أستشير ، فإذا وجدت أن هذا موافق بعثت إليه بالقبول . وقد أخذ العمدة عنوانه ، وانصرف . وإنى أميل إلى هذا الثمن ، ولكن التأخير ربما كان أفيد ، لأنه ربما بلغ إلى ١٠ جنيه ! والله أعلم !

وقد أعجبنى شغل البستانى فى الجنينة ، ولكن لمّا يتم بعد تنسيقها . وقد كان فى النية أن أعود غدا ، ولكن ربما تأخرت ، لأنى أجد هنا شيئا من الراحة .

[ص ١٧٢٣]

قد اخترت العزلة ، وزهدت فى الإجتماع ، واشمأزت[١٠٩] نفس من التكاليف الرسمية[١١٠] ، ومن أربابها ! ولا يلطف من هذا الاشمئزار ما يقابلها من المزايا ، التى ربما ينالها الانسان إذا أحسن القيام بها . إما (أولا) فلأن هذه المزايا قد لا تُدرك ، فيكون قد تعجل المشقة ثم باء بالخسران . وإما (ثانيا) فلأن هذه المزايا ترجع كلها إلى الماديات ، وما عداها فأوهام لا حقيقة لها البتة . والماديات تنحصر فى سعة العيش ، وفى الثروة .

ولكن لا ينبغى للعاقل أن يجعل حريته فرطا لشهوته[١١١] ، التى يمكن إرضاؤها بالقليل ، ولا يمكن أن تقف عند حد إذا استشرى[١١٢] معها !

---

(١٠٩) فى الأصل : واشمئزت .

(١١٠) يقصد بالتكاليف ، « التكلف » أى التصنع فى الاجتماعات أو اللقاءات الرسمية .

(١١١) يقصد سعد زغلول بهذه العبارة ، أنه لا ينبغى للعاقل أن يفرط فى حريته لحساب شهوته .

(١١٢) قراءة تقريبية ، والمعنى : إذا سايرها .

فإذا كان له من المال ما يكفيه شر الحاجة إلى الغير ، وما يقوم بلوازمه الضرورية من غير حرج ولا ضيق ، لزمه أن يقنع بذلك ، ولا يلتمس الزيادة منه بما يُضيق عليه فى حريته ، ويقيده فى استقلاله . فإنه إذا مال للزيادة فلا ينتهى ميله عند حد ، ولا تقف الزيادة به عند غاية ، فيبقى طول حياته مستزيدا ، وطول أيامه محروماً من الحرية والاستقلال .

ولقد جربت ، فوجدت أن لذة الحياة فى الحرية ! وأريد بالحرية أن يفكر الإنسان فيما يشاء ، ويعتقد ما يحكم به عقله ، ويقول ويكتب ما يعتقده حقا ، ويعمل ما يعتقده نافعه بما لا ضرر للغير فى إبدائه أو عمله .

وإن أول إنسان محروم من هذه اللذة فى مصر ، هو كل مصرى يشغل وظيفة عالية الآن ! ولكن الاحساس بهذا الحرمان والتألم منه ، يختلفان باختلاف النفوس واستعدادها .

فمنها طائفة لا تشعر به أصلا ، لأنها تعتبر الوظائف رزقا يعطيه ولى الأمر لمن يريد ان يخصه بعنايته ، لكى يتمتع بما عُين لها من المرتبات ، فى مقابلة محسوبيته عليه ، وطاعته له ، وتنفيذ رغباته ، والحرص على مرضاته بالوسائل التى يرتاح إليها .

ومنها طائفة تشعر به ، ولكن لا تتألم منه ، لأنها تعودت الهوان ، وألفت صُوره ، فلا تتأثر برؤ ياها .

ومنها من يشعر ويتألم ، ولكن حبه للعلو الوهمى فى نفوس الضعفاء ، وحاجته للمال الذى [ص ١٧٢٤] يتناوله ، أو شدة طمعه فيه ، تجعله يتحمل هذا الألم أكثر من تحمله ألم الحاجة أو فوات المطمع .

الأصل فى وظائف الحكومة ، فى جميع البلاد المستقلة التى تحكم نفسها بنفسها ، أن تكون لمنفعة الأمة . ولكنها فى الأمم المحتلة بأجنبى ، تكون لمنفعة الأجنبى ضد الأمة . فواجب الموظفين تشجيع الأفراد على[١١٣] تقوية مواهبهم الفطرية ، واستثمارها ، والانتفاع بثمراتها ، وعلى تنمية روح الوطنية فيهم ، وتمكين التضامن بينهم ، وعلى تكريم العوائد القومية ، واحترام الشعائر الوطنية ، بدلا من العمل على اضعاف قواهم الطبيعية ، ومنعها من أن تبلغ كمالها ، وعلى إماتة الشعور الوطنى فى النفوس ، وتفريق وحدتهم ، واحتقار عوائدهم ، والاستخفاف بحياتهم حتى الدينية منها .

وبمقدار ما يكون فى الموظف من القدرة على ذلك ، بمقدار مايكون مرضيا عنه ومكفولا له البقاء فى المنصب ، وعلو الكلمة فيه ، والترقى إلى أعلى منه . ولهذا لا يقع اختيار ولاة الأمور فى هذه الأمة إلا على من توفرت هذه الكفاءة فيه ، أو القابلية لها . وإذا اختاروا غيره ، فلا يكون إلا غلطا منهم فى الاختيار ، يعدلون عنه بمجرد الشعور به .

ومن ثم لا أرى وجها لانتقاد الرؤساء فى إختيار مرؤوسيهم من ذلك الصنف ، فإنهم إنما يعملون بمقتضى الحال التى يكسبوا بها طبعا ، وإن كانوا محتلين ، أو طبعا إن كان محتلاً فيهم[١١٤] .

---

(١١٣) فى الأصل : « فواجب الموظفين « عوض أن يكون تشجيع الأفراد على » . . إلى آخره وهى عبارة ركيكة ، ولذلك حذفنا الكلمات الزائدة لتستقيم العبارة . ومما يذكر أن سعد زغلول شطب عبارات كثيرة فى هذه الصفحة ، ولعله نسى شطب الكلمات التى شطبناها .

(١١٤) فى الأصل : « إن كانوا محتلا فيهم » والعبارة ركيكة .

وأرى من الخطأ ، بل من التناقض ، أن تميل النفوس الكريمة لهذه الوظائف ، لأنها لا يمكن أن تنالها مادام الكرم معروفاً فيها وإذا قضت الصدفة بالحصول عليها فلا يلبثون فيها إلا قليلا ، ثم يُعزلون منها عندما تنكشف حالهم . ومع ذلك فلا يمكنهم أن يذوقوا فيها اللذة التى[١١٥] يذوقها المفكر من الفكرة النافعة ، ولا العامل من العمل الصالح ، ولا تطمئن [ص ١٧٢٥] ضمائرهم لما يعملون ، بل تتألم منه أشد الألم ، لأنهم يجدونه ضد ما يشتهون لقومهم ، وما يتمنون لأمتهم .

وكلما علت هذه الوظائف ، وتضخمت مرتباتها ، وتعددت المزايا التابعة لها ، كلما ثقلت تكاليفها على الضمائر الحرة ، والذمم الراقية[١١٦] .

فالوزير لا يُكتفى منه أن يمضى ما يعرضه عليه المستشار[١١٧] من الأوامر ، من غير فهم ولا جدال فيها ، بل يلزم ، فى كثير من الأحيان ، أن يقترح هو الأوامر التى تساعد على تمكين سلطة الأجنبى ، وإضعاف قوة الوطنى ! أو أن يقترح طرق التنفيذ لها ،

---

(١١٥) فى الأصل : الذى .

(١١٦) تلت هذه الجملة عبارة شطبها سعد زغلول ، وهى على النحو الآتى : « فقد يكون فيها ما يجب على الموظف أن يفعله ، وأن يترضى الناس عنه ، وبما كان فيه من الضرر بهم ويقنعهم بفائدته مهما كان فيه من الغضاضة على نفوسهم ، والضرر بمصالحهم . فلا يكفى أن لا يعترض عليها ، بل يلزم أن يقبلها ، وأن يعتقد بصوابها ونفعها ، وأن يقنع غيره بكل ذلك » . ويقصد سعد بالموظف هنا : الوزير .

(١١٧) يقصد المستشار الانجليزى .

وأن يقنع الناس بصحتها وفائدتها ، مهما كان فيها من الفساد والضرر لهم !

وإذا تردد ، أو قصر فى شىء من ذلك ، ضعفت الثقة بـه ، وسقط من وزارته عند أول تغيير يقع فى هيئة الوزارة ، بعد أن تُشَهْر بـه الجرائـد ، وتعدد مـا يكون فى أخـلاقه من الهنـات التى كانت تسترها .

ويجب عليه ، إذا استاء الناس من مشروع من المشروعات ، أن ينسبه إلى نفسه ! وإذا فرحوا به أن يسنده إلى مستشاره !

وإياه ، ثم إياه ، أن يحبب النـاس فيه بعمـل ، أو قول ، أو إشارة ، أو إيماء – خصوصا إذا كان فى ذلك ما يفهم منه – ولو من بُعد – معارضة مستشاره أو مفتشه .

وعليه أن يفخم عمل كل أجنبى ، ولو كان حقيرا ! ويصغر من عمل كل وطنى ، ولو كان كبيرا ! وأن يعلن فى كل وقت ، وعند كل فـرصة ، ان قـومه لا يصلحـون لـلاستقـلال ، ولا قـابليـة فيهم للتعليم !

وأن يبادر إلى إيقاف كل حركة ترمى إلى توحيد شعـورهـم ، وتقـوية الصـلات بينهم . وأن يصف بالحمق والتهـوس والـطيش والخفة والجهل ، كل عمل أو قول يقصد به الدفاع عن حق يعتدى عليه ، أو كرامة يُقصد إذلالها .

وأن يؤمن بأن بلده لا يمكن أن تعيش وحدها ، بل لابـد أن تكون تابعة لغيرها ! ولابد أن يكون هذا الغير هو الذى احتلها ، لأنه أعدل من سواه ، وأرحم !

ويجب عليه أن لا يتخابر مع مـرؤسيه من [**ص ١٧٢٦**] غير واسطة مستشاره ، وأن لا يخاطبهم بأمر يتعلق بوظائفهم قبل أن يكون تكلم فيه مع مستشاره واتفق عليه – وإن كان من قبيل أخذ آرائهم واستطلاع أفكارهم !

ويجب عليه أن لا يعرف الحقائق إلا عن الطريق الذى يُعيَّن له ! فإن اتصلت به من غيرها كانت باطلة ! ولا ينبغى له أن يبنى عليها عملا أو قولا .

ويجب عليه أن لا يكاشف صاحب المقام الرسمى(١١٨) بشىء يتعلق بوزارته ، ولا يعرض عليه فكرا ، قبل أن يكون اتفق عليه مع مستشاره(١١٩) ، وأذن له فى عرضه على ذلك المقام .

ويجب عليه أن لا يجتمع مع إخوانه الوزراء إلا بحضور المستشار المالى ! وإذا وقع خلاف ذلك لزم أن يحكى كل مادار بينه وبين أقرانه من الكلام ، ونقله – على الأقل – لمستشاره .

ويجب عليه أن يتسع صدره لكل مـا يبدو من مـرؤوسيه من ضـروب الاستخفاف بـه ، وأنواع الامتهـان له ! ويجب عليـه أن لا يظهر مساعدة لأحد من مرؤوسيه أو المتعاملين معه . وأن يصبر حتى على ظلم أقاربه والمنتسبين له .

ويجب عليه أن يكتتب بالمبالغ الـطائلة فى كل مشـروع اتخذه المحتل تحت رعايته ، وأن يحمل غيره على الاكتتاب !

وأن يبادر إلى توديع الراحل ، واستقبال القـادم منهم ، وأن

---

(١١٨) يقصد : السلطان .

(١١٩) أى : المستشار الانجليزى .

يقدم إلى قرينته ما تميل إليه من تحف وطُرف ! وأن يكثر من الولائم لهم ولأصدقائهم . وإذا كان يقيمها فى بيته مع حسن الاستعداد والترتيب ، كان ذلك أدعى للميل إليه والعطف عليه ، وتلقيبه عند الاقتضاب بلقب « جنتلمن » Gentlman .

وأن يكـون أول من يهنىء فى التهـانى ، وأول من يعـزى فى التعازى !

يجب عليه كل ذلك ، وأزيد منه مما لا يمكن القيام به ، إلا لمن انخلع عن قـوميتـه ، وتجـرد عن شخصيتـه ، وتحلل من قيـود الوطنية[١٢٠] .

فى يوم ٢٢ أكطوبر سنة ١٩١٦

اعتكف عظمة السـلطان فى سراياه بجبـارس يوم العيـد الأكبر . قالوا : راحة للنفس من عناء الأعمال ، وترويحاً لها بالمناظر الجميلة والهواء الطلق ! ولكن ما لبث حتى أخذت الاشاعات تدور على الألسنة : تارة بأنه أصيب فى عقله ، وتارة بأنه منى بعلة كبيرة يتعذر البرء منها ، مع شيخوخته وشدة انفعالاتـه . وذهبوا إلى أن قالوا بأن القوم يتحدثون بولاية العهد ، لأن [ص ١٧٢٧] ابنه رفضها . واتفقت الآراء على البرنس فؤاد !

وقد أثارت هذه الإشاعة سخط العارفين بأخلاق هذا الأمير ، وبعده عن الوطنيين ، وميله للانتقام،وودوا لعظمة السلطان الشفاء التام ، حتى لا يروا هذا الأمير يتصرف فى الشئون والأحكام[١٢١]

---

(١٢٠) هذه أبلغ وأبشع صورة صورها سعد زغلول للوزير المصرى تحت حكم الاحتلال .

(١٢١) كان من سوء حظ مصر أن هذا الأمير أصبح ملك مصر فيما بعد .

ولكن هناك من هزوا أكتافهم لسماع هذه الإشاعة ، وقالوا : لا يهمنا أن يتسلط هذا أو ذاك ، لأن هذا المركز صار فى عداد الآثار ، ولا أهمية له إلا عند صغار الأحلام الذين لا يعرفون حقائق الأمور ، ولا يدركون من الأشياء إلا الظواهر . لأن صاحبه ليس له إلا الألقاب والمرتبات ، ولا تأثير له فى تدبير الأمور ، ولا كلمة فى تنظيم الشؤون ، ولا يقدر على نفع أو ضر ، وقد سلب منه حتى حق التفرد بأبهة الملك وشاراته ، والتخصص بتعظيماته .

فقد شاركه فيها نائب الملك ، وصارت تنقلاته(١٢٢) معدودة فى الرسميات،وصار الاحتفال بها من الواجبات ، فلا يتحرك ركابه بسفر أو عودة حتى تزين له المحطات ، وترفع فوقها الرايات ، وتبسط البسط المحمرة ، وتصف الأشجار المخضرة ، وتدعى الأعيان والعمد وذوو الوجاهة والرتب ، وتقف العساكر مصفوفة صفا صفا ، والناس مرتبة صفا صفا ، وتطلق المدافع إيذانا بالرحيل أو القدوم ، وهو يسلم على المحتفلين.ويصافحهم باليد أو بالاشارة،ويوزع على المنتظرين من الهشاشة والعبوس ما يسمح به ميله ، وتقتضيه ظروف الأحوال(١٢٣) ، ويرُد له المهشوش له [ص ١٧٢٨] مستبشرا فرحاً ، والمعبوس فيه مبتسما وجلا .

---

(١٢٢) أى تنقلات نائب الملك . ولم يكن هذا اللقب هو لقب ممثل الاحتلال فى مصر ، بل كان لقبه قبل الحماية هو : المعتمد البريطانى والقنصل العام وأصبح بعد الحماية : « المندوب السامى » أما لقب « نائب الملك » فكان فى الهند . وقد استخدمه سعد زغلول ، من باب المبالغة ، والتدليل على أن « المندوب السامى » البريطانى كان ينتحل مظاهر نائب الملك فى الهند .

(١٢٣) استبدل سعد زغلول هذه العبارة بعبارة أخرى مشطوبة تؤدى المعنى بطريقة أخرى وهى : وهو يسلم على المحتفلين « كل حسب منزلته لديه ، ويقسم عليهم البشر والابتسام والكلام على حسب منازلهم » .

قـالوا ذلـك ، وأردفوه بـأنه لا ينبغي لمصـري أن يعتقد ، أو يتصور من الآن أن السلطان ووزراءه[١٢٤] قابضون على شيء من السلطة ، وانما هم أشبه شيء بـ (. . .)[١٢٥] الذي يصنع على مثال العجل ، لتخدع به البقرة ، فتحسبه مولودها ، فتحن اليه ، فتدر اللبن للحالب .

ولذلك سواء علينا تولى هذه المراكز قوم أم آخرون ! إذ (مادام في قصر الدوبارة ربه ، فسعد دنلوب لَعَمْرِكَ واحد) ! وإذا وجب التقـرب ، فـلا يصـح إلا إلى من بيـدهم السلطة الحقيقيـة في البلاد ![١٢٦] .

عدت اليوم من مصر في قطار «المفتخر» ورأيت في قطار الدلتا رجلا يونانيا طويل القامة أزرق العين[١٢٧] أسمر اللون ، مليـح الهيئة ، حسن البزة ، في العقد السادس من عمره . ووجدته ساخطا على الحلفاء سياستهم في بلاده ، وجبرهم لها عـلى الحرب معهم قال : لا فائدة لنا من الحرب ، ولا معنى أن نحارب لفائدة الحلفاء ، وما اتفقنا مـع الصرب[١٢٨] الا لأن نمنـع البلغار من أن تكبـر في

---

(١٢٤) في الأصل : « ووزرائه » .

(١٢٥) كلمة غير مقروءة .

(١٢٦) هذه الصورة القاتمة الحقيقية التي يرسمها سعد زغلول ، تبين ما آلت إليه السلطة الشرعية في البلاد بعد اعلان الحماية البريطانية – وكانت قبل الحماية – في عهد عباس حلمي الثاني تملك من القوة ما تناوىء بـه السلطة الفعلية وهي سلطة الاحتلال .

(١٢٧) في الأصل : « أزرق الشعر » ، وهي سقطة قلم .

(١٢٨) في الأصل : « السرب » بالسين .

٢٣٥٩

البلقان ، فيختل التوازن بين ممالكه ، ولكن صربيا[١٢٩] لم تكن فى هذه الحالة ، وإنها أرادت أن تعطى البلغار أراض من عندها تتسع بها وتكبر ، وبخالفت بذلك العهد بيننا ، فلاحق لها أن تطمع فى مساعدتنا وما منعنا الحلفاء شيئا من أرضنا ، فاحتلوا قسما منها من غير معارضة منا . فما بالهم يريدون بعد ذلك حملنا على محاربة قوم لم يؤذونا ، ولم يفعلوا معنا الا أقل مما فعلوه هم .

قال : دائما لست مع حزب الأحرار ، ورفضت أن أكون فى لجنة الدفاع الوطنى . والذين يرفعون منا أصواتهم بأنهم يميلون اليها ، يخفضونها عندما يذكر التطوع للدفاع ! وإنى يسرنى كثيرا أن يؤمنوا بالتجنيد، فإن كل هؤلاء الصائحين ينقلبون ويتندمون، مع أن الكثير منهم إنما يفعلون ذلك منافقة للدولة الحالية حتى لا تحرمهم من هذه الديار .

واسم هذا الرجل كوستى ماكرى Costi Macri بميت غمر وقد تركته عند محطة صهرجت ، بعد أن فهمت منه أن كان تاجرا كبيرا خسر مالا كثيرا .

[ص ١٧٢٩]

أعطى تاجر من ميت الشرفا فى القطن ٧٧٥ ، مساعدا الاسكيرتو ، فلم أقبل (. . .)[١٣٠] وبلغ ماجنى لغاية الآن منه ٢٦٨ قنطارا .

كنت فى دمنهور أمس ، حيث زرت عزبتها . ولم أسر كثيرا من

---

(١٢٩) فى الأصل : « سربيا » .

(١٣٠) عبارة غير مقروءة .

٢٣٦٠

الناظر لأنى رأيته غير ثابت في رأيه الزراعي ، ورخو في إدارتـه . فلننظره إلى أجل ، لعل له عذرا .

عند عودتى من دمنهور أمس ركب معي وكيل مديرية البحيرة ، وفهمت منه أن رشدى باشا كان فى جبارس ، وأن القطار الذي نحن فيه سيقف بايتاى - على خلاف عادته - ليأخذه . فلما وصلنا اليهـا نزلت ، فوجدت رشدى باشا ، وركبت معه فى صالونه الى مصر . وفهمت منه - كما فهمت من صادق رمضان قبله - أن عظمته مريض بالحمى والأمعاء ، وأنه لم يكن يتقبل العلاج ولا زيارة الحكـماء ، فألح عليه في العدول عن هذا الاباء ، وأن حالته تتحسن رويـدا رويدا . وأن السلطانة أهدت حرمه حجرة أرو وأرسلتها معه . وقال إن[١٣١] الإنكليز غير راضين عن محمد سعيد ، وإنه كان يريد عزله من الجمعية[١٣٢] وإنه ترجاه بواسطة صادق رمضان البقاء فيها ، وانه مع ذلك يدس الدسائس له ، إذ أن طبيعته تميل الى الدس . وإن حسن صبرى لا يبقى فى وظيفته حتما ، وإنه هو يميل الى تعيين عبد العزيز فهمى ، ويرشحون أيضا أحمد رأفت . وأبهم القول فى الخلاف بين « سسل » و« جراهم » .

وإنه هو الذى ألزم زوجته الترؤس على لجنة النساء ، لتقديم هدية الى قرينته،وتورط فيها بواسطة جعفر والى .

قلت : ومما يكشف نوعا أنه لم يشترك فيها الا عدد من نساء الوزراء والمديـرين . وقال[١٣٣] إنـه لا صحة لحصـول تعديـل فى

---

(١٣١) فى الأصل : « وأن » .
(١٣٢) قراءة اجتهادية (أنظر الجزء ٥ ص ٢١١) .
(١٣٣) فى الأصل : « وأنه » .

٢٣٦١
الوزارة،وإنه يشك فى صحة ما ينسب الى إبراهيم فتحى باشا[١٣٤] من تداخل زوج ابنته فى الإيجارات[١٣٥] . وإن عبد الحميد أباظة ضده، أى ضد فتحى . وإنه لاحق للناس فى أن يتوهموا أنه لا عمل للوزراء ، بل لهم عمل ، ولولا ذلك لما بقى فى مسنده طرفة عين . وقال إن[١٣٦] حلمى[١٣٧] يؤيد ، فى كثير من الأحيان ، ما يقدم اليه من التقارير مع مخالفتها لآراء الخبيرين ! ففى مجلس الوزراء يناقضه السلطان بخبرته الزراعية أحيانا ، ويعارضه فى بعض [ص ١٧٣٠] الأوقات اسماعيل سرى[١٣٨] لفهمه فى الرى ، وهو عوض أن يتأمل فى مناقشتهم واعتراضاتهم ، ويطلب مراجعة عمال وزارته فيها ، يؤيدها بلا دليل،ويسندها بلا تعقل ! مثلا قال : إن الأرض المنزرعة قطنا هى كذا ، فعارضه سرى باشا بأن ذلك غير ممكن لأن المياه التى صرفت لا تكفى لهذا المقدار له .

غير أنى فهمت من سرى أن الأمر بالعكس ، وأنه هو الذى كان يقول عن مقدار أزيد من المقدار الذى يقول عنه وزير الزراعة له . ولكنى راجعت سرى فى أن دليله غير منتج ، لأن هناك زراعات تزرع مع القطن ، وتطلب الماء مثله أو أكثر منه ، فلم أظفر منه بجواب . وبعد ذلك وصل القطار الى محطة مصر .

---

(١٣٤) إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف من ٢٠ مايو ١٩١٥ بعد استقالة اسماعيل صدقى باشا .
(١٣٥) قراءة تقريبية .
(١٣٦) فى الأصل : « وان » .
(١٣٧) يقصد أحمد حلمى باشا ، وزير الزراعة .
(١٣٨) وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية .

٢٣٦٢

فى يوم ٢٣ أكطوبر ١٩١٦

نمت أمس من الساعة ٩ ، ولم أتعش الا بلبن وقشدة . وقلقت أثناء الليل طويلا ، ورأيت أحلاما غريبة ، تصورت فيها أشخاصا لا يخطرون لى فى اليقظة ببال ، فى أحوال عجيبة ! ولكن لا أتذكر شيئا منها الآن . ويحدث لى هذا كثيرا ، كلما نمت فى مكان هادىء يشمله السكون من كل جانب . ولا أجد لهذا تعليلا اللهم الا أن السكون التام يخلى بين الروح والأمور الخارجية فلا تشتغل بها ، وحينئذ ترجع اليَّ الصور الماضية والحركات الخيالية ! والله اعلم !

وقد أصبحت منشرح الخاطر ، وكان الجو رطبا ، والضباب يحجب الشمس ، فلا تكاد الأشياء ترى . وبعد أن أفطرت ، جلست الى الكتابة والقراءة حتى منتصف الساعة التاسعة ، ثم حضر عبد الرحمن بك وهدان ، فجلست معه قليلا ، وصحبنى الى الغيط حيث زرته ، ثم سار الى بلده وعدت الى منزلى .

وحضرت الجرائد . فقرأتها ثم تغديت ، وقليت[١٣٩] ، وعدت إلى الغيط . وبعد أن طفت نواحيه عدت .

وانتهى جنى القطن ، وبلغ ما دخل المخزن منه إلى الآن عدد ١٨٠ قنطار ، منها تسعة اسكيرتو ، وهذا بخلاف وفر المخزن الذى يبلغ خمسة فى المائة ، ورطل ونصف زيادة فى وزن الكيس عن المقدر له.وبناء على ذلك ، يمكننا أن نقول إن الفدان أنتج أربع قناطير وربع ، فالحمد لله على ذلك ، ونطلب منه تعالى أن يوفق الى البيع بأسعار مناسبة ، تسد الديون وتقينا شر تجديدها ! آمين .

---

(١٣٩) وقليت ، أى غفوت فى الظهيرة . تقول : « قال » من باب « باع » ، « وقيلولة » أيضا . (مختار الصحاح) .

[ص ١٧٣١]

فى يوم ٣٠ أكطوبر

عدت إلى هنا - مسجد وصيف - اليوم فى منتصف الساعة الثالثة . وذهبت توا إلى الغيط ، فوجدتهم مشتغلين بتهيئة الأرض لزراعة القمح والبرسيم .

ولم يحسن فى نظرى ما زرع من الأخير ، لأنه مبقع ويشتبه أن يكون مطيرا. ووجدت أن نقاوة القطن انتهت ، وكذلك - بالطبع - جمعه . وبعد أن زرت المشاتل ، عدت فزرت الحوش والمخازن ، واستفهمت عن كثير من الأحوال ، وتغديت حيث كانت الساعة ٤ بعد الظهر .

وعلمت أن محمود باشا حضر أمس مع مستر براون ، رئيس قسم البساتين فى وزارة الزراعة ، والريس أحمد ، ثم عادوا . فضحكت من هذا التقليد إلى حد[١٤٠] القهقهة منه . وقد جلست وحدى وكتبت هذه الكلمات .

قابلنى فى القطار الشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، ورأيته يشدد النكير على الإنكليز فى كونهم لم يجاملوا السلطان ، وزاحموه حتى فى مظاهر الأبهة والإفتخار . وفى احتجاب العميد مكماهون عن الناس ، وفى تخبئة نفسه[١٤١] لزائريه من وفود الأقاليم .

قال : وقد ذكرت ذلك لبعض عظمائهم وقلت لهم : إن أهل

---

(١٤٠) غير موجودة فى الأصل .

(١٤١) قراءة اجتهادية .

مصر يبغضونكم ، لأنكم لا تحسنون معاملتهم ، ولأنكم قد ظهرتم بالسلطة بعد أن كنتم تعملون وراء حجاب !

قال هذا وغيره مما أخذت منه أنه لم يكن فى مثل الحظوة السابقة .

فى ٣١ أكطوبر سنة ١٩١٦

نمت أمس من الساعة ٨ مساء ، واستيقظت عدة مرات ، ولكنى أصبحت مستريحا .

وكان الفطور دسما : عسلا ولبنا وقشدة وبيضا مقلوا[١٤٢] بالسمن . وبعد الإفطار ، ذهبت راكبا حماره إلى الغيط ، فطفت نواحيه - وخصوصا الجهة التى تحرث للقمح . فما وجدت شيئا يكون موضوعا للمؤاخذة ، إلا ما أجهله وعدت .

وكان فكرى ، كلما أرقت ، يسبح فى القطن وأسعاره ، وما يلزم أن أصنعه من بيع الكل أو البعض ، أو التمهل حتى تزيد الأسعار ارتفاعا ! وترد على فكرى خواطر لا أقدر على ضبطها ، ولا فائدة من إثباتها فى هذا المكان ، [ص ١٧٣٢] وربما ذكرتها فى مقام آخر .

لا تهتم بحاسديك ، فإنك تُريحهم باتعاب نفسك ، وتُسرهم بتكدير خاطرك ، ثم لا تثنيهم عن حسدك .

لا تحسن الشىء رغبة مباهاة الغير به ، بل لكى تتمتع أنت ومن تحب بحسنه .

(١٤٢) فى الأصل : مقلو .

الإحسان إلى اللئيم يطمعه فيك ، ويجرئه على الاستزادة من إحسانك ، واستغلال ما يصل إليه منه .

لا فضيلة فى قوم استعبدهم[١٤٣] الغير ، ولا يميل المستعبد إلا لمن يتفانى فى العبودية له ، والخضوع لسلطانه .

أول مبادىء الاستعمار أن يعمل المستعمر على محو كل رابطة عامة بين المستعمرين ، مهما كان نوعها ، وله فى ذلك وسائل تختلف باختلاف طبيعته ومهارته فى الإستعمار ، واستعداد من يستعمره من الأقوام ، وطبيعة ما يراد محوه من الروابط ، وظروف الأحوال التى يحصل الاستعمار فيها .

فى يوم الاثنين ١ نوفمبر

قدمت اليوم من مصر ، بعد أن تكلمت مع مدير الغربية بالتلفون ، فى شأن البوص الذى تريد مصلحة الرى قلعه من جسر البحر الأعظم - ووعد بالنظر . وقد رأيته اهتم بالمسئلة ، وأمر بالكف عن القطع ، فشكرته تلغرافيا .

ومررت بالزراعة فوجدتها على ما يرام وأكلت طاجنا صنعه محمد على ، مثال ما يصنع فى بلاد الأرز . وكان لذيذا يضاهى أصله .

وحضر العمدة ، ثم الشيخ المغربى ، وكان الحديث معهما منحصرا فى أعمال الرى ، وأخبار القطن .

---

(١٤٣) فى الأصل : «تعبَّدهم » ، وهى بنفس استعبدهم ، ولكنها غير شائعة .

وتقابلت مع على المنزلاوى فى الطريق إلى بنها ، ولم أجـد فيما جرى بيننا من الحديث ما يستحق الإثبات .

حضورى إلى العزبة ، وانفرادى بها ، يثير فىَّ هواجس خاصة ، وميولا غريبة ، لا أقدر على التعبير عنها ، ولا أستطيع بيانها ، ولكنها تغيب عنى إذا اشتغلت عنها بشاغل .

تقابلت أمس مع البرنس فؤاد فى النادى ، وكان غايةً فى اللطف وحسن الإستقبال . وقد لعبت دورا من ورق البوكر صغيرا جدا ، ولكنى مع ذلك خسرت فيه تسعة عشر جنيها . وسهرت إلى الساعة ثلاثة . فلا صحة أبقيت ، ولا مال جنيت(١٤٤) . ولعنة الله عـلى هذه العادة السيئة ، ولعن من يألفها ألف لعنة فى كل دقيقة .

[ص ١٧٣٣]

ولم أنم أمس إلا قليـلا جدا ، فهـذا السفر أتعبنى(١٤٥) وإنى أكتب الآن هـذه السطور فى السـاعـة ٧ مسـاء ، والنـوم يغـالبنى وأغالبه ، ويحدث أن القلم يقف ، والعين تنطبق ، والرأس تميل ، ثم أتنبه على هذه الحالة ، ومع ذلك لا أقطع الكتابة ، ولا أستطيع صرف هذا العارض . وربما وجدت ذلك بـاديا فى العبـارات التى سطرتها فى هذه الآونة .

أقصى مـا أتمنـاه الآن أن أعيش متنعـما متلذذا ، خصـوصـا بالماديات . وكلما خلوت بنفسى ، وانفردت وحدى ، تفكرت هذه اللذائذ ، وشفى الفكر فيها عن عذابى ، ولا أدرى إن كـان ذلك

---

(١٤٤) وقد تقرأ : « جلبت » . وكلاهما بمعنى واحد .

(١٤٥) فى الأصل : « أتعبانى » .

ناشئا من التقدم فى السن ، أوفى الفراغ من العمل ، أومن الأمرين جميعا !

فى يوم الثلاثاء ٧ منه

نمت أمس من الساعة ثمانية ، ولم أتعش اكتفاء بما أكلت ، وبأودة مغلقة كانت غاية فى الجودة . وكان النوم مستريحاً ، إستيقظت فى أثنائه عند الساعة عشرة ونصف ، واثنين ، ثم نهائيا عند الساعة السادسة . وأصبحت مستريحا منشرح الصدر .

وبعد أن حلقت ، أفطرت عسلا ولبناً وقشدة وحليب بشاى ، ثم قهوة تناولتها أثناء كتابة هذه السطور . وأشعر بانشراح فى صدرى ، وأتمنى لو كنت مع من أحبه فى هذا المكان لأنى مسرور منه ،وإذا انضم إليه الصديق الصادق كان ذلك أروع للنفس ، وأبعث على الهناء .

يظهر من جميع الأحوال التى مررت بها ، ومن كل الأمور التى تواردت على فى الأنس والوحدة ، والحزن والفرح ، والرخاء والشدة - أنى لا أرتاح إلا للعيشة الشرعية ، والسيرة المرضية ، ولا أتهنأ بحال إلا إذا كانت خالية من الشوائب . ولهذا وجب على أن لا أحاول سواها ، ولا أعيش إلا إياها .

قرأت اليوم فى الجرائد أن شركة « روتر » نشرت بلاغاً رسمياً بتعيين السير ونجت باشا ، حاكم عموم السودان ، نائبا للملك فى مصر ، بدل هنرى مكماهون . وإن هذا التغيير يتم فى آخر السنة الحالية .

فأخذتنى هزة من الفرح ، لكونى أعرف الرجل ، ويعرفنى . وتذكرت أياماً قضيناها ، خصوصا فى كرلسباد ، حيث رويت له قصتى مع كتشنر ، فأظهر أسفه من خروجى من الحكومة .

وأخذت الآمال تتردد على نفسى ، ولكنى تعجبت فى الحال من انبعاث هذه الآمال ، والفرح بها ، مع كونها : أولا ، مناقضة لاعتقادى السابق فى الاحتلال ، وما وطدت النفس عليه من العيشة فى الإعتزال [ص ١٧٣٤] والبعد ما أمكن عن الحياة الرسمية . وثانيا ، لأن هذا الرجل ، على لين عريكته وبشاشة وجهه ، قد أخذ من الإعراض عنى ما لا يصح لى أن أوسع من الأمل فيه .

فقد أقام حفلة شاى - بعد إنفصالى - بمنزله فى الجيزة ، ودعا الناس إليها من كل الطبقات ، ولم أدع إليها ! وما كان ذلك منه نسياناً ، لأنه لا معنى لنسيانه وتذكر أمثالى ومن دونى ، ولكنه فعل ذلك رعاية لخاطر كتشنر !

ولهذا فإنى مستحق اللوم أمام نفسى على هذا الرجاء ، وينبغى لى أن أرجع فيه .

وقد بعثت - قبل هذا - إلى معاليه تلغراف تهنئة قلت فيه : « أقدم لفخامتكم أجل عبارات التهانى القلبية بالمنصب الجديد السامى ، وأرجو لمصر فى عهدكم السعيد زيادة الخير والإرتقاء » . ولم يقبل تلغراف صهرجت أخذه وإرساله ، لعدم إشتراك مصلحة البوستة مع حكومة السودان .

قبل أن أفرغ من كتابة هذا ، ورد على تلغرافان : أحدهما من محمود صدقى باشا ، بأنه قبل بيع الأقطان بسعر تسعة جنيه ، من أول لآخر جنيه . والثانى ممن يدعى شارل بسيونى ، بأنه اشترى قطن الباشا المشار إليه المذكور ، ويرغب شراء قطنى به .

فأجبت الأول بأنى نظرا لتعهد بعض التجار بشراء القطن بأزيد

٢٣٦٩

من أعلى سعر يعرض لى ، يلزمنى مخابرته ، وافادتكم ، والثانى بأن سأجيب تلغرافه بعد غد .

وقد عزمت أن أسافر إلى دمنهور غدا صباحا بمشيئة الله تعالى ، لزيارة أرضها ، وارتياد السوق .

ويجمل بى التحفظ فى الأمور العامة ، وعند الكلام على التغييرات القادمة . والله الموفق !

يوم الأربعاء ٨ منه

نمت أمس الساعة ٩ ، ولكنى تيقظت مرارا ، وكنت كلما تنبهت افتكرت فى القطن وأسعاره ، وونجت باشا ومصير البلاد معه ، وحالتى وما أصبو إليه من سعادة ونعيم !

وقد قمت من السرير الساعة ٤ وربع ، وبعد أن اغتسلت كالعادة أفطرت ، وكتبت هذه السطور ، وكانت الساعة ٥ بعد نصف الليل . وسأسافر بعد قليل إلى دمنهور من طريق زفتى .

وحضر العمدة عندى مساء ، وقال : أرجوك ألا تهمل مسئلة الغاب لأن الاهمال فيها يُجَرِّىء الحكام علينا ! فقلتُ :
الاهتمام حاصل !
وانصرف .

[ص ١٧٣٥]

ومع كونى نمت قليلاً ، ونوماً متقطعاً ، فلا أشعر بتعب ، ولا بانقباض صدر . وأرجو الله أن يستمر ارتفاع أسعار القطن حتى تعوض ما فات ، ويستر الله فيما هو آت . ونيتى إذا استمرت الأسعار فى ارتفاع ، أن أبيع البعض لتسديد المطلوبات ، وأستبقى البعض الآخر إلى ما شاء الله .

٢٣٧٠

فى يوم ١٥ منه

قدمت اليوم فى قطار الساعة ٢ بعد الظهر . وكنت رجوت بعض تجار الأقطان أن يحضروا ، ليعاينوا قطن قسم ثانى وقسم ثالث ، فوجدت محيى الدين بك ، ومن يدعى حسن جاهين . وآخر ما أعطى الأول ستمائة وخمسون قرشا ، والثانى ستمائة وثلاثون . وكل منهما أكد القول بأنه لا يمكنه أن يزيد على ما أعطى .

فقلت : وإنى لا أبيع بهذه الأسعار ، لأنه أُعطى[١٤٦] إلىّ فوقها بكثير - أعطى إلىّ ثمنا للقنطار ٩٧٠ قرشا ! فبهت الكل ، وانصرفوا منهزمين . وصاح الأتباع فرحين وهم يقولون : ما أبرك هذا البيع ، وما أرفع هذا الثمن !

وحمدت الله على أن السعر[١٤٧] لم يبلغ أكثر من ذلك ، لأنى كنت أقع فى ندم عظيم ! ذلك بأنى بعد أن بعثت أرجو هؤلاء التجار بالحضور ، بعت القطن بنفس المبلغ[١٤٨] قطعاً ، فإذا كانوا بلغوه ، أو زادوا ، كنت أندم على تعجلى[١٤٩] . ولكنهم لما كفوا عن الزيادة ، أجبتهم[١٥٠] بأن عندى فوق عطائهم . وإذا غربت الشمس من غير إعلان منى ، يكون البيع باتا .

وفى الحقيقة أن العقد تم اليوم . كما تم بيع أقطان قسم ثالث

---

(١٤٦) كلمة « أعطى » مطموسة بالحبر .

(١٤٧) يقصد : السعر الذى عرضه التجار عليه .

(١٤٨) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة بالحبر . ويقصد المبلغ الأعلى الذى ذكره للتجار ، وهو ٩٧٠ قرشا .

(١٤٩) يقصد : تعجله فى البيع قبل حضور التجار .

(١٥٠) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة بالحبر .

بمبلغ ستمائة وخمسة وخمسين ، على شرط أن يكون التسليم فى ظرف ١٥ يوما تمضى من تاريخه ، وأن يدفع من الثمن خمسمائة جنيه بعد باكر . وان لم يحصل ذلك أو بعضه ، كان العقد ملغى ، والطرف المقصر ملزما بتعويض للآخر قدره خمسين[١٥١] جنيه .

[ص ١٧٣٦]

فى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ٩١٦

مضيت ليلة ١٩ نوفمبر فى العزبة ، وعدت منها يوم ٢٠ منه . وفى يوم ٢١ ذهبت إلى دمنهور مع محمد بيك يوسف[١٥٢] ، وعدت منها إلى مصر فى اليوم عينه . وفى مسائه حضر التاجر ، ورغب شراء قطن الجيزة – إلى آخر ما هو مذكور فى مذكرات مصر[١٥٣] .

وقد عدت اليوم إلى هنا[١٥٤] ، فى قطار الساعة ٧ صباحاً ، ووصلت الساعة ٩ ، ولم أجد أن أكياس القطن وصلت . وقيل ان الكاتب ذهب إلى زفتى لاستلامها ، حيث وصلت من أمس إلى محطة زفتى

وقد زرت المزروعات و(. . .)[١٥٥] فوجدت الأحوال حسنة . وأشرت إلى الجناينى أن يعمل بعض التعديلات ، فوعد بالتنفيذ . وقيل إن تاجر القطن حاضر اليوم ، لأنه تكلم من كفر الزيات بالتلفون مع ناظر قسم أول ، وطلب منه ركوبة يحضر

---

(١٥١) قراءة تقريبية لأن الحبر جف من القلم .
(١٥٢) محمد بك يوسف والد مصطفى وعلى أمين .
(١٥٣) يقصد : الكراسة التى يكتب فيها فى مصر .
(١٥٤) يقصد : إلى العزبة .
(١٥٥) كلمة غير مقروءة .

عليها . فقال له إن المسافة قصيرة لا تحتاج إلى ركوب . وقد رأيت أن الدودة أضرت بزراعة البرسيم - خصوصاً من جوانب الطرق والله المسلم .

ومع كونى لم أنم أمس إلا قليلا ، فإنى مسرور ومنتعش والحمد لله . وقد قابلت الدمرداش فى طريقى ، ولم أشعر منه بحرارة اللقاء فى مشربه كالسابق والله أعلم .

وكان معنا كشك التاجر الثرى بزفتى . وقد دخل أول الأمر يختال فى هيبته ، ويعجب بطلعته ، ولكنه ما لبث حتى تواضع وسار فى الكلام معنا سير الظريف المؤانس ، لا الثقيل المشاكس .

وورد علينا قريب إلى وكيل نيابة زفتى ، وهو من عائلة بيومى بك الذى كان رئيس قلم فى نظارة الحربية ، وله بعض القرابة بدرويش بك سيد أحمد . وعلمت منه أن القطن نزل نزولا كبيرا ولحقه[١٥٦] انخفاض أسعاره فى البورصة ، وأن الحركة فيه قليلة لأن التجار كفوا نوعاً عن الشراء .

فى يوم ٣٠ نوفمبر

عدت أمس إلى العزبة ، فوجدت أن القبانى[١٥٧] لم يحضر وقيل إنه يحضر مساءً . ولكن مندوب التاجر حضر ، وقال : إن القبانى سيحضر مساء الغد - يعنى مساء الخميس - ويباشر الوزير بعده . فقلت للناظر : إن لم يحصل ذلك ، باشر قبانى طريقه

---

(١٥٦) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة بالحبر .

(١٥٧) « القبانى » ليس اسم شخص ، وإنما هو اسم وظيفة ، يطلق على الرجل الذى يزن القطن .

الوزن ، ثم إذا رغبوا بعد ذلك إعـادته فمصـاريفه عليهم . وتـم الإتفاق على ذلك .

زرت المزروعات ، فوجدتها بحمد الله نامية ، ووجدت الدودة فى البـرسيم قلّت وخفت وطـأتها لكبـرهـا . [ص ١٧٣٧] ووجدتهم يروون الأرض ، وقالوا إن ريها يميت الديدان .

وقــد كنت تعبـا ، لأنى مـا كنت نمت بـالليـل إلا قليـلا ، وما قليت[١٥٨] . فلما جاءت الساعة الخامسة لم أتمـالك نفسى من النعاس ، وانصرف المغربى لأستريح ، ودخلت السرير بعد نصف ساعة . وأيقظونى بعد نصف آخر ، لأجل مسئلة مندوب التاجر .

ثم نمت فى الساعة ٨ ثمانية ، وأكلت خبزة فلاحى ، صحبها سمن وقشـدة وجبن . وبعد سـاعة نمت . ثم تنبهت فى السـاعـة العاشرة ، ثم فى السـاعة واحـدة ، ثم فى الساعـة خمسة ، ثم فى السـاعـة سبعـة . ولم أرق كثيـرا من صحـواتى . وقمت منشـرح الصدر ، ويزداد سرورى كلما رأيت المزروعات من حولى ، والناس يعملون فيها ، وسمعت أصوات المـزارعين يسـوقون بهـا الماشيـة السارحة أو العـاملة فى المحراث ، أو أصـوات البهائم تخـور ، أو الخيل[١٥٩] تصهل ، أو الطيور تغرد فى السماء وعلى الأشجار . وكلما ألقيت عـلى الجنينة نـظرة ، رأيت الندى يبلل الأزهـار ، ويشبـه اللؤلؤ فوق أوراق الأشجار ، والنبـات تزهـو بخضرتهـا الناضـرة ونضرتها الباهرة .

ولقد راعنى بالليل صوت البوم ، وضايقنى قبيل الفجر . فقد

(١٥٨) وما قليت أى : ما نمت فى الظهيرة .
(١٥٩) قراءة تقريبية .

أكثر من الصياح ، وصياحه غير مقبول فى السمع ، ولا خفيف على الطبع . وعزمت أن يطارد حتى يرحل من هذه الجهة .

قال لى ناظر الزراعة أحمد صالح : إن العمدة ، وهو مريض فى منزله ، رغب أن يضيف قطنه على قطننا ، لكى يباع معه بسعره ! قلت : إن هذا غش للتاجر لا نرضاه ، لأننا لم نبع له إلا قطننا ، فلا يصح أن نضيف إليه غيره إلا بعلمه ورضائه ، وبناء على هذا يمكننا أن نقول : إن هناك قطنا ليس قطننـا ، ولكنه قـطن بعض أتباعنا . فإن وافق التاجر أن يدخله فيها اشتراه منا ، كان بها ، وإلا فلا ! على أننا إذا أردنا أن نجيب العمدة إلى طلبه ، فلا نقدر ، لأن قطننا تعبى فى الأكياس ، وعُدَّت ، وعُرف عددها ، فالزيادة عليه تكـون ظاهـرة – اللهم إلا إذا كان متفقـا مع منـدوب التـاجـر ، ولا نكون مشاركين فى هذا الإتفاق المضاد للذمة والصداقة .

[ص ١٧٣٨]

عبد الجواد فرج كان خدم فى زراعة مسجد وصيف ، بماهية مـائتين قـرش ، بصفة جنـاينى ولبان ومـلاحظ مواشى وطيـور ، واستعفى بعد شهرين تقـريباً من استخـدامه . وهـو شاب حسن الأخلاق أمين ، ولكنه كسول ، ونباهته محدودة ، وليس عنده قوة ابتكار ، وخامل ، وما كنت لأريد أن أحرمه من رزقه لولا أنه هو الذى طلب إقالته ، فأقلته ، وأعطيتـه خمسين قـرشا مكـافأة(١٦٠) فشكر وانصرف .

عُرضت علىّ فرس حمراء هادئة لشرائها ، ملك رجل من ميت

---

(١٦٠) فى الأصل : مكافئة .

الشرفا يدعى أبا الحاتم ، فوجدتها تهز الراكب ، وتخفض الرأس عند السير ، وفيها شىء من البرود ، فلم أشترها بعد أن ركبتها نحو ساعة .

نزل القطن اليوم نزولا كبيرا ، فصار بـ ١٠ / ٣٦[١٦١] بعد أن كان بالأمس ٣٨/٢٥٠ - يعنى نقص ريالين وخمسة عشر بنطا ! فالحمد لله أن جنبنا هذه الخسارة ، ووقانا شر طمع النفس وشرهها[١٦٢] .

فى أول ديسمبر سنة ٩١٦

قلقت ليلا ، ولعل ذلك لكونى نمت فى النهار نوماً طويلاً . ولكنى أصبحت نشطاً ، ونويت أن أعود اليوم فى وابور الساعة ٢ بعد الظهر .

وقد حضر قبانى التاجر[١٦٣] وسيشرعون فى الوزن الآن .

وأرانى فى هذه الجهة كأنى منعزل عن العالم ، غريب عنه ، وحوادثه تجرى أمامى من غير أن يكون لى عمل أعمله فيها[١٦٤] ، ومن غير أن أشعر بأن لها تأثيرا علىَّ .

---

(١٦١) فى الأصل تقرأ : ١٠ , ٣١ ولكن من السياق يتبين أن ما ذكرناه فى المتن هو الصحيح .

(١٦٢) يقصد أنه لو كان تأخر فى البيع طمعا فى زيادة السعر ، لكان قد أصيب بالخسارة بسبب انخفاض السعر .

(١٦٣) أى الوزان الذى أرسله التاجر .

(١٦٤) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة بالحبر .

قـرأت أمس فى « نـظرات » المنفلوطى[١٦٥] ، فــازددت بـه إعجاباً . قرأت منه المقدمة فألفيتها جامعة فى الأصول ما تفرق فى غيرها ، ومبْنيـة بأجمـل أسلوب . الطريقـة التى سلكها فى تحـرير نظراته ، وتحصيل ملكة الإنشاء ، أسلوب له وحده جمالـه ولطفـه ورقته وظرفه .

وقـرأت ، من قبل المقـدمة ، تـرجمـة بقلم حـافظ عـوض ، فـاستهوتنى عبـارات هذا الكـاتب ، وشاقنى تفـاصيله ، وما كنت أعرف قبل هذه الترجمة أن حافظ عوض كاتب رقيق ، ولا ملاحظ دقيق .

[ص ١٧٣٩]

فى ٩ ديسمبر سنة ٩١٦

قدمت اليوم على قطار المفتخر ، وتغديت فى الساعة ٣ سردينا وقشدة ولبن حليب وجبن ، ولم أزد ! وما نمت نهارا إلا ما كان من

(١٦٥) يقصد : كتاب : « النظرات» لمصطفى لطفى المنفلوطى ، وهو أديب مصرى معروف ، كان ينشر مقالاته فى جريدة « المؤيد » . وقد حكم عليه بالحبس سنة لاشتراكه مع السيد توفيق البكرى فى تأليف قصيدة هجاء فى الخديو عباس حلمى نشـرت فى جريـدة « الصاعقـة لأحمد فؤاد فى ٧ نـوفمبر ١٨٩٧ يقـول فى مطلعها :

« قدوم ، ولكن لا أقول سعيد ، ومُلك ، وإن طال المدى سيبيد » .

(انظر عن المنفلوطى فى مذكرات سعد زغلول : صفحات ٦١٧ ، ٧٣٣ ، ٧٦٠ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ من الجزء الثانى) .

ونرجو من القارىء أن يصحح فى صفحة ٧٦٠ رقم العام ، فقد كتب ١٩٨٧ ، وحقيقته ١٨٩٧ .

نعاس متقطع فى القطار بضع دقائق . ولم يحدث أثناء سيرى من مصر إلى هنا ما يستحق الإثبات .

وقد رأيت أن أمنح الناظر والكاتب والمخزنجى كلا مرتب شهر ، فشكروا الصنيع شكرا جزيلا .

وقدم العمدة مساءً ، مع قريبه الشيخ المدعو عبد الفتاح ، بغية استشارتى فى محام ، يوليه الثانى الدفاع عنه فى قضية نصب رفعت عليه . وذكر لى اسم محمد يوسف والهلباوى ، فقلت : كلاهما كفؤ ، ولا أشير عليكما بواحد منهما على التعيين ، فاذهبا إلى من ستختاران(١٦٦) منهما . ومن يقع عليه اختياركما أوصيه على القضية ، وأن لا يبالغ فى الاكرامية(١٦٧) . وبعد أن هممت بكتابة ما يناسب أن يدافع به المتهم عن نفسه ، رأيت الأوفق الاكتفاء بالوصاية ، فاكتفيا.وما أظن مرادهما محمد بك يوسف ، ولعلهما(١٦٨) يريدان أخاه ، ولكنى لم أفطن لذلك من قبل ، ولم يخطر ببالى إلا فى هذه اللحظة وقت كتابة هذه الكلمات .

فى يوم ١٣ ديسمبر سنة ٩١٦

قدمت اليوم على قطار الصباح ، ووجدت الحالة فى العموم مرضية ، ولاقيت فى القطار سرهنك باشا ذاهبا إلى كفر الزيات لشراء بذرة ، والدكتور لزيارة أراضيه فى طنطا .

---

(١٦٦) فى الأصل : « من ستختار » .
(١٦٧) يقصد : فى الأجر أو الأتعاب .
(١٦٨) كلمة : « ولعلهما » مطموسة بالحبر ، والقراءة تقريبية .

وفى سكة الدلتا قابلت[١٦٩] الدمرداش ، وهو ساخط على الإنكليز ، وناقد على رجالهم - وخصوصا المستر هنز[١٧٠] ، وناقد على الأمة سكونها وخضوعها .

ومما قال فى الكلام عن تخليد ذكرى كتشنر : إن الأربعين عضوا الذين تألفت منهم لجنة تخليد الذكر ، لم يجرؤ واحد منهم أن يعلن رأيه ! قلت : يخشون مثلك !.. الخ .

وقد وجدت الريس أحمد حضر إلى العزبة أمس ، وأعطى ما يلزم من التعليمات إلى البستانى . وعزمت أن أعود فى قطار بعد الظهر الأول ، وحملنى على ذلك تركى للست تعبة ، وما نمت ليلها ، لأنها كانت تنتظرنى من عزومة رشدى باشا الذى أعدها وداعا للمستر هنرى مكماهون .

وبمناسبة هذه العزومة أقول : أولا ، إن الأطعمة لم تكن من

---

(١٦٩) كلمة « قابلت » غير موجودة فى الأصل ، وقد أضفناها لسلاسة العبارة .

(١٧٠) المستر هينز هو جيمس هينز James Haynes مستشار الداخلية . وقد تولى منصبه كمستشار لوزارة الداخلية فى ١٦ أكتوبر ١٩١٦ خلفا للسير رونالد جراهم Ronald Graham .

وكان قد قدم إلى مصر وعمل مدرسا للغة الانجليزية بمدرسة الخديوية لمدة ثلاث سنوات ، وعمل مفتشا بنظارة المالية فى سنة ١٩٠٠ ، وظل يرقى إلى المناصب العليا ، فأصبح مراقبا للأموال المقررة سنة ١٩٠٦ ، ثم وكيلا لوزارة الزراعة سنة ١٩١٣ ، ثم مستشارا للداخلية سنة ١٩١٦ حتى ديسمبر ١٩١٩ . ثم خلفه فى منصبه الجنرال كلايتون Clayton مدير قلم المخابرات ، ووكيل حكومة السودان .

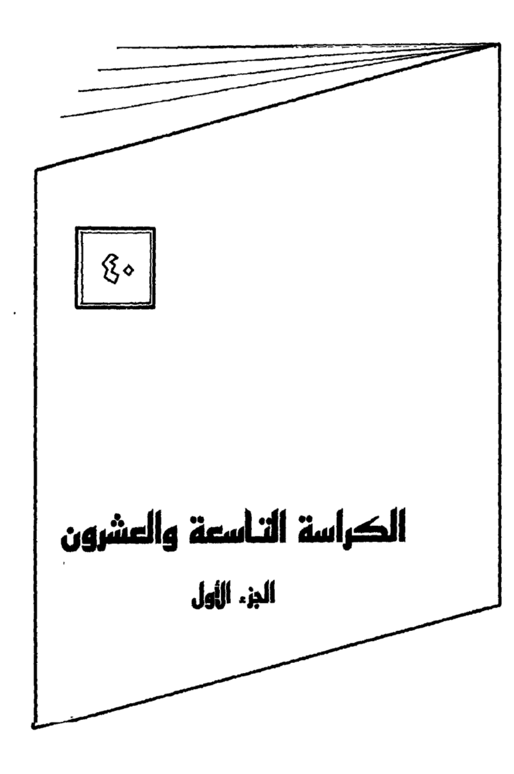
(د. طلعت اسماعيل رمضان : الادارة المصرية فى فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢ - دار المعارف ١٩٨٣) .

٢٣٧٩

ذوقى . وثانيا ، لم يتكلم رشدى باشا بشىء سوى الشرب على صحة الراحل. وثالثا، فإنه لم ينبس[١٧١] بشىء على هذه الشربة . وكان الناس فيما بينهم مسرورين ، ولكن قائد جيش الإحتلال كان مفكرا متأملا ، حتى قلت لمحمود شكرى باشا : إن من حق قواد الجيوش فى الحروب [ص ١٧٤٠] أن لا يُكلفوا بحضور الولائم ، فإن ذلك يشغلهم عن واجباتهم، ويحملهم ما لا يطيقون . وقد جلست بين شكرى باشا محمود ومستر هنز ، ومما قاله لى هـذا إنه يعـرف المصريين جيدا ، وانه تلميذ شيتى .

---

(١٧١) قراءة تقريبية .


٤٠
الكراسة التاسعة والعشرون
الجزء الأول

الكراسة التاسعة والعشرون

الجزء الأول

من ص ١٥٨٧ - ص ١٦١٧
من ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٦
إلى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٦

المحتويات :

- سعد زغلول يرفض الاشتراك فى استقبال السير مكماهون عند عودته إلى القاهرة من مصيفه .
- ترشيح هينز مستشارا للداخلية مكان جراهام .
- انتقاد سعد زغلول لجنة تكريم جراهام ومراسيم وداعه .
- سوء العلاقات بين محمد محمود باشا والمستشار المالى .
- نفى خادميين خصوصيين للسلطان بأمر السلطة العسكرية البريطانية ، وتفتيش سراى رأس التين فى غياب السلطان .
- رشدى باشا يبلغ سعد زغلول أن إسماعيل سرى باشا ويوسف وهبة باشا كانا يعارضان فى تعيينه وزيرا للأوقاف .
- ضرب نقود باسم السلطان حسين بإذن الحكومة البريطانية .

ـ سقوط السلطان حسين من اهتمام الرأى العام .

ـ وزير الداخلية يأمر المديرين بالاكتتاب لإنشاء أثر خيرى تمجيدا لاسم كتشنر ! والتبرع للصليب الأحمر .

ـ سعد زغلول يشترى أثاثا بعشر جنيهات لتأثيث استراحته بدسونس ، ويلوم نفسه لإسرافه !

ـ سعد زغلول وخلافات عائلته .

ـ الحكومة تعمل على تسوية ديون الأمير أحمد فؤاد توطئة لتعيينه ولى عهد .

ـ السلطان حسين يفصل عددا كبيرا من موظفيه .

ـ انتقاد سعد زغلول فتح الله بركات باشا .

ـ توتر العلاقات بين قصر الدوبارة وعابدين .

ـ إشاعة مبايعة السلطان حسين بالخلافة .

ـ برقية ونجت باشا لسعد زغلول رداً على تهنئته .

ـ التكهنات فى مصر بشأن استبدال ونجت باشا بمكماهون .

ـ اشاعة تجنيد الانجليز جيشا من المصريين للاشتراك فى الحرب .

ـ سعد زغلول يكتب بعد مقابلته لمكماهون ! « صغر الرجل فى عينى » !

ـ سعد زغلول يرفض فى حديث مع فارس نمر باشا مساعدة مصر انجلترا بجيش .

ـ تعيين السير لى ستاك حاكما عاما للسودان وسردارا للجيش المصرى .

ـ الغارات الجوية الألمانية على القاهرة ، وشك سعد زغلول فى أنها غارات بريطانية !

ـ حديث سعد زغلول مع حسين رشدى باشا .

٢٣٨٥

ـ حسين رشدى باشا يؤكد فى حديث مع سعد باشا اشاعة إرسال قوة مصرية ، ويقول ان حكومته عارضت فى ذلك .

ـ قلق سعد زغلول لاضطراب بورصة القطن .

ـ مسألة تعيين محمد حتاتة عمدة ، واعتراض جراهام على تعيينه .

ـ مشكلة قطن دسونس .

٢٣٨٦

[ص ١٥٨٧]

فى يوم ١٣ أكتوبر سنة ٩١٦

أمس قدم مصر السير مكماهون من مصيفه باسكندرية ، وأعلنت محافظة مصر خبر قدومه قبل ذلك ، ودعت كثيرا من الناس لاستقباله بالردنجوت . ولم أذهب لاستقباله لأنى لا أريد أن أكون مثل تعاليق الأفراح . ولا أريد أيضا أن أذهب فأهنئه بسلامة القدوم ، لأنه لم يبد منه أقل عناية بمركزى الذى أشغله فى الأمة . فأولى بى أن أحفظ كرامتى ، ولا أبذلها .

وقد رددت الزيارة أمس إلى السير جراهم فى منزله ، الذى وجدت جرس المزايدة يدق أمامه لبيع أثاثه . وقد سلمت « كارتين »[١٧٦] إلى تابعه الذى كان هناك . وفى نيتى أن أودعه غدا فى المحطة عند ذهابى إلى دمنهور .

علمت من عدلى أن جراهم كان رشح مكانه الكولونيل ليوتين من الجيش ، وهو رئيس قلم المخابرات ، ولكن المستشار المالى رشح هنس[١٧٧] ووافقه رشدى ، واعتذر مكماهون لجراهم بأن الحاجة فى الجيش شديدة إلى مرشحه . ويلوح من خلال كلام عدلى أن رشدى تعجل فى الأمر . وكان أظهر إلى جراهام الاستحسان لرأيه ، ثم ما لبث أن وافق المستشار المالى .

وعلمت من فتح الله باشا بركات ، عن مظلوم ، أن جراهام بعد أن قبل خطبة مظلوم ، واستعد للرد عليها ، عدل بالتليفون

---

(١٧٦) فى الأصل : « كرّتين » - أى بطاقتين باسمى .

(١٧٧) يقصد جيمس هينز James Haynes

٢٣٨٧

عنها ، ولا يعرف سبب هذا العذول ! وأن مظلوم تضايق من الدمرداش كثيرا ، ومن أباظة ، ولعن مدكور باشا ، وتأسف على دخوله فى اللجنة ، وعزم أن لا يعود لمثل هذه الرئاسة مرة أخرى .

[ص ١٥٨٨]

قال لى عدلى باشا : إنهم يؤكدون أن « هنس » الذى تعين مستشارا فى الداخلية ، لا يحب خيرا للمصريين . وقال فتح الله باشا ، نقلا عنه ، إنه ينوى أن يقطع كل صلة بين عظمة السلطان وموظفى الإدارة ، وأنه يستقبل الناس فى الوزارة ، ويشتغل فى بيته ، ويكون بابه مفتوحا لكل والج ، وأذنه مستمعه لكل قائل !

أراد المديرون أن يقدموا لجراهام هدية ، فلم يقبل . ولكن قرينته قبلت من السيدات هدية من الماس ، وهو تعليق ثمين قدم إليها من حرم رئيس الوزراء ، وحريمات هؤلاء ، وحريمات المديرين ، وكبير الأمناء . فتأمل !

ولقد شاع أن بين جراهام وسيسل ، مستشار المالية ، خلافا حمل الأخير على الاعتذار عن حضور حفلة التكريم ، وترتب عليه أيضا اعتذار مكماهون وحرمه . وفى ظنى أن شيوع هذا الخلاف سيؤثر فى عدد المودعين ، وفى كيفية الوداع !

وقد بدأ الخلاف يدب بين أعضاء لجنة الاحتفال ، على مقدار ما جمع ، وما صرف ، وما أقيم من الزينات !

قال فتح الله باشا بركات : إن عنده فدانا من الأرض أنتج فى بعض السنوات خمسة عشر قنطارا من الأقطان ، وبجوار بلده أرض قطن جنت أول مرة ستة قناطير الفدان ، وأراضى أرز أنتج الفدان

تسعة أرادب ، وعنده خمسة أفدنة أذرة بلغ ارتفاع معظم عيدانها أربعة أمتار وكسور ، وفيه كيزان كثيرة خالية ، وإن كانت هذه العيدان رفيعة وتطرح فى السنة أربعين فدان أيام الصيف [ص ١٥٨٩] وثلاثين أيام الشتاء - أى عندما تكون أولاده فى المدارس . وإنه باع قطنه الجَمْعة(١٧٨) الأولى بسبعمائة قرش وعشرة ، وبقية الجنيات بأعلى سعر يبلغه القطن فى بورصة مينا البصل باسكندرية فى يوم يريد تسليمه ، وإن المشترى أراد أن يأخذ منه الجنيه الأولى بثمانية جنيه انكليزى ، وبقية الجنيات بحسب ما تساويه وقت التسليم ، فأبى ذلك ، وفضل ما أمضاه .

فى يوم ١٤ أكطوبر سنة ١٩١٦

نمت أمس باكرا ، واستيقظت باكرا ، وأسافر الساعة إلى دمنهور . ورأيت أن أبحث عن ورقة إيجار منزل الجزيرة ، فقلبت أوراق تركة الباجورى ، فوجدت بينها مائة جنيه كنت أودعتها ثنياتها ، ونسيتها بعد أن بحثت عنها طويلا ولم أهتد إلى مكانها سبيلا . ففرحت بهذه اللقية ، وحسبت كأنها هبة من السماء ، وحمدت الله على ذلك ، وعزمت على أن أجعل هذه المائة على حدة ، لأن أضيف عليها غيرها ، حتى يكمل مبلغ من المبالغ المطلوبة ، فأدفعه لجهة الاقتضاء . والله ولى الوفاء ، والمبلغ المذكور فى الدرج الأسفل من الجهة اليمنى .

وقد رأيت ، حين ذهابى إلى دمنهور ، مستر جراهم وقرينته متأثرين من انتقالهما تأثرا شديدا . وكان المودعون قليلا جدا ، خلافا

---

(١٧٨) الجَمْعة ، بفتح الجيم أى الجنية .

لما كان منتظرا . وزرتها فى صالونها[١٧٩] . واحتفل بهما مدير بنها ، حيث أوقف حملة من البوليس على المحطة ، وجميع الأعيان والموظفين فيها . ولكن لم يقابله فى طنطا ودمنهور إلا مدير كل . وصحبه الأول إلى اسكندرية .

وتغديت عند الثانى[١٨٠] مع حتاتة وعلى بيك عمر ، وذهب بعد الغدا إلى اسكندرية ، لأن قرينة جراهام كانت تنوى زيارة أهله فى العصر ، وذهب كذلك عبد الرحيم صبرى باشا .

[ص ١٥٩٠]

وأخبرنى محمد محمود[١٨١] أن العلائق بينه وبين المستشار المالى منقطعة ، وأنه كان طلب رفته من مجلس الوزراء ، وأن جراهام غضب منه وكتب إليه يقول : إنى أرجو أن تخبرنى بما تراه فى موظفين[١٨٢] الداخلية قبل أن تطلب فى شأنهم طلبات . وكان يراد تحويله على مجلس عسكرى ، وعارض فيه جراهام ، وكتب خطابا إلى قائد جيش الاحتلال يقول فيه : إن تحويل هذا المدير على مجلس عسكرى يسوء وقعه ، لأنه صديق كرومر ، ووالده من ذوى النفوذ فى البلاد ، وهو من ذوى الكفاءة فى وظيفته .

قال محمد : وقد انقطعت العلاقة بينهما من ذلك التاريخ ، فلا يتصافحان ، ولا يسلم أحدهما على الآخر وإن وقعت عينه على عينه .

---

(١٧٩) يقصد : فى صالونها بالقطار .

(١٨٠) أى عند مدير دمنهور .

(١٨١) محمد محمود باشا .

(١٨٢) هكذا فى الأصل ، وصحتها : موظفى .

٢٣٩

زرت العزبة بعد أن تغذيت ، وكان معى حتاتة بيك . وقبضت مبلغ أربعمائة جنيه من ثمن الغلال ، وتركت منه ثلاثة وخمسين وكسورا . وسررت نوعا بمرأى القطن ، ويغلب على ظنى أنه لا يتجاوز قنطارين وثلاثة أرباع القنطار .

ورأيت البنائين والنجارين لَمَّا يتمموا أعمالهم، ولاحظت رخاوة فى الناظر ، وجهلا بفن[١٨٣] الفلاحة . وأبدى حتاتة بيك بعض ملحوظات لم أتقبلها بارتياح ، لأنى شممت منها رائحة التصدى لهذا الناظر ، حيث لم يكن له يد فى انتخابه .

يؤكد قوم بأن السلطة العسكرية نفت خادمين خصوصيين للسلطان . فإن حتاتة بيك قال : إنه شاهد يوم العيد مستخدمى السراى برأس التين مجتمعين لوداعهما ، وعلم أن السلطان رفتهما ونفاهما . وحقق مصطفى سعيد ذلك . وقال هلباوى بيك لى فى القطار : إنهم يؤكدون أن سراى رأس التين فتشت عند وجود السلطان فى جبارس ، فاضطر إلى الذهاب إلى الاسكندرية ، فبات ليلة ثم عاد .

[ص ١٥٩١]

١٤ أكتوبر

وقد أيد لى رشدى باشا اليوم نفى الخادمين ، لأن عظمته لم يجد واحدا منهما عند استيقاظه فى الصباح ، ولكونهما من الأرامنة[١٨٤] أمر بنفيهما . وربما كان ذلك خشية شرهما إذا بقيا . ولكنه نفى خبر

---

(١٨٣) وقد تقرأ : بغير .

(١٨٤) أى : الأرمن .

التفتيش ، وإن كان نفيا ركيكا !

وقد أخبرنى رشدى الآن أيضا إن إسماعيل سرى ويوسف وهبة كانا يعارضان فى تعيينى وزيرا للأوقاف ، وبلَّغ مكماهون معارضتهما إلى لوندرة . ورأيته ممنونا من مكماهون جدا ، ولكنه يقول : إنه تحت تأثيرا المستشار المالى ونفوذه .

يؤكدون أن عظمة السلطان مريض فى سراياه بجبارس ، وأنه لا يسمح لأحد بمقابلته .

وقيل إنهم يتحدثون بولاية العهد ، ويسندونها إلى الأمير فؤاد . والناس يتشاءمون من ذلك ، لعدم ثقتهم بهذا الأمير . وأيد خبرَ اشتداد المرض عليه ما قاله زكى باشا إلى رشدى باشا اليوم ، من أنه لا يمكن أن ترسل أوراق إلى عظمته . فقال له : أرسل إلى محمود شكرى باشا .

والورقة التى كان يريد إرسالها هى إفادة من مكماهون فى موضوع النقود التى صار ضربها باسم السلطان أخيرا . (١٨٥) .

---

(١٨٥) فى شهر أكتوبر ١٩١٦ وجه السلطان حسين خطابا إلى المندوب السامى يطلب التصريح للحكومة المصرية بضرب نقود جديدة ، فرد عليه بخطاب نشرته جريدة « الوطن » يوم ٢٠ أكتوبر ١٩١٦ جاء فيه :

« وهى - أى الحكومة البريطانية - ترى أن استعمال اللغة الانجليزية بجانب اللغة العربية على أحد وجه العملة لبيان قيمتها ، فضلا عما فيه من تسهيل تداولها ، فإنه يكون مظهرا للروابط الجديدة اليوم بين مصر وبريطانيا العظمى .

وعلى أثر ذلك صدرَ مرسوم سلطانى بسك العملة الجديدة ، وكتب على أحد وجهيها « السلطان حسين كامل » ، وتاريخ السنة الهجرية ، وقيمة القطعة . وعلى الوجه الآخر قيمتها باللغة الانجليزية .

(انظر : محمد سيد كيلانى : السلطان حسين كامل ص ٤٠٠) .

قال رشدى : وإنى أريد أن يكون كل أمر يتعلق بالنظام مكتوبا ، حتى يُرجع إليه ع(ل) الاقتضاء . هكذا أريد أن أفعل عند ذهابى إلى لوندرة ، والمخابرة فى ما يلزم وضع الحماية عليه من الأساسات،فإذا قبل فذاك ما نريد ، وإلا قدمت إستعفائى . قلت لا لزوم لتقديم الاستعفاء ولا تعجل .

فى يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٦

حضرت أمس من مسجد وصيف ، بعد أن قضيت بها ليلة ويومين ، وقابلت فتح الله باشا ، وعلمت منه أنه ذهب مع أخيه إلى تهنئة « هنس » فى الداخلية . وقد نمت أمس نوما هادئا .

وقال لى فتح الله إن الإشاعة عامة بأن فى النية تعين وزير : [ص ١٥٩٢] إما مصطفى ماهر ، أو محمد باشا محمود . وقد أنكر فتح الله ما قاله لى من قبل من أن « هنس » صرح له بأن أول عمل يعمله فى الداخلية ، منع اتصال موظفى الإدارة بالسلطان . وقال : إنه لم يسمع ذلك منه مباشرة ، ولكنه سمعه من غيره نقلا عنه . ولكنى أعتقد إعتقاداً لا ريب فيه أن هذا الإنكار لم يكن إلا خوفا وخشية ، فإنه أكد لى ذلك مرتين ! ولغرابة ذلك ، استفهمت منه عما إذا كان سمع هذا القول منه بنفسه ؟ فقال : نعم !

ولقد أسمعته كلاما فى واجبات الموظف بعد الحماية(١٨٦) ، وقلت إن سماته(١٨٧) يجب أن تكون : إن المصرى لا يصلح للاستقلال بالحكم ! فكلما ردد ذلك وكرره عند كل هفوة تصدر من

---

(١٨٦) أى الواجبات التى يرى الانجليز ضرورة توافرها فى الموظف .

(١٨٣) قراءة تقريبية لأن الكلمة مطموسة .

مصرى ، وعند كل خطأ يقع فيه ، كان مرضيا عنه وموثوقا بكفاءته !

وأرجأت تمام القول والبيان إلى الفرصة القادمة !

فى يوم ٢٥ أكطوبر

ذهبت يوم الأحد الفائت إلى مسجد وصيف ، والسبت قبله إلى دسونس ، وأقمت فى الأولى إلى أمس ، حيث حضرت منها فى أول قطار . وقد تضمن كراس آخر[١٨٨] ما وقع فى هذه المدة من الأمور واستحق الإثبات .

ومرض رشدى باشا رئيس الوزراء ، فاشتغلت الجرائد والناس به . فسأل عنه الكثير ، وزاره الأكثر . ومرض السلطان ، واعتكف فى أرضه بجبارس ، فانصرف الكل عنه ، وأهملت الجرائد ذكره - إلا قليلا - ولم يهتم بزيارته أحد من الوزراء ، إلا كبيرهم ، ولا من الناس إلا القليل ! فما سرُّ ذلك ؟ ولماذا هذا الإنصراف العظيم عن ذلك السلطان الكبير ؟ أهذا [**ص ١٥٩٣**] من الصدف والإتفاق ؟ أم مقصودا من الحاكمين ؟ الله أعلم ورسوله .[١٨٩]

كتب وزير الداخلية إلى المديرين ، يستحثهم على الإكتتاب لإنشاء أثر خيرى ، تمجيدا لاسم كتشنر ، وتخليدا لذكراه . وانتخبت هى[١٩٠] من كل مديرية وجيها ليرأس لجنة الإكتتاب ،

---

(١٨٨) يقصد سعد زغلول « الكراسة رقم ٣١ » .

(١٨٩) هذه الصورة التى يرسمها سعد زغلول لانحدار منزلة السلطان فى عين حكومته والرأى العام . يفسرها ارتفاع منزلة المندوب السامى ، وتعكس تدهور وضع مصر الدولى بعد الحماية . فكل زيادة فى منزلة ممثل الاحتلال ، يقابلها خصم فى منزلة السلطان !

(١٨٦) أى : انتخبت وزارة الداخلية .

٢٣٩٤

فانتخبت من البحيرة على باشا مهنا ، ومن الغربية فتح الله باشا بركات ، ومن الشرقية الخ . . .

ويشتغل الحكام فى الأقاليم بجمع الإعانات للصليب الأحمر . وكانوا قبل قليل يشتغلون بجمع نقود للحجاج ! فما هذه الضرائب ، بل ما هذه المصائب ؟

فى يوم ٢٦ أكتوبر

نشرت جرائد اليوم أنه نشأت حركة فكرية لتخليد أثر اللورد كتشنر فى هذه البلاد ، بإنشاء مستشفى أو ملجأ للنساء ، أو غير ذلك من الأمور الخيرية . وأنه تألفت لجنة كبرى لهذه الغاية(١٩١) ، برئاسة البرنس كمال الدين ، ووكالة إبراهيم فتحى ، وعضوية جملة أشخاص من المدن والأقاليم . وأن هذه اللجنة تدعو الناس للإقبال على هذه الفكرة . وقد قدروا لهذا العمل مائة ألف جنيه .

ولكن من هم الذين تدبروا ؟ ومن هم الذين انتخبوا رئيس هذه اللجنة وأعضاءها ؟ وفى أى مكان اجتمعوا ، وتداولوا ، وانتخبوا ، وقرروا ذلك المبلغ ؟ وكيف تسنى لهم أن يقدروا ما يحتاج إليه من النفقات قبل أن يتبينوا نوعه ؟ كل ذلك لم يعلنوه ! وما فعلوا ذلك إلا لأنه من صنع الحكومة ، فهى التى عينت [ص ١٥٩٤] الرئيس والوكيل والأعضاء .

فقد إطَّلعتُ فى يد بعض المديرين على خطاب مطبوع ، يقول له فيه وزير الداخلية : إنه رؤى(١٩٢) انتخاب فلان من مديريتكم

---

(١٩١) « الغاية » مكررة فى الأصل .

(١٩٢) قراءة تقريبية . وقد تقرأ: « تراءى » .

ليكون عضوا بتلك اللجنة ، فاخبروه ، وأفيدونا تلغرافيا !

وما صدقت – أول الأمر – برئاسة كمال الدين ، لما أعلمه من مخالفة مبادئه لمثل هذه المشروعات . وقلت لمن حدثنى بها أول الأمر : إنى لا يمكننى أن أصدق بأن رجلا يرفض أن يكون سلطانا لمصر ، ثم يقبل أن يترأس على لجنة مثل هذه !

فقال محدثى : إنهم ألزموه بالقبول ، ومضّوه ! فترددت ، حتى رأيت الخبر مؤيداً منشورا فى جرائد الصباح ! فقلت : سبحان الله ! ما أحسن ظنى بالناس ، وما أجهلنى بطبيعة الإنسان !

ولم أفهم السبب فى كون المندوبين من كل مديرية لهذه اللجنة فوق الواحد ، إلا عن مديرية المنيا ، فإنه واحد فقط ! كما لم أفهم انتخاب كل من فتح الله وحتاتة لمديرية الغربية ، مع كونهما من عائلة واحدة تقريبا ! وربما كان لدار الحماية دخل فى هذا الانتخاب ! والله أعلم !

فى ٢٧ أكتوبر سنة ٩١٦

أمرت البنك الأهلى أن يدفع إلى جمعية الصليب الأحمر مبلغ خمسة جنيه ! ولم أزد أن أمتنع ، خشية أن يتذرع خصومى بذلك إلى السعاية بى – خصوصا وإنى لا أريد أن أدفع للأثر الذى يراد إقامته إلى كتشنر !

ثم لا شىء من جديد ، سوى كونى اشتريت كنبه وكرسيين كبيرين من جلد ، للأودة التى بنينتها بدسونس لاستراحتى ، بمبلغ

١٠ عشرة جنيه[١٩٣] . ولم يكن فى نيتى أن أشترى إلا بعض كر
خيزران ، ولكن هذه القطع اعجبتنى ، فاشتريتها . ثم نـدم
لأنى وجـدتها أثمن من أن تـوضع فى مكـان مبنى بالـطوب ا
[ص ١٥٩٥] وإلى الآن لم أقرر بشأنها شيئا !

وإنى فعلت ذلك طوعا لرغبة أجدها فى نفسى كلما وجدت
واستحسنته ، عندما أريد اقتناء شىء من نوعه بثمن أقل .

يعنى : إذا كان يكفى ، فى سد حاجة عرضت لى ، شىء
بقيمة زهيدة ، وفى أثناء بحثى عنه صادفت شيئا أكبر بثمن أر
فإنى أشتريه ولا أبحث عن الأصغر ، بل أنساه وكأنى لم أكن قد
ولا حددته ! وقد أجمع بين الإثنين إذا وجدت الأول عقب أن ا
الثانى فورا !

ويتفق لى - فى كثير من الأحيان - أن أزور الدكان لغرض
شىء واحد ، فاشترى أشياء كثيرة أعجبتنى ، وقد لا يكون مر
ما أبحث عنه !

كنت سنة ألف وثمانمائة ستة وتسعين بباريز لتمضية أول ا
فى الحقوق . وبعد أن مضيته ، دخلت دكان هناك يسمى :
مارشيه » ، وكنت أقصد شراء بعض الهـدايا ، فـاشتريت
كثيرة . وكنت أخذت - عند دخولى - دفترا صغيرا بـه مر
صغيرة ، فى كل مربع بها نمرة يعطيها الشارى الذى لا يريد دف
للبائع . وأمليت عنوانى للصراف الذى أعطانى هذا الدفتر
ترسل جميع المشتروات إليه بعد الفراغ من اختيارها . فلما و

---

(١٩٣) ليتأمل القارىء قيمة العملة فى تلك الأيام ، وقيمتها عند كتا
السطور !

٢٣٩٧
البيت ، وحسبت ما اشتريت ، فوجدته يزيد كثيرا على ما كان معى من النقود ! فأسفت أسفاً شديدا ، ولم أنم ليلى .

وفى الصباح حضر عامل المحل يحمل البضائع ، ومعه الفاتورة بأثمانها . فقلت لـه : ألا يمكن رد بعض هذه البضـائع ؟ قـال : بلا شك ! خذ ما تشاء ، واترك ما لا تريد منها ! كان أحسن جواب سررت به غاية السرور ، كأنما أهدانى به قيمة ما أردت رده منها . فلم آخذ إلا ثلثها تقريبا ، وأتحفتـه [**ص ١٥٩٦**] بشىء من الفرنكات فرح به فرحا عظيما .

ودخلت مـرة فى دكان (. . .)[١٩٤] ، وذلـك كان فى سنـة ١٨٩١ - وهى أول مرة زرت فيها أوروبـا - وما كـان قصدى إلا الفرجة ، فاشتريت منه بما زادت قيمته عن ألفين فرنك !

ولا أدرى بماذا أعلل هذا الميل ؟ أبالشره ؟ ولكن لا أعهده فى غير ذلك ! أم بحب الذات ؟ ولكن مما لا شك فيه أنـه راجع إلى ضعف النفس وسرعة انفعالها .

وقد أخبرنى هرارى باشا[١٩٥] أنه لا يشترى شيئا من سوق ، إلا إذا كان قصد السوق لقضائه ، ولكنه لم يتفق له أن اشترى شيئا أعجبه ، من غير أن يكـون عزم - قبـل أن يراه - عـلى شرائـه ! وما هذا إلا قوة فى الإرادة ، ومتانة فى العزيمة .

---

(١٩٤) كلمة قد تقرأ : « اللوز » !

(١٩٥) هو فيتاهرارى ، وهو يهودى يحمل الجنسية الانجليزية ، وكان يعمل مدير عموم الحسابات المصرية ، من ١٨٩٠ - ١٩٠٥ ، وقد منح رتبة البكوية فى عام ١٨٨٣ ، ومنح رتبة الباشوية فى عام ١٩٠١ والنشان العثمانى سنة ١٩٠٤ .

وقد استقر رأيى أخيرا على أن لا أرسل ذلك الأثاث إلى العزبة بدمنهور ، بل استبقيه هنا ، وأرسل إليها بدله كرسيا طويلا ، وكرسيا كبيرا ، وبعض كراسى خيرزان مستعملة وقديمة ، ومائدة وسط . وفى هذا القدر كفاية الآن[١٩٦] .

فى ٢٨ أكتوبر سنة ٩١٦

قد ذهبت إلى دمنهور اليوم ، ولم يسرنى حالة الأود التى ابتنيتها[١٩٧] للاسنراحة هناك ، فقوى هذا رأيى الذى اعتمدت عليه آنفا . وأرسلت عينة من القطن مع المخزنجى آنور ، ليعرضها على التجار كما أرسلت تلغرافا لعظمة السلطان بجبارس تهنئة بالعام الجديد الهجرى . ولم يحصل شىء آخر يستحق الاثبات .

فى ٢٩ أكتوبر سنة ٩١٦

نمت أمس نوما لذيذا ، وأصبحت منشرح الصدر . وكانت السهرة قاصرة على الاجتماع بمكباتى بيك ، ومحمد على بيك ،

---

(١٩٦) الطريف فى هذه القصة كلها ، التى احتلت فى ذهن سعد زغلول هذا التفكير ، أن الأثاث الذى حاسب نفسه على شرائه كل هذه المحاسبة ، وانتهى إلى عدم ارساله - لا يتجاوز ثمنه عشرة جنيهات فقط ، مع أن سعد زغلول كان باشا ، ووزيرا سابقا ، ووكيل الجميعة التشريعية المنتخب ، وصاحب أراضى وأملاك !

فليقارن القارىء بين هذا السلوك والسلوك الحالى للأثرياء ، بل ولأوساط الناس فى مصر ، حيث يكلف البعض منهم حمام بيته أكثر من ٤٠ ألف جنيه .

فالقضية التى تسترعى نظر القارىء إليها هنا ، ليس فرق العملة ، وإنما فرق السلوك الاجتماعى . فقد كانت الـ ١٠ جنيهات تساوى بعملة هذه الأيام - , ٢٦٤٠ جنيها فقط .

(١٩٧) ابتنيتها بمعنى : بنتيها .

وصدقى[١٩٨] ، وحتاتة ، وفتح الله باشا . ولكن هذا الأخير حضر متأخرا مع الأول ، وكان قلقا للغاية ، وفى كل برهة يشير من طرف خفى على الأولين بالقيام ، [ص ١٥٩٧] لأن يكملوا السهرة عنده ! وأخبرنى محمد حتاتة - بعد ذهابهم - أن النقراشى والشوربجى عنده ، وهذا هو سر ذلك القلق والتلهف .

وقد حضر الآن فتح الله باشا[١٩٩] ، فتركت الكتابة ، والتفت له[٢٠٠] . ثم حضر صدقى بيك ،ثم حضر محمد شلبى زغلول[٢٠١] ، يحمل كتابا إلىّ من عبد الله زغلول[٢٠٢] ، يشكو فيه من أخيه[٢٠٣] ، ومن هيجانه ، وخوفه على نفسه منه ! فاستغربت هذا الخوف - خصوصا ولم يملك حامل الكتاب وقائع تدل على الهيجان ، سوى واقعة واحدة ، ربما كان فيها عذر للهائج !

وقد شكى فتح الله باشا - بهذه المناسبة - من تشدد عبد الله بيك ، وتخوشنه[٢٠٤] ، وسوء ظنه به ، وإساءته له فى المعاملة .

---

(١٩٤) يقصد محمد صدقى بيك ، شقيق عديله محمود صدقى باشا . ولم يكن سعد على وفاق مع الأخير .

(١٩٩) فتح الله بركات ، ابن اخت سعد زغلول .

(٢٠٠) يقصد أنه ترك الكتابة وتفرغ له .

(٢٠١) محمد شلبى زغلول ، ابن شقيق سعد زغلول ، الشناوى أفندى زغلول .

(٢٠٢) عبد الله زغلول بك ، ابن شقيق سعد زغلول ، الشناوى أفندى زغلول .

(٢٠٣) عبد الرحمن زغلول .

(٢٠٤) يقصد : خشونته .

فجعلت الخطأ قسمة بينهما ، ولكن جعلت أكبره فى جانب عبد الله .
ولكن فتح الله يتبرأ من كل خطأ ، ويظهر الأسف على شرود عبد الله(٢٠٥) منه ، ويقول إنه يعتبره خير عون له ومعين ، لو ساد بينهما حسن التفاهم

ولقد هيأت كتابين : أحدهما لعبد الله ، وأوصيه فيه بمحاسنة أخيه ، وتحمله ، حتى نجد له محلا فى الاسبتالية(٢٠٦) ، أو مسكنا خاصا يحويه ، وينفرد عن الغير فيه : إما فى بيت العائلة ، أوفى منزل آخر ، وإما فى المستشفى .

والثانى إلى عبد الرحمن(٢٠٧) ، وتلطفت به فيه ، ودعوته - من بعيد - إلى جهة العطف على أخيه .

وقد مضيت الليلة السهرة مع فتح الله باشا ، وفهمت منه أن ما عنده من النقود الآن لا يتجاوز ثمانية آلاف جنيه ، وأنه ، بإضافة إيراد هذا العام ، يمكن أن يبلغ خمسة عشر ألف جنيه . وهو يوهم فى كلامه أن إيراده مع أخيه لا يقل عن ثمانية آلاف جنيه؛إثنان من منية(٢٠٨) المرشدى والباقى من ملوى . وأن لعاطف الثلث فى كل شىء من الأطيان والعقارات ، وأنه ينوى أن يقتنى لأنجاله بيتا - مثل بيت إبراهيم نجيب باشا(٢٠٩) - ولكن عاطف برى البيت

(٢٠٥) « شرود » أى : ابتعاد .
(٢٠٦) الاسبتالية أى المستشفى .
(٢٠٧) يقصد عبد الرحمن زغلول ، ابن أخى سعد زغلول ، الشناوى أفندى زغلول .
(٢٠٨) فى الأصل : « منيت » .
(٢٠٩) لا يقصد بهذا القول : بيتا يشبه بيت إبراهيم نجيب باشا ، وإنما يقصد بيت إبراهيم نجيب باشا نفسه .

كبيرا . وفهمت منه أن عبد الله فى غاية البخل ، وعيشته ضيق فى ضيق !

[ص ١٥٩٨]
أول نوفمبر سنة ٩١٦

ذهبت يوم الاثنين ٣٠ نوفمبر إلى مسجد وصيف، ومضيت بها ليلة ثم عدت أمس مساء . وكنت رجوت مدحت[٢١٠] أن يتوسط لى فى شراء مائتين وخمسين قنطار قطن بواسطة سمساره الخواجة غندور ، فأخبرنى - عند عودتى - أنه أبى الشراء لخوفه من النزول . فقلت : خيرا فعل !

وسهرت مع فتح الله وصدقى[٢١١] وحتاتة ، لغاية الساعة ٢ بعد نصف الليل تقريبا .

ولم أنزل إلى المكتب صباحا ، ولكنى نزلت بعد الظهر .

وصادفت عدلى فى الكلوب أمس ، فرأيته قلقا نوعا على صحة السلطان ، وأخبرنى أنه عازم على زيارته اليوم ، رغما من عدم تصريحه له بذلك . قلت : حسنا تفعل !

يتحدثون بأن الحكومة تريد أن تسوى ديون الأمير فؤاد[٢١٢] ! ويأخذون من ذلك أنه مرشح لأن يكون ولى عهد !

---

(٢١٠) مدحت سامى .

(٢١١) محمد صدقى .

(٢١٢) هذا يوضح أن الملك فؤاد الأول عندما تولى العرش كان مدينا ، ثم جمع ثروته الطائلة أثناء توليه الملك ، فأصبح أكبر اقطاعى فى البلاد .

٢٤٠٢

وقد نشرت جرائد أمس واليوم أن عظمة السلطان فصل من خدمته بالمعية ، والخاصة ، والأوقاف السلطانية ٢١ موظفا ، ما بين تشريفاتية ، وكتبه ، ومعاونين ، وغير ذلك ! ولا تعلم أسباب هذا الفصل ! والساخطون يرجعونه إلى سبب غير معقول ! والله أعلم !

أخبرنا فتح الله باشا أن شراء منزل نجيب باشا لم يتم ، لأنه يبالغ فى الثمن ، حيث يطلب فوق ثمنه سبعة آلاف جنيه . وأنه يريد أن يشترى أطياناً من أطيان محمد راسم ، أو الشريف بدسوق ، شركة مع دوكتور[٢١٣] على إبراهيم .

والغريب من أمر هذا الباشا أنه يساوم فى كل شىء ، ولا يشترى شيئا ! ويعرض طينه[٢١٤] للبيع أو المبادلة مع كل شىء ، ولا يبيع ولا يبادل ! كأنه يتلذذ بالمساومة [**ص ١٥٩٩**] وحدها ، لما فيها من تحريك شعوره بالقدرة على ما يراد اقتناؤه ، واشتهاره بالثروة !

والظاهر أنه لا يريد سوى هذا الاشتهار ! ولذلك نراه لا يرضيه شيئا محددا ، فهو الآن يريد بيتا ، وغدا غيطا ، وبعده أوتومبيلا ، وغير ذلك ! فلا تجد له رغبة ، ولا يتبين له مرغوب ! فهو بائع كل شىء وشارى كل شىء ! ولا يفعل شيئا !

ويظهر أن مثله فى الناس كثير ! فقد حكى لى المرحوم مصطفى باشا فهمى عن أحمد يحيى وابنه أمين[٢١٥] مثل ذلك ، فانهما كانا

---

(٢١٣) هكذا فى الأصل .

(٢١٤) طينه أى أرضه .

(٢١٥) ماليان مصريان ، وقد أصبح أمين باشا يحيى مليونيرا قبل ثورة يوليو .

يذهبان فى أوربا إلى الدكاكين ، يبحثان كل ما فيها من البضائع ، ويساومونها ثم لا يشترون شيئا أصلا ! وكان هذا دأبهم فى كل مدينة يحلونها . وكانوا يجلبـون بذلـك سخط التجار عليهم ، ونفـورهم منهم . وأظن هذا يأتى للإنسان من حداثة عهده بالثروة !

فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٦

ذهبت إلى دمنهور ، وعدت فى الساعة الثالثة مساء . وكان معى فى الذهاب محمد بيك حتاتة . ولم أجد شيئا فى العزبة إلا ما يدل على رخاوة فى الناظر وعدم سعة كفاءته الزراعية .

وقد عاد عظمة السلطان إلى مصر فى الساعة ١٠ صباحا ، بغير إحتفال ، لأنه كان تعبا . ولم أذهب لكتابة إسمى كما فعل غيرى ، بل نويت أن أفعل ذلك غدا .

وقد إستقبل رشدى باشا المحمل بالنيابة عن عظمة السلطان . ولا أدرى مـا إذا كان الاحتفـال جمع من أسبـاب الفخامـة والأبهة ما تقوله الجرائد به ، لأنى لم ألاق ممن حضروه أحدا ، ولا يعوّل على قـول الجرائـد الآن فى مثل هـذه الشؤون ، لأنها ليست حرة فيـما تقول ، ولا تقول إلا ما يمليها عليها الخوف ، أو الطمع ، أو قلم المطبوعات !

فى ٣ نوفمبر سنة ١٩١٦

كتبت إسمى فى عـابدين ، ولاقيت فيهـا بعض المنـافقـين ، ورأيت الكآبة تعلو وجـوه الأكثرين من المـوظفين . ومـا رأيت من الإنكليز زائرا ، ولا سمعت بزيارة أحدٍ منهم .

[ص ١٦٠٠]

ويعتبر البعض[٢١٦] أن العلاقات متوترة بين قصر الدوبارة وعابدين ، وأن الإنكليز إشمأزوا من السلطان ، لأنه لا يتحرز فى كلامه عنهم فى كثير من الأحيان . وأكد لى ثقة أن السلطان سُرَّ كثيرا بقلة من احتفلوا بمقدم مكماهون من إسكندرية ، وأن بعض الإنكليز سأل عن هذه القلة[٢١٧] ، وتبين له أنها ناتجة من انزوائه وانغلاق بابه دون الناس .

وقد لاقيت فى النادى موسيو لوسانو ، الذى كان موظفا بالخاصة ، ووجدته واجدا على عفيفى باشا ، وحنقا على السلطان ، ويتكلم عنه بغير احتياط .

فى ٤ منه

زارنى أمس مساء الشيخ الخضرى[٢١٨] ، فلم أستطع أن أقابله بهشاشة ، وأريته عدم استحسانى لحجته . وذكر أنه واخوانه العلماء لم يقبلوا أن يتداخلوا مع الشريف ، ولا أن يصدقوا على مقالته ، بل تجنبوه وترفعوا عن مساعدته[٢١٨ م] .

(٢١٦) قراءة تقريبية ، لأن الكلمة مطموسة .

(٢١٧) أى سأل عن سبب قلة عدد المستقبلين .

(٢١٨) هو الشيخ محمد عفيفى الخضرى (١٨٧٢ - ١٩٢٧) وكيل مدرسة القضاء الشرعى ، وأستاذ التاريخ الاسلامى فى الجامعة المصرية . ومؤلف كتاب « تاريخ الأمم الاسلامية » .

وكان قد دار حوار بينه وبين سعد زغلول حول مصادر التاريخ الاسلامى ، حيث شكك سعد زغلول فى التفاصيل وتضارب الوقائع والجزئيات ، وقد غضب الشيخ الخضرى لهذا الرأى متمسكا بتصديق هذه التفاصيل .

(٢١٨ م) يقصد : الشريف حسين وثورته .

وقد كان حضر رجل شامى يدعى عيد ، يزعم أنه يشتغل بنقاوة البذرة كما ينبغى ، وأن كيلة من البذرة التى ينتجها بالنقاوة تكفى تقاوى للفدان الواحد ، وأن الأردب من البذرة الجيدة يصفى ثلاثة كيلات ، وأنه يأخذ أربعين قرشا أجرة عن كل أردب ، ويشترى البقية(٢١٩) الباقية من كيلات الأردب بسعر البذرة التجارى . ويقول إن بذرته المنتجة نبتت(٢٢٠) إلا القليل منها جدا. وقد وعدته أن انظر فى ذلك .

وذكر لى إن عبد الله باشا وهبى جرب طريقته فنجحت .

وحضر عقب ذلك الباشا المشار إليه(٢٢١) ، فأنكر علىَّ الخبر . ثم قام وحكى أن رجلا حضر إليه من قبل الأخ ، وقال له إن هذا المشروع جربه عبد الله وهبى باشا ! فقال له : إن كان وهبى باشا أقرَّ ذلك فإنى أقبل ما تقول ! وبالفعل كتب العقد وأمضى عليه إسمه . فلما اطلع عليه الرجل بهت ! وكاد يغشى عليه(٢٢٢) !

وقد أصبحت اليوم مشروح الصدر ، ولم أجد فى الجرائد شيئا مهما ، فكتبت هذه الكلمات أول النهار إلى عودة فى آخره .

---

(٢١٩) قراءة تقريبية . وقد تقرأ « التسعة » .

(٢٢٠) قراءة تقريبية .

(٢٢١) أى عبد الله باشا وهبى .

(٢٢٢) لتوضيح هذه الرواية ، فإن عبد الله وهبى باشا حكى أنه حضر إليه رجل من طرف النصاب الشامى ، دون أن يعرف أنه عبد الله وهبى باشا ، وادعى أن عبد الله وهبى باشا جرب الطريقة ! فأراد أن يلقنه درسا ، وقال له إن كان عبد الله وهبى باشا أقر بذلك ، فإنه يقبل ما يقول ، وكتب العقد ، ووقع باسمه ! فلما اطلع الرجل على الاسم ، أدرك أنه أمام عبد الله وهبى باشا نفسه ، وكاد يغشى عليه !

٢٤٠٦

[ص ١٦٠١]

أعود فأثبت أن السلطان ينوى الذهاب غدا إلى مصر الجديدة ، ليقيم بها ، لأن حالة صحته تستدعى ذلك .

وحقق لى على شعراوى أن إشاعة مبايعته بالخلافة ليلة الإحتفال الذى انعقد فى مسجد الحسين ، لا حقيقة لها . وأن عظمته هو الذى افتكر من تلقاء نفسه إيفاد العلماء للحج فى هذا العام ، حتى يكون لمصر أثر فى البلاد الحجازية ، لأنه يطمع أن تكون له فى المستقبل السيادة عليها .

وزعم إبراهيم سعيد أن السلطان ينوى إقالة عفيفى من منصبه ، وأنه تغير منه ، لأنه عرض عليه مسئلة الاختلاس الذى حدث فى المعتمدية(٢٢٣) على غير حقيقتها ، وتبيتها من جهة أخرى .

ويلوح لى أن مرض السلطان خبيث ومميت ، ولا منجاة له منه .

تغدت عندنا اليوم مدام « أمادو »(٢٢٤) وشربت على المائدة نبيذا من نبيذ ايتاليا . وكان المرحوم مصطفى باشا اشتراه من أوتيل « برون »(٢٢٥) بمدينة بولونية بإيتاليا سنة ١٩١١ - فيما أظن -

(٢٢٣) أى دار المندوب السامى ، وكانت تسمى قبل الحماية دار المعتمد البريطانى .

(٢٢٤) هكذا تقرأ .

(٢٢٥) هكذا تقرأ .

وسأتحقق من السنة التى كنا فى أثنائها بهذه الجهة[٢٢٦] .

فى ٥ منه

حضر أمس محمود باشا أبو حسين ، بعد أن استأذن له فتح الله باشا بركات قبل ذلك ، حيث رجاه أن يستعطفنى عليه ، إذ قد رأى فى المنام أباه يؤنبه على جفائى ويحمله على السعى إلىَّ .

ثم حضر عقب حضوره عبد الرحيم صبرى باشا . وبعد قليل أشار فتح الله باشا إلى محمود بالذهاب ، فانصرف بعد أن تردد قليلا .

تدور على ألسنة الناس إشاعة بأن الإنكليز يريدون أن يجمعوا عساكر من مصر بطريق الجبر . ويعللون ذلك بأنه إذا لم تشترك مصر فى الحرب معهم فعلا ، فلا تتقاسم معهم شعور الفرح والحزن ! وبما أنها تتنعم بحسن ادارتها ، يلزمها أن تشاطرهم المتاعب التى يتحملونها فى سبيل الحرب ! ويردفون هذه الإشاعة بأن رشدى والسلطان [ص ١٦٠٢] غير ميالين لهذا المشروع ، ومعارضان فيه . حتى ذهب بعضهم إلى أنه ربما أفضى هذا الخلاف إلى سقوط الوزارة .

قابل أمس مكماهون عظمة السلطان فى عابدين ، ولبث معه خمسة[٢٢٧] وثلاثين دقيقة . ويؤكد من رأى هذه المقابلة أن السلطان

---

(٢٢٦) كتب سعد زغلول عقب هذه الفقرة الكلمات المتقطعة الآتية . أنه يوم ـــــ ولما تلاقينا وتسنح راحة ـــــ وتسلم بالاركان من هو صالح !

وهى عبارة لا معنى لها ، أو هى مشروع كلام مفيد . ولذلك رفعناها من المتن إلى الحاشية .

(٢٢٣) هكذا فى الأصل : وصحتها : خمسا .

كان فاترا ، ولم يحتفل بنائب الملك[٢٢٨] كالعادة ، بل اتخذ من مرضه وسيلة للتأخر فى لقائه ووداعه .

وقيل إن وجه السلطان كان محتنقا بعد انصرافه[٢٢٩] ! وإنه اجتمع برشدى باشا بعد ذلك فورا .

إن الداخلية هى التى عينت أعضاء لجنة تخليد ذكرى كتشنر ، ورئيسها ونائبه . واجتمعت وقررت ما قررت ما سبق ذكره . ثم إن المندوبين من كل مديرية اجتمعوا بمديرها ، فألف لجنة فرعية بالمديرية ، ولجنة مركزية لكل مركز . وحصل ذلك بالتليفون !

فانظر إلى هذا البلد ! كيف يتصرف فيه الحكام فى الأفراد ، وفى شعورهم وأموالهم ، من غير خجل ولا حياء وبلا حساب !

فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٦

تناولت الآن تلغرافا من فخامة ونجت باشا نصه :

« أشكر معاليكم من صميم فؤادى على تهنئتكم الرقيقة التى أقدرها حق قدرها ، وأطلب من القدير أن يلهمنى سبل الرشاد فيما به خير مصر وأبنائها . ونجت »

وقد كنت أرسلت إليه بالأمس من زفتى تهنئة نقلت نصها فى كراسة الغربية[٢٣٠] . ويظهر من القليل الذين تحادثت معهم فى

(٢٢٨) يطلق سعد زغلول على المندوب السامى لقب « نائب الملك » من قبيل المبالغة فى قوته ونفوذه .

(٢٢٩) أى بعد انصراف السير هنرى مكماهون .

(٢٣٠) توضح هذه الجملة أن سعد زغلول كان يجعل فى كل استراحة من استراحاته كراسة يكتب فيها مذكراته عند وجوده بها ، ولم يكن ينتظر عودته إلى حيث يقيم خشية ضياع بعض تفاصيل الوقائع التى يتعرض لها .

شأنه أمس واليوم ، أن تعيينه يقابل بالاستحسان ضمنا .

ويقال إن تغيير مكماهون لشكوى السلطان منه ! ولكن ذلك غير محتمل ، لأن عظمته لم يشك - فيما أعلم - من العميد المذكور ، ولا تقابل شكواه - على فرض حصولها - بالإجابة السريعة . وفى قول آخر إن « جراهام » سعى هذا المسعى ! ولا أظن ذلك أيضاً ! ولكن الظاهر هو ما أشار إليه المقطم من كون مكماهون كان يشغل هذا المنصب مؤقتاً بالنيابة عن كتشنر ، فلما ذهب هذا ذهبت نيابة ذاك !

[ص ١٦٠٣]
٩ نوفمبر

تقابلت مع عدلى فى النادى ، وروى لى أن سسل[٢٣١] كان وسطه ليصلح ما بينه وبين عظمة السلطان ، بطريقة الإشارة والتلميح لا التصريح . وأن عظمته تلطف وفاوض سسل فى الأمر ، وأخبره بأن عدلى باشا كان خير وسيط لديه .

ورأيته مسرورا من تعيين ونجت باشا ، وقلت له : إن له رأيا شخصيا ، واشتغل مع أرباب الآراء ، وإن كانت آراؤهم[٢٣٢] مخالفة أفضل من المقلدين الذين لا رأى لهم ، ويعبرون عن رأى غيرهم .

وقد تقابلت ، فى فرح أقامه محمد صادق بيك المحامى - الذى

(٢٣١) ادوارد سيسل ! المستشار المالى .

(٢٣٢) فى الأصل : آراءهم .

كان رئيس نيابة وانفصل ، لأسباب أتذكر أنها لا تشرفه - مع رشدى باشا. وفهمت منه أن سسل ربما تعين حاكماً عاماً للسودان ، وأنه لا يود ذلك لكونه يرى مركزه أعلى من مركز الحاكم العام ! وأكد لى أن جراهم هو الذى تسبب فى ذلك التغيير ، وأن مكماهون استاء منه ! وقال : إنه[٢٣٣] كان راضيا عن حالته .

فى ١٠ منه

ذهبت اليوم - ١٠ نوفمبر - لأزور مكماهون زيارة ود وانعطاف . فلم أقابل إلا استورس . وجرى بيننا بعض كلمات تافهة ، وقال لى : إن مكماهون مشغول بالبريد ، ويقابلنى غدا الظهر . فقلت : كذلك .

وشعرت بأن هذا منه ![٢٣٤] ولو لم يكن الرجل راحلا ، لعدت من حيث أتيت . ولا أدرى إن كنت أشير إليه عن ذلك غدا !

أخبرنا إسماعيل باشا سرى أن سبب فصل مكماهون ، اتهامه من مكسويل وجراهم وغيرهما بأنه ضد الايكوسيه[٢٣٥] لأنهما من هذا الجنس ودنلوب ومكليرث . ومنه (...)[٢٣٦] أسكويث وجراى .

قد كان هلباوى بيك أكد لى أن سيسل سيتعين حاكما عاما

---

(٢٣٣) أى سيسل .

(٢٣٤) أى أن ستورس هو الذى أجل مقابلة سعد إلى الغد ، وليس مكماهون .

(٢٣٥) هكذا تقرأ . والايكوسيه Ecossais (بالفرنسية) هم الاسكتلنديون .

(٢٣٦) اسم غير مقروء .

للسودان ولكن سرى(. . .)[٢٣٧] شكا فى ذلك، وقال الأول : إن مصدر هلباوى ربما كان استورس ، فإنه كان يقول : ربما كان من الأحسن تعيين سيسل حاكما عاما للسودان .

[ص ١٦٠٤]

١١ نوفمبر سنة ١٩١٦

قابلت اليوم فى الظهر مكماهون ، فاستقبلنى أحسن استقبال . وقلت له : إنى جئت بالأمس لكى أبدى لسعادتكم شدة ميلى لكم ، وانعطافى نحوكم ، وأسفى لفراقكم ، فوجدتكم مشغولين ، ودعيت للحضور فى هذه الساعة . وفى الواقع إنى أحفظ لكم جميل الذكرى وكنت أتمنى لو بقيتم حتى تنفذوا مقاصدكم الجميلة .

قال : إنى فى غاية الكدر من اضطرارى لمفارقة مصر ، فإنى أحبها . وكنت أعددت بعض المشروعات لنفعها ، وكانت على وشك الانتهاء . ولكنى عوجلت عنها قبل إبرازها .

فقلت : إن هذا من سوء بخت مصر، والعادة العرفية من أمرها أن الذين يحبونها لا يعيشون فيها زماناً طويلاً . وقد اعتادت الحكومة الانكليزية أن تسترد إليها من الرجال من يكونون ابتدءوا أن ينفعوا مصر باختيارهم .

فقال : إن مصر مدرسة ! ومن الطبيعى أن تخرج التلامذة من المدارس بعد أن يتموا الدراسة فيها !

قال : إنى مستاء جدا من سفرى ، وقد أخطأت كثيرا ، فقد

---

(٢٣٧) اسم غير مقروء .

كان الأفضل أن أشغل مركزا أقل أهمية وأطول مدة ! ولا تظن أنى ما كنت أشتغل ، بل قد اشتغلت كثيرا ، وساعدت على بعض المشروعات المهمة ، كالمشروع الخاص بالمواد الروحية .

فقلت : لا دراية لى بمشروع من هذا القبيل !

فقال : القانون الذى يمنع من تعاطى المشروبات بعد الساعة ثمانية !

قلت : إن هذا وضع بمناسبة العساكر ، وحفظاً لهم من غوائل المشروبات !

قال : لا ، بل كانت المحافظة على العساكر وسيلة لوضعه !

فصغر الرجل فى عينى عند هذه الكلمات !

قال : ولقد وعدت بأن تساعدنى ، وساعدتنى فعلاً ، فأشكرك .

فقلت : إنى لم أساعدك فى شىء ، إلا إذا عُدَّ السكوت مساعدة !

قال : نعم ، وكثيرا ما كان السكوت أفيد من الكلام !

ثم قال لى إنه حسَّن كثيرا فى الجنينة . وفرجنى عليها .

وانصرفت بعد تبادل عبارات الأسف ، والسلام .

[ص ١٦٠٥]

فى ١٢ منه

كنت أمس فى احتفال اقامه وهبة بيك شلبى فى منزله ، لزواج بنته . فجلست - بعد البوفيه - بجانب الدكتور فارس نمر ، وجرى

الحديث على ما تفعله ألمانيا من تجنيد جيش من البولنديين .

فقلت : لـو كانت انكلتـرا أعلنت استقلال مصـر ، لكانت تمكنت من مساعدة مصر لها بجيش عظيم .

قال : وما يمنع المصريين من هذه المساعدة الآن ؟ إن الأحسن لهم ، إذا أرادوا أن ينالوا شيئا من الاستقلال ، أن يدافعوا بجيش عن الجبهة الشرقية ، أو يساعدوا الشريف[٢٣٨] على استقلاله !

قلت : إنه لا يحسن لمصر أن تساعد الذين انتهزوا فرصة الحرب لأخذها واضاعة استقلالها ، لأن ذلك يكون بمثابة تقوية الحبل الذى يخنقهـا . ولا يمكن أن تؤيد الشريف لأنه خارج على الـدولة التى لم تفعل ضد مصر شيئاً . ولا يمكن لمصر أن تثق من إنكلترا بوعد ، حتى إذا بذلته صريحا لها ! لأنها دخلت هذه البلاد بحجة تقوية مركز خديويها ، فلما تقوى ، مـدت الاحتلال ، بحجـة تنظيم حكـومة ثابتة ! فلما تنظمت حولت الإحتلال إلى حماية ! وسطت على حقوق مصر فاستلبتها ! ولم تكتف - كتركيا - بأن تكون لها السيادة ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك ، فتداخلت فى الأمور الداخلية ! ومع كونها هى التى عينت السلطان ، لم[٢٣٩] تترك فى يده من السلطة شيئا ، ورأت منه الاخلاص لها ، والعمل ليل نهار على إرضائها ، فـانها زاحمته على بعض الظواهر ونافسته فى بعض الشارات التى لا أهمية لها ، وجعلت لمعتمدها من الاستقبال ومظاهره فى تنقلاته ما هو من خصائص السلطان[٢٤٠] !

---

(٢٣٨) يقصد : الشريف حسين .

(٢٣٩) فى الأصل : ولم .

(٢٤٠) هذا الرد من جانب سعد زغلول يـوضح حجم الغضب الـذى كان يعتمل فى صدره لما تفعله انجلترا بمصر ، وهو ما كان له أثره فى دوره بعـد انتهاء الحرب .

وبناء على ذلك ، لا يمكن أن المصريين يغفلون شيئا من ذلك القبيل . وانصرفت ، وكل يؤيد رأيه !

[ص ١٦٠٦]

فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٦

زارنى أمس - صباحا - كل من حافظ بيك رمضان ، وعبد العزيز بيك فهمى ، ويوسف بيك نحاس . ومساء إبراهيم سعيد باشا ، وخليل بيك شاهين ، وعبد الله باشا وهبى قبل العشاء ، وبعده محمد بيك حلمى وصدقى بيك وحنفى بيك ناصف . وقد رويت لجميع الزائرين قصتى مع فارس نمر التى أثبتها سابقا .

وكنت طول اليوم والليل مشغول البال بالقطن ، وتهددنا بنزول أسعاره وتحتم نزولها عقب شرائى ورفضى للبيع بثمن لا بأس به .

وقد تنبهت صباحا على منام لا أرتاح إلى مثله ، ولا أجد فائدة من قصه .

وقرأت الجرائد ، وما وجدت فيها جديدا ولا مسليا،وتناولت كتابا للخضرى فاستثقلته ، واتممت[٢٤١] توفيق الرافعى صاحب مملكة الشيطان بجلسة[٢٤٢] لأنه قدم إلى ثانى نسخ من هذا الكتاب .

ذاعت فى مصر بواسطة شركة روتر نشرة صادرة من قصر الحاكم العام بالخرطوم ، مفاده أن تعيين ونجت باشا نائبا للملك فى مصر

---

(٢٤١) قراءة تقريبية .

(٢٤٢) قراءة اجتهادية ، إذ تقرأ بحبسه .

لا يغير علاقته بالسودان ولا بإدارته ، وأنه تعين ستاك باشا[٢٤٣] مؤقتا للنيابة عن الحاكم العام والسردار ، تحت مراقبة ونجت باشا مدة الحرب .

ولا ندرى كيف صدرت هذه النشرة فى الخرطوم ، وما صدرت فى مصر ، مع كونها تمس حكومة مصر ، ولها شركة فيها ؟ ولا ندرى كيف يجمع نائبا للملك بين الوظيفتين معا ؟

فى الساعة ١١ من صباح اليوم ، سمعت وأنا وحدى بمكتبى ، صوت بومب يفرقع ، فظننته مناورة حربية ، وكان صوت الفرقعة قريبا ومتناقلا غير معتاد ، وكنت فى ذلك أراجع خريطة رومانيا .

ثم أردت الخروج للتريض بالمشى قليلا ، وإذا بفتح الله بركات قادم ، فجلس ، وجلست معه . وبعد ذلك حضر إبراهيم باشا سعيد ، ثم خليل بيك شاهين ، وقال : إن هذه [ص ١٦٠٧] الفرقعة التى لابد أن تكونوا قد سمعتوها إثر بومب ألقته طيارة على محل سمواى ، ومحل البنك الأهلى . فأرسلت أحمدبيك مصطفى يكشف الخبر .

ثم حضر إبراهيم باشا مراد ، وقال إنه كان فى البنك الأهلى ، وسمع الفرقعة ، ولم يصب البنك بشىء ، ولكن بومبة وقعت بجانب أوتيل سفواى ، وأصابت أربعة من « البرابرة »[٢٤٤] .

ثم عاد أحمد بيك مصطفى ، وأيد هذا الخبر ، وقال إن بومبة نزلت خلف منزل الأمير فؤاد ، وأخرى بجانب البنك الأهلى وأصابت أشخاصا .

---

(٢٤٣) السير لى ستاك .

(٢٤٤) أى السودانيين .

ثم ركبت إلى الكلوب ، فوجدت جمعا أمامه ، وقالوا ما يؤيد الخبر الأول ، وزادوا بأن امرأة ميرزباخ مع كلبها أصيبت ، وأشخاصا آخرين فى النقطتين السابقتين . وإن بومبة أخرى ألقيت على محل (. . . .)[٢٤٥] وأخرى فى شارع كلوت بيك ، ولا يعلمون النتيجة . وإن هذه القنابل ألقاها طيار فى طيارة من نوع « الأمير راجلان »[٢٤٦] ، وكانت هذه الطيارة تحوم من الساعة ١٠ صباحا حول المدينة .

وقد استولى الرعب على القلوب ، وكثر اجتماع الناس فى المواقع التى ألقيت القنابل فيها .

ومن الناس من هش لهذه المصيبة ، وعدها مقدمة للفتح القريب ! ولكنهم واهمون ! والله المتولى أن يقى الناس شر هذه الحرب الطاحنة ، وأن يضع حدا لهذه المذبحة البشرية .

ولقد خطر ببالى ، عند عودتى من النادى الذى ذهبت إليه عقب الحادثة ، أن هذه الطيارة ليست ألمانية ، ولا تركية ، بل ربما كانت انكليزية الغرض منها تنفير الناس من الترك والألمان ، وحملهم على السخط منهم ، وترضيهم عن مساعدة الحلفاء بتجييش جيش يدافع معهم !

خطر هذا الخاطر [**ص ١٦٠٨**] ولكنى لم أسترسل معه ، ولم أحفل به كثيرا . ولكنى وجدته عند كثير من الناس ! يقولون به ويؤيدونه . والذى يحملهم على ذلك أنهم لا يجدون منه فائدة للترك والألمان ، لأنه إذا كان الغرض إظهار اقتدارهم ، وضعف الانكليز

---

(٢٤٥) اسم غير مقروء .

(٢٤٦) هكذا تقرأ .

عن مدافعتهم ، فكان من الحكمة أن يتوصلوا إلى هذه الغاية بغير إراقة الدمـاء ، وإلقاء الـرعب فى قلوب الأبريـاء ، وتكديـر صفو الراحة فى بلاد مغلوب على أمرها ، وتعطيل تجارة قوم لا ذنب لهم فى هذه الحرب الطاحنة ، وربما كانوا أول من أصيب بنارها ، وأكثر الناس مقتا لها .

ولكن الحلفاء مستفيدون من إثبات أن جماعة الترك والجرمان قوم قست قلوبهم ، وغلظت أكبادهم ، لا يرقبون فى هذه الحرب إلاً ولا ذمة ، ولا يبحثون عن شىء آخر سوى الوصول إلى غاياتهم ، مهما ترتب على ذلك من النتائج والخسائر لغيرهم .

فإن كانوا[٢٤٧] هم الذين أرسلوا ذلك الطيار ، فقد طـارت عقولهم ، وذهبت بصائرهم ،وأخذهم الله بسوء ما عملوا ، فتبدل الميل إليهم نفورا منهم ، والرضى عنهم سخطا عليهم . وإنى أول من يتمنى الانكسار لرايتهم ، والانهزام لقوتهم ، والخيبة لهم فى كل مكان .

ويستند الذين يقولون بأن تلك الطيارة انكليزية بالأدلة الآتية :

أولا : إنها اجتـازت الحدود ، ووصلت إلى عـاصمـة البـلاد صبـاحا ، وحـامت حولهـا تسفـل وتعلو ، من السـاعـة ١٠ لحـد ما حدثت الحادث (٢٥٧)اعة ١١ . ولم يطاردها مطارد ، ولا يدافعها مدافع ! فأين الطيارات الحارسة هنا وهناك ؟

ثانيا : إنه كان فى الامكان مقابلتها عند العودة ، واقتناصها فى السويس أو القنال !

---

(٢٤٧) أى الألمان والترك .

ثالثا : انها لم تلق القنابل إلا فى الشوارع والخرائب !

رابعـا : أن الألمان لا يستفيـدون منها إلا النفـور منهم ، أمـا الانكليز فيستفيدون إثبات كون هؤلاء من الهمج المتوحشين ، وأنهم لا يعطفون على ضعيف ولا يرأفون ببرىء [ص ١٦٠٩] وبذلك يسهل عليهم أن يعملوا بالمصريين ما شاءوا .

تلك أدلة من يسىء الظن بالانكليز .

ولكن يصعب على أن أصدق هذا الرأى ، لأن الانكليز لم يبلغوا من خبث النية أن يقتلوا الأبرياء بأيديهم ، لتحقيق غاية مثل تلك الغاية .

ثانيا : لأن انكشافها - وهو جائـز لأى سبب - كان يحط من قدرهم ، وينزل من كرامتهم .

ثالثا : لأى الألمان يعتبرون المصريين الآن أعداءهم . إذ كانوا ينتظرون منهم أن يثوروا عـلى الانكليز عنـدما يقتـرب الترك من حدودهم ، فلما لم يحركـوا ساكنـا وراءهم - فوق ذلـك يبذلـون الامداد لمساعدة الانكليز ، حقدوا عليهم ، وأسروا العداوة لهم ، وأضمروا فى أنفسهم أن يعاملوهم معاملة خصومهم . والله أعلم !

فى ١٤ نوفمبر سنة ٩١٦

زرت أرض دمنهـور ، وعـرض عـلى الشيـخ إسمـاعيـل (. . .)[٢٤٧م] أن أبيع العزبة بسعر مائة وخمسين جنيه الفدان ، فقلت : لا أنوى بيعها ، ولكن إذا عرض على ثمن لائق ، يمكن أن أبيع . ولا يليق أقل من مائتى جنيه ! فانصرف .

(٢٤٧ م) اسم قد يقرأ : « الشريعى » أو « القريعى » .

٢٤١٩
وبلغنى أن العمدة يعاكس ، فأرسلت إليه إسماعيل هـذا ، وكلمته أنا بأن يكف عن المعاكسة ، أو أعاسكه ! وأخبرت المدير ، ورجوته أن لا يفعل شيئا حتى أخاطبه فى شأنه مرة أخرى .

ولم أُسر من كل ما رأيت فى العزبة ، وأعلنت إلى راغب عدم ممنونيتى .

وعـدت فى المفتخـر ، وقـابلنى فى العـودة هلبـاوى بيـك ، وساويرس ، وعزيز خانكى ، وتحادثنا فى القنبلة التى ألقيت ، وفى الحرب . وكلٍ قال شيئاً مما عنده ، وظهرت الاحساسـات مختلفة متناقضة ، وكلٌ أخذ يؤيد ما يوافق شعوره وإحساسه .

من الحمق أن تتلو آيات الوطنية على من لا وطن له ، وأن تهز [ص ١٦١٠] شعور من لا يشعر .

فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٦

زرت عابدين ، وقيـدت اسمى فى دفتر السـائلين عن صحة عظمة السلطان . وفهمت من سعيد ذو الفقار وارافيل نوبار أنه كان قبل أحسن منه اليوم . ويظهر أنه قلما ينجو من هذا المرض .

يؤكدون أن القنابل كانت ١١ لا ٩ . ولا يزال الناس يتوهمون أنها من غير الترك والألمان ، ولكنى أظنهم واهمين فى ذلك .

قابلت ، عند إبـراهيم باشـا سعيد اليـوم ، بدراوى بـاشا ، وفهمت من حديثهما أن هلباوى بيك كسب اليوم قضية لبدراوى ، حيث حكم على متهم بحرق تبن من لدنه بثلاث سنوات . وأشار إبراهيم باشا على بدراوى أن يزور محاميه ، ويشكره ، فأعرض عن ذلك ! ووقع فى نفسى أن هذا الاعراض لؤم منه !

٢٤٢٠

وقد أشار عليَّ بان لا أعمق خطوط القطن ، وأن أشبعه ماء فى شهرى يونيو ويوليو . ووافقه إبراهيم باشا على الإشباع ، ولكنه خالفه فى عدم تعميق الخطوط ، لأن المصاطب واسعة ، فإذا لم تكن الحيضان منخفضة تعذر الشبع بالماء .

إذا كانت لمحمد حتاتة حاجة نسى كرامته فى سبيل قضائها ، وعرَّض نفسه للمهانة ، وتثاقل على غيره تثاقلا ممجوجاً . فقد علم أمس أن المدير كان حاضرا اليوم من طنطا إلى مصر ، وظن أنه مطلوب للتكلم معه فى شأن عمودية (. . .)[٢٤٨] فسافر اليوم بأول قطار إلى طنطا ، لكى يصحب المدير فيها إلى مصر ، وركب معه . ولكنه[٢٤٩] لم يقل له شيئا إلا عند نزوله هنا من المحطة : إنك تريد أن تكون عمدة ، ولكنهم يقولون إنك مقيم فى مصر ! فقال له : إنى مستعد للرحيل عنها . قال : سننظر فى ذلك !

فانظر إلى هذا التثاقل ! بل الثقل !

وحضر توا إلى القصد الذى فهمته منه : أن أستعلم من رشدى عما تم ؟ وكنت سبقت إلى قصده ، فلم أجد رشدى فى بيته . وسألت عنه بعد الظهر فقيل أنه مستعد للخروج !

[ص ١٦١١]
فى ١٦ نوفمبر سنة ٩١٦

قابلت أمس رشدى باشا ، فقال:لأجل إدخال شخص

(٢٤٨) كلمة غير مقروءة .
(٢٤٩) أى المدير .

مستشفى المجاذيب ، يقدم طلبا إلى المحافظ ، وهو يرسل أحد المعاونين باستمارة يملؤها الطالب ، ويأخذ المعاون هذه الاستمارة مع الشخص المراد إدخاله ، ويذهب به إلى المستشفى .

أما مسألة محمد حتاتة ، فقد أوقفتها لأن جراهام كان ترك مذكرة بعدم تعيينه ، وتعيين ابن أخيه ، لعدم رغبة الأهالى فيه ، ولإقامته بمصر .

قال : وغريب من جراهام هذا الأمر ، مع كونه كان يقول إنه صاحبه ! فعدت رجائى إليه أن لا يتهاون فى الأمر . فقال : سأبذل جهدى ، وإن بعض الأعيان تكلموا مع جراهام ، وبعضهم تكلم مع عظمة السلطان !

قلت : وما دخل هؤلاء فى هذه المسئلة ؟ قال : كذلك حصل !

قلت : إذا لزم أن نساعدك ، أمكن أن يتكلم حتاتة مع استورس ! قال : إن هذا ربما كان ضارا[٢٥٠] ومع ذلك تمهل قليلا ، ولا تفعل شيئا حتى أقول لك .

ثم تكلمت معه فى مسئلة أولاد عبد الغفار ، فقال : سأنظرها .

وقال فى مسئلة التجنيد : إن المراد كان إرسال قوة مصرية ، فلم نرد ذلك ، وعارضنا فيه ، فتوجهت الأفكار إلى إرسال قوة انكليزية وطلب الشريف ذلك . ومن حسن الحظ أن السردار موافق على ذلك

---

(٢٥٠) قراءة اجتهادية .

كسردار للجيش المصرى ، ولا ندرى إن كان يُصر على هذا الفكر بعد أن تعين نائبا للملك ؟

ثم قال : إن هذا من الأسرار التى أود أن تبقى بيننا ، ولا يطلع أحد عليها .

وقال : إن صحة السلطان أحسن ، وإنه يتكلم الآن بسهولة لم يكن يتكلم بها من قبل .

فى ١٧ منه

لم يحدث ما يستحق الذكر ، غير أننا كنا فى فرح بنت إسماعيل باشا سرى ، وكان احتفالا ضخما ، وقد برحت فى الساعة العاشرة إلى الكلوب ، ولعبنا فى صالون خاص بارتيتة[٢٥١] باسم « بوكر » لغاية الساعة ٢[٢٥٢] صباحا . وكان رشدى عول[٢٥٣] على صدقى وكسبت ٢٥ جنيه تحمّل به صدقى ، ولكن العشم قليل فى الحصول عليه .

[ص ١٦١٢]

فى ١٨ منه

نمت نوما هادئا . وعرض على « بيتوتو »[٢٥٤] السمسار أن يشترى قطن دمنهور بتسعمائة وستين القنطار ، ومسجد وصيف بسعر ٩٤٠ القنطار ، فلم أقبل . ووعد أن يعود غدا – يعنى اليوم .

---

(٢٥١) بارتيته بالفرنسية Partie أى دور من لعبه .

(٢٥٢) وقد تقرأ : الساعة ٥ .

(٢٥٣) قراءة اجتهادية ، والمعنى اعتمد .

(٢٥٤) قراءة تقريبية .

٢٤٢٣

عاد ، واستمهلنى إلى الساعة ٤ بعد الظهر . وها قد وافت ولمّا يأت بعد .

وقد كنت أنتظره فى النادى ، ولم يكن به إلا جمع من شبان اليهود . فلعبت مع أحدهم دورين من النرد ، ولم يكسب واحد منا . ولكنهم يُظهرون الميل إلى الحلفاء ، ويقولون : لابد من انتصارهم (. . . .)(٢٥٥)

فى ٢٢ منه

بعت فى يوم ١٩ منه قطن مسجد وصيف ، إلى محمد أحمد خليل وشركاه ، بسعر تسمعائة وسبعين قرش القنطار فى قلب بعضه ، بما فيه الساقطة (٢٥٦) والاسكيرتو ، ولا يخصم للكيس فى الجمع إلاّ أربعة أرطال فى كل وزنه . وقد عرض علىّ هذا التاجر أمس أن يشترى قطن دسونس بمبلغ ألف وعشرين القنطار . فاستمهلته لليوم آخر النهار .

نشرت السلطة العسكرية اليوم بلاغا للناس ، تنصحهم فيه أن يحترسوا ، فلا ينتشروا فى الشوارع عقب أن يشعروا بوجود الطيارات ، بل يلجأوا إلى المبانى والستائر ، وأن ينزلوا إلى الطبقات السفلى وقت ذلك . وأن يكون فى منازلهم عدة للأنوار ، إذ ربما انطفأت الكهرباء فجائيا فحينها يجدون عنها بديلا . وقد تنبه باطفاء الأنوار البارزة ، وأن لا يدنو الانسان من نافذته .

---

(٢٥٥) عبارة غير مقروءة .

(٢٥٦) قراءة اجتهادية .

استحضرت مسيو بتوتو(٢٥٧)· السمسار ، وأعطيته قولا بقبول البيع فى قطن دسونس بمبلغ ألف وعشرين قرشا [ص ١٦١٣] واتفق على أن يُخبر التاجر غدا ، ويحضر معه . وكان ذلك بحضور صدقى بيك ومحمد بيك حتاتة وفتح الله باشا بركات . ثم حضر محمد بيك يوسف فى الحال عقب انصراف السمسار ، وأخبرته بذلك فبارك لى .

فى ٢٣ نوفمبر

أمس اضطربت بورصة اسكندرية، ففتح مينا بسعر ٤٠/٤١ ، ثم نزل إلى سعر ٤٥/٣٩ ، ثم ارتفع إلى -/٤١ ، وقفل على ذلك .

وقد كان قلبى يضطرب مع اضطرابها ، ويخفق لتقلبها ، فيشتد أسفى على عدم التصفية عند النزول ، وأرتاح للصعود ، وأميل للثبات على المركز .

وقد قال لى فى التليفون الخواجة غندور أنه يصفى المركز إذا عاد السعر إلى ٤٢ ، فقبلت ، ثم رجوته أن يخابرنى قبل التصفية ، فوعد أن يتكلم معى الساعة ١١ اليوم عقب الفتح .

طلب رشدى باشا أمس أن يقابلنى ، فذهبت اليوم إليه . قال : إن مسئلة حتاتة بيك تسير ضده ، وقد فعل كل ما يتعلق به فيها ، فلم ينجح . وقال : إنه لم يرد أن يشدد فيها حتى لا يكدر جراهام وهو فى مركزه الحالى . وأبدى استغرابه من اهتمام هذا

---

(٢٥٣) قراءة تقريبية .

الراحل بها ، حتى ترك مذكرّة عنها ، مع كونها مسئلة جزئية ، ولا تتعلق بالمبادىء . وقال : إنكم أحرار فى السعى كما تشاءون لدى فخامته ـــ فى أمر مسألته[٢٥٨] أو غيرها .

وسألته فى مسئلة التجنيد ، فقال : إن لها أصلا[٢٥٩] . ولكنها اندفعت بلطف والحمد لله .

ثم دخل ثروت باشا ، فتركتهما وانصرفت .

وبحثت عن حتاتة بيك ، فوجدته قد سافر . وقد كان أخبر بأن أخت رشدى رجته فى مسئلته ، فأجابها بأن السلطان ضده. ولكن رشدى يُكّذب اشتغال السلطان بهذ المسئلة الآن .

[ص ١٦١٤]

اليوم علمت بأن القطن فى إميركا وليفربول نازل ، فاشتد قلقى ، وعلت حرارة جسمى ، وأخفق قلبى ، وزاد فى الحركة نبضى ، وتصعب التنفس من صدرى ، واحتقنت رأسى ، وعلت الكدرة وجهى ! واضطربت الفرائص ، وكثرت الوساوس .

ولا أقدر أن أفعل شيئا إلا انتظار الفتح ، فإن فتح نازل ، صفيت إن كان النزول قليلا ، وإن صاعدا انتظرت إذا كان قليلا ، وإذا كان كثيرا صفيت .

ولكنى أخشى أن يكون النزول بحيث لا أستطيع التصفية إلا بخسارة كبيرة ، لأنه إن نزل إلى ٣٨ يا سلام ! - أنا لا أريد أن

(٢٥٨) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق .

(٢٥٩) قراءة تقريبية .

أتصور ذلك ، لأن الخسارة تكون عظيمة ! والأمر لله ، ما شاء يفعل ، ولا خير فى ثروة يكون من ورائها هذا العذاب الأليم ، وهذا القلق الجسيم !

والآن أكتب هذه السطور ، وفى كل دقيقة أنظر الساعة لأرى إن كان موعد الفتح دنى ولم يبق عليه إلا عشر دقائق . ما أطول مدتها ، وأشد قلق الخاطر فيها . وكلما شعرت باقترابه ، مغص قلبى ، وضاق تنفسى . فاللهم أنقذنى من هذه الحال بسلام !

وقد بقيت على هذه الحال ، حتى علمت بأنه قفل على ٤٠/١٢ فارتحت نوعا ، ولكنى عدت إلى القلق لأنى لا أعلم ما يأتى به الغد ! والأحوال تدل على أن المركز حرج ، وأن النزول أقرب من الصعود .

ولقد تفقدت نفسى ، فوجدت أن أغلب حيرتى تأتى من نفسى ، لأنى لا أعرف كيف تنتهز الفرصة . فإذا كسبت طمعت فى الزيادة ، وإذا خسرت تعشمت فى تخفيف الخسارة !

على أنه يلزم أن يقتنع الانسان بيسير الربح خشية أن يقع فى كثير الخسارة . وإذا أنا اتبعت هذه الطريقة فى الحياة العمومية ، ربما أصبت شيئا من النجاح . ولكن الأحسن والأفيد أن أترك هذه الحياة ، لأنها ملأى بالمنغصات ، وغاصة بالمكدرات ، ومزاجى لا يتحمل أحزانها ، وقلبى لا يقوى على صدماتها ، وانما أنا رجل الحياة الطبيعية الشرعية .

ولذلك ، فإنى قد صممت على أن أخلص غدا ، مهما كانت النتيجة كسبا أو خسارة ، إذ لا خير فى مال يُكسب بتعب القلب وقلق البال !

[ص ١٦١٥]

فى ٢٤ نوفمبر

لم يحضر تاجر القطن ، ولاسمساره ، ولم يرد لى منهما خبر لغاية أمس . وانى منتظرهما اليوم .

لم أنم أمس إلا قليلا ، مع أنى احتميت فيه حمية شديدة ، فلم آكل خبزا ولا نشويا ولا سكريا . وقد جمعت البول لتحليله كإشارة الطبيب ، وبلغ ما تحصل منه فى الأربعة وعشرين ساعة الماضية لترين وأربعمائة وخمسين جراما ، وهو مقدار كبير يدل على كثرة وجود السكر فيه .

وقد كان أغلب فكرى - أثناء القلق - فى القطن والتخلص منه ، وعزمت على أن أفعل اليوم ذلك . والله المعوض .

وقد رأيت - من شهر - مناماً أتشاءم من مثله ، فأستعين بالله من أثره ، وأرجوه أن يخلفنى[٢٦٠] بخير وكرم .

أشعر من يوم بنغز كنغز الإبرة فى أسفل الأصبع الشاهد[٢٦٠م] من اليد اليمنى . وشعرت بمثله اليوم فى أعلى الشاهد من اليسرى ، وما أدرى سببا لذلك !

ورجلى التى وقعت عليها ، قد زاد ألمها فى موضع السقطة ، وأشار الطبيب بوضع ساخن عليها ، ورغب أن يستشار غيره معه فيها ، وتحليل البول . ويظن هو أن شيئا توسط المفصل ، ولا يخرج

---

(٢٦٠) قراءة تقريبية ، والمعنى : أن يعوضنى .

(٢٦٠ مكرر) أى : الأصبع السبابة المجاور للإبهام ، ويطلق عليه اسم « الشاهد » لأن المرء يرفعه - أحيانا - عند النطق بالشهادتين .

إلا بالاخراج ، أو يضمحل بطول الزمان . والاخراج لا يكون إلا بعملية ، ولا أتحملها . وأفضل البقاء - على ما أجد من الألم - على تعجل الشفاء بالعملية ، لأنى لا أتحملها . والله أعلم !

إن شئت أن تحيا سعيدا ، فاقنع بالقليل ، ولا تتعرض لما لا حيلة لك فيه

فى الساعة ٩ تكلم السمسار معى بالتليفون بأنه قادم مع التاجر الساعة ١١ ، بعد مرورهما بمحمود باشا صدقى(٢٦١) . فانتظرتهما لغاية الساعة ٤٥ , ١٢(٢٦١م) ، فحضر السمسار ، وقال : إن التاجر توجه العباسية ، ولم يرغب الحضور لكون القطن نزل . قلت : لا أهمية لهذا النزول وقد انعقد البيع . فقال : نعم انعقد ، وبمجرد ما أخبرنى بالقبول أول أمس ، اخبرته تلغرافيا بذلك ، وهو أفادنى بأنه حاضر اليوم ، وحضر ، ولكنه متردد [ص ١٦١٦] إلا إذا حطيت شيئا من الثمن ، كأن تقبل أن يكون قطن دسونس مثل قطن مسجد وصيف !

قلت : لا أحط ولا بارة واحدة ! وليست المسألة مسئلة إحسان ، ولا التاجر بفقير ، ولا أن البيع حصل بشرط الصعود ، ولكن المسئلة مسئلة بيع تم من الجانبين ، وتم منجزا ، ويلزم كلا من المتبايعين أن يحضروا وإلا التزم بالتعويض .

فقال : إنى سأذهب إليه ، وأعود معه ، وأبذل جهدى فى إرجاعه عن تردده . وإنى مستعد لاعطائك صورة ما دار بينى وبينه من المخابرات .

---

(٢٦١) محمود باشا صدقى هو عديل سعد زغلول .

(٢٦١ مكرر) مكررة فى الأصل .

ثم انصرف ، وعاد فى الساعة ٤ بعد الظهر بدون التاجر ، وقال : إنه لم يتمكن من رؤيته ، لأنه سافر وأرسل إليه خبرا مع عامله يقول له : إنه سيعود يوم الثلاث !

فقلت : إن هذا غير جائز ، وإنى متمسك بالعقد ، فإذا لم[٢٦٢] ينفذه لغاية غد الظهر أكون[٢٦٣] فى حل من حفظ حقوقى ، والحصول عليها بالطرق المشروعة ! فانصرف على ذلك .

ثم أرسلت تلغرافا إلى محمد المندى الوليلى باسكندرية ، هذا نصه :

عرضتم شراء قطننا بدسونس بألف وعشرين قرش القنطار ، وتعهدتم بتحرير عقد البيع إذا أخبرتكم بواسطة سمساركم بالقبول مساء اليوم التالى ، وتم ذلك فعلا ، وما حضرتم . على أننا متمسكون بهذا الاتفاق ، وندعوكم لتنفيذه فى يومين من تاريخه ، وإلا كنتم مسئولين بجميع المقتضيات .

وأريت هذا النص إلى محمد بيك يوسف ، فاستحسنه . ورويت الحادثة إلى كل من لاقيته فى النادى ، فلم يوافق التاجر واحدٌ على عمله . وبت أفكر فى المسئلة ونتائجها ، وأعرض[٢٦٤] الآن أن يستلم التاجر القطن ، ويدفع الثمن الذى يدفعه ، ويحفظ الحق فى مقدار الثمن[٢٦٥] .

---

(٢٦٢) فى الأصل : « فالم » .
(٢٦٣) فى الأصل : « أكن » .
(٢٦٤) وقد تقرأ : « وافرض » .
(٢٦٥) قراءة ترجيحية .

٢٤٣٠.

فى ٢٦ نوفمبر

لم يجىء التاجر بيتى لغاية الساعة ٩ من اليوم . وقد حضَّرنا ورقة افتتاح دعوى مستعجلة أمس . وأرسلت اليوم إلى اسكندرية بطلب تعيين حارس قضائى لبيع قطن البحيرة بالسعر الحاضر ، [ص ١٦١٧] وحفظ الحق فى الفرق ، وصرحنا بأننا لا نعارض التاجر فى الاستلام إذا دفع الثمن الذى يقدره ، وحفظ لنا الحق فى الفرق بين ما يقدره وبين السعر الذى ندعى الاتفاق عليه . وكان الارسال بواسطة كاتب محمد يوسف بيك ، وسلمته ورقة الاشتراك(٢٦٦) للسفر بها .

وفى الساعة ١١ ونصف تقريبا ، تكلم معنا بالتليفون كاتب السمسار يقول : إن التاجر بعث تلغرافا بأنه يحضر يوم الأربع القادم . فقلت : إن الدعوى تقدمت .

حضر أمس على باشا شعراوى ، وسألته عما إذا كان قال لصدقى بيك كلاما فى خصوص مسئلة تعيين محمد حتاتة عمدة ؟ فقال : نعم ، لأنى علمت أن جراهام ترك إشارة بعدم تعيينه ، والمستشار الحالى موافقه ، وكذلك حكام المديرية غير راضين عنه .

فقلت : إن المدير يساعده . فقال : المأمور يعاكسه ! وإنه تلقى العلم بإشارة جراهام من مفتش إنكليزى ، لمناسبة جرت بينهما .

فاستغربت ذلك ! ووقع فى نفسى أن مخبره لم يكن إلا رشدى باشا ، وأن له سعيا فى المسئلة ! هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نقل

---

(٢٦٦) وقد يقصد بورقة الاشتراك هذه بطاقة الركوب المخفض بالقطار .

٢٤٣١

حتاتة إلى صدقى أن أخت رشدى رجته لصالحه قائلة : أتعشم أن لا تفضل رجاء شريفة خانم على رجائى ! فقال : إن السلطان لا يريد تعيينه ، ولابد أن يكون على باشا تداخل فيها الخاطر الملباوى ! والله أعلم ! واللازم أن يحترس الانسان من الانسان فى هذا الزمان ، مهما كانت الأحوال ! والله المسئول أن يقينا شر الأصدقاء قبل الأعداء !

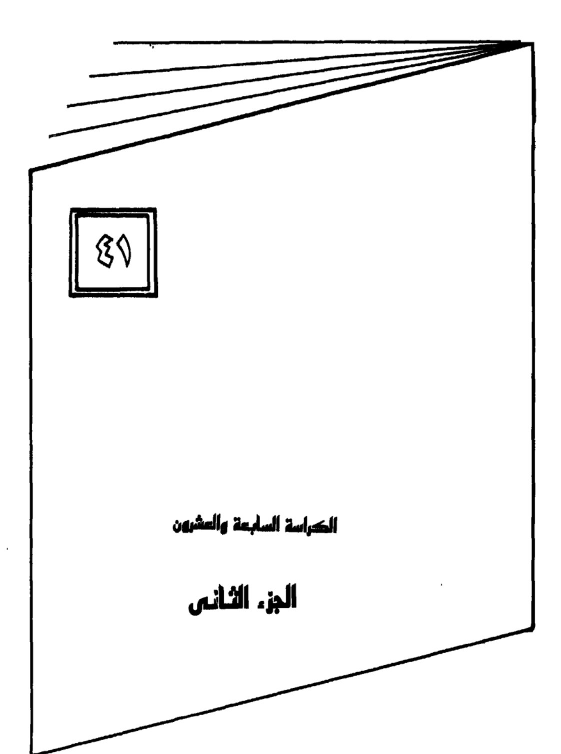
كثر تفكرى فيما خسرت من الأعمال الهوائية ، ولمت نفسى لوما شديدا على الاشتغال بها . ولو كنت أريد الغنى[٢٦٧] ، لأصبته من الأعمال الاعتيادية ، فذلك خير ، وأهنأ للنفس ، وأجدى للفكر وأشرف للنفس ، وأوفق بمنزلتى فى الناس .

أفلا يكون لى من كل هذا رادع يرد عنى عن مباشرة هذه الأعمال ، ويصدنى عن هذا السبيل ، الذى لا يأمن سالكه ، ولا يصل منه إلا إلى الدمار ؟

ولقد اقتربت الساعة ، وقامت العلامات على القرب من النهاية ، فلابد من الرجوع إلى الله ، والتوبة إليه عما لا يرضاه ،وهو الموفق لما يشاء ، إنه على كل شىء قدير .

---

(٢٦٧) فى الأصل : الغنا ، وقد سبب هذا الشكل للكلمة مع طريقة سعد زغلول فى الفصل بين مقطعى الكلمة ، وضم المقطع الأول للكلمة السابقة ، وضم المقطع الثانى للكلمة التالية ، صعوبة كبيرة فى قراءة هذه العبارة .


٤١
الكراسة السابعة والعشرون
الجزء الثانى

الكراسة السابعة والعشرون

الجزء الثانى

من ص ١٤٢١ ـ ص ١٤٢٤

من ١٠ نوفمبر ١٩١٦

إلى ١٤ ديسمبر ١٩١٦

المحتويات

ص [١٤٢١]
١٠ نوفمبر ١٩١٦

كنت أردت أن أبيع القطن ، أو جانباً منه ، وأشترى كونتراتات بمقدار ما أبيع منه ، لأن لى أملا فى صعود الأسعار صعوداً مطرداً فى هذا العام . وقد تحادثت مع مدحت باشا يكن فى هذا الشأن ، وعرض علىّ أن يكلف سمساره بأن يشترى لى ما أريد ، وبعد ذلك لم يشتر بحجة أن سمساره يرى النزول !

ومضت على ذلك عدة أيام ، ثم تجدد الحديث أمس فى النادى ، وانتهى الأمر على أن نجتمع فيه اليوم الساعة عشرة وثلاثة أربع . ووجدته فى محل التلفون يخابر سمساره ، وكلفه ، بناءِ على طلبى ، أن يشترى مائتين وخمسين قنطاراً . وانصرفت على أن يبلغنى النتيجة عند وصولها إليه .

وفى الساعة واحدة وكسور من هذا اليوم ، بلغنى أنه حصل شراء المقدار المذكور بسعر ٣٦/٤٠ يناير ! فقلت له : كان المطلوب مارث[٢٦٨] ، فقال : يظهر أن الأمر اشتبه عليه ! قلت : لا بأس من ذلك !

وقد استلمت من محل «(. . .)[٢٦٩] أدولف» ألف قنطار فى الساعة اربعة . فقيل لى : أن القَفْل حصل بالأسعار الآتية :

٣٨/٦٠ نوفمبر	(وقال لى مدحت عند اجتماعى به أن
٣٦/٤٠ يناير	(يناير حقق من ٤٠ إلى ٦٠ قلت :
٣٥/٧٥ مارث	(عظيم !

---

(٢٦٨) مارس .

(٢٦٩) اسم غير واضح .

[ص ١٤٢٢]

قنطار عدد	ف	ميعاد	تاريخ العملية
٢٥٠ ش*	٣٦/٤٠	يناير	١٠ نوفمبر سنة ٩١٦
ش	٤١/٣٠	يناير	٢٠ نوفمبر
ش	٤٣/٧٠	يناير	٢١ نوفمبر
٥٠٠ ش	٣٨/٩٠	يناير	٢٤ نوفمبر

وقد فعلت ذلك ـ أى صفيت هـذا المقدار بهـذا السعر ـ لأن السمسار أخبرنى بالتلفون(٢٧٠) بأن حالة البورسة(٢٧١) رديئة جداً ، فخشيت كثرة الخسارة ، وأمرته بالتصفية عن هذا المقدار . فإذا كان ما تصفى هو أول وثانى عملية ، لا يكون لى ، ولا علىّ ، شىء ، لأن(٢٧٢) الأولى تكون قد كسبت ٢/٦٠ والثانية تكون خسرت(٢٧٣) ٢/٤٠ ، فيكون المكسب ٢٠ فى نظير السمسرة على الأقل . وتبقى العملية الثالثة خاسرة بحسب سعر القَفْل البالـغ ٣٢/٤٨ ـ ٢٢/ ٤ ، أو مائتين(٢٧٤) جنيه وأربعة قروش غير السمسـرة(٢٧٥) وحق الحكومة .

(*) ش يقصد شراء .

(٢٧٠) مطموسة بالأصل .

(٢٧١) البورصة .

(٢٧٢) مكتوبة على شقين : (لا) فى آخر السطر ، (ن) فى أول السطر الثانى .

(٢٧٣) مطموسة بالأصل .

(٢٧٤) هكذا فى الأصل ، وصحتها « مائتى » .

(٢٧٥) مطموسة بالأصل .

[١٤٢٣]

فى ١١ نوفمبر هبط السعر إلى ٣٥/٢٠ - يعنى نزل عن سعر الشراء بمائة وعشرين بنطا .

سبحان الله ! تستمر الأسعار فى ارتفاع ، حتى إذا اشتريت تنخفض بلا مهل ولا توان ! وقد عاهدت الأمور ، فوجدتها تجرى على خلاف المراد !

فى يوم ٢١ كنت بدمنهور ، وتكلمت من المحطة بالتليفون مع الخواجة غندور ، السمسار - الذى يشتغل مع مدحت باشا ، مستعلما عن الأسعار ، فقال : إنها ليناير : ٤٤ ، وإنه ينصح بالبيع ! فأمرته بشراء ٢٥٠ ! فقال : ان السعر الآن هبط إلى ٦/ ٤٣ . فقلت مادام هذا حصل فى مدى أمس(٢٧٦) فالأحسن الشراء ! ثم ورد منه تلغراف بأنه أشترى بمبلغ ٤٣/٧٠ . وأغلقت السوق بسعر ٤٢/٧٠ - يقل ريال خسارة . وترانى الآن مضطرباً ! والاتكال على الله(٢٧٧) .

[ص ١٤٢٤]
٢٦ نوفمبر

قد صفيت يوم أمس عدد ٢٥٠ قنطار بسعر ٣٧/٩٥ ، وكان هو سعر القفل أمس .

---

(٢٧٦) قراءة تقريبية .

(٢٧٧) العبارة مطموسة بالحبر والقراءة ترجيحية .

صفيت الكـل وخرجت خـاسرا ٣١٥ جم ونـدمت على هـذه العملية ندما عظيما .

أودعت اليوم فى البنك الأهلى مبلغ ١٤٠٠ جم ألف وأربعمائة جنيه مصرى ، ورأيت مطلوبا لى منه ٥٦ جم باقى حسابى . وعليه يكون مجموع ما عندى الآن كما يأتى :

جـم
١٤٥٦ بالبنك الأهلى
٧٨ . جنيه افرنكى بالبواليس[٢٧٨]
٥١ . بالجيب

١٥٨٥ تنزيل مطلوبات على وجه التقريب :
٥٣٠ تستحق للبنك الأهلى فى ٣١ ديسمبر
١٥ . اشتراك الكلوب الخديو
٥٤٥

١٠٤٠ وهذا نهايته يوم تاريخه الواقع فى ١٤ ديسمبر سنة ٩١٦

(٢٧٨) جمع بوليصة .



الكراسة التاسعة والعشرون

الجزء الثانى

الكراسة التاسعة والعشرون

الجزء الثانى

من ص ١٦١٨ ـ ١٦٤٢

من ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

إلى ١٩ مايو ١٩١٧

المحتويات

- انتهاء مشكلة قطن دسونس
- مقابلة سعد للسلطان حسين يوم ٤ ديسمبر ١٩١٦
- سعد ولعب الورق ، ومحاربته نفسه **للكف** عنه .
- سقوط الحكومة الانجليزية برياسة أسكويث ، وتكليف لويد جورج بتأليف الحكومة الجديدة .
- زواج عاطف بركات من ابنة على هاشم أخت زوجته السابقة ، وغضب سعد زغلول .
- استهانة حسين رشدى باشا بالسلطان حسين .
- مغادرة مكماهون مصر .
- سعد **يكتب** أن منزلته أعلى من منزلة الوزراء .

- الأوامر باستقبال السير ريجنالد ونجت بالردنجوت .
- حديث الصلح بين المتحاربين .
- نصائح سعد زغلول لمن يقرأ مذكراته من بعده .
- استقبال ونجت يوم ٢٧ ديسمبر ١٩١٦ ، ومظاهر استقباله .
- مقابلة سعد زغلول لونجت باشا فى دار الحماية .
- محاسبة سعد زغلول لنفسه على لعب الورق .
- شراء سعد زغلول عِجْلة بقر بسبعة جنيهات ونصف !
- حديث الناس عن ابراهيم فتحى باشا وزير الأوقاف وطعنهم فى ذمته .
- ونجت يزور بطريريك الأقباط ولا يزور شيخ الاسلام .
- زوجة سعد زغلول تهدده بالانفصال إذا لم يكف عن لعب الورق .
- زيارة ونجت للجمعية التشريعية ، وطلب سعد زغلول اليه توسيع اختصاصها .
- رأى سعد فى السير ونجت .
- سفر سعد زغلول إلى عزبة مسجد وصيف يوم ٢٠ مايو ١٩١٧ لقضاء فصل الصيف .

[ص ١٦١٨]

فى ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

حضر الدكتور على إبراهيم ، واطلع على نتيجة التحليل ، وقال : إنها - فيما عدا السكر - عظيمة ، وظهور الزلال بمقدار غير قليل[٢٧٩] للوزن ، لا يوجب قلقا ، ولا يقتضى حمية[٢٨٠] خاصة . ووصى بان لا أستمر على الحميه ، وأن التزمها زمنا فزمن .

ولقد نمت اليوم بعد الغداء نوما خاليا من القلق ، ويكاد يكون هادئا ولذيذا كالعادة . وأشعر بنقص فى البول ، ولكن لا يزال السكر موجودا . ونويت أن استمر على الحمية ، حتى يختفى تماما . والله المعين .

أصبحت تملنى القراءة ، ويضجرنى الجهد ، وتنبعث فى شهوات لا أريد الاسترسال فيها ، ولا أود قضاءها . ولكن مدافعتها تتعبنى وتحملنى كثيرا من المشقة . والغريب أنى كلما تقدمت فى السن كلما قويَتْ ! ونمت وكانت تتغلب على عقلى .

٧ ديسمبر ٩١٦

إنحلت مسئلة قطن دسونس . فقد حضر التاجر ، وأمضى شروط البيع ، ودفع العربون ، وانتهى الإشكال . وزن قطن مسجد وصيف فبلغ ٣٥ رطل ٢٩٧ قنطار ، وبلغ ثمنه ٢٨٨٤٦٤

---

(٢٧٩) قراءة اجتهادية .

(٢٨٠) يقصد بالحمية (بكسر الحاء) نظام غذائى .

قرش . وقد قبضتها جميعها لغاية أمس . وأرسلت للزراعة اليوم تلغرافا بتسليم القطن الى التاجر . وقد وعد التاجر بأنه سيرسل الأكياس ورجاله إلى دسونس يوم السبت ، ويحصل الوزن يوم الاثنين .

كتب إليَّ كبير الأمناء يدعونى للحضور إلى مقابلة عظمة السلطان يوم الاثنين الغائت ٤ ديسمبر ، فنفذت . ورأيته أقوى مما كنت أتوهم ، واستقبلنى أحسن استقبال ، وتكلم ـ حسب عادته ـ فى موضوعات شتى ، كلاما لا أهمية لاثباته ! وخرجت شاكرا .

فى يوم الأحد تعشيت فى النادى ، وحضر رشدى باشا ، ومكثنا لغاية يوم الاثنين الساعة ٦ صباحا ، مع رامينا حنا[٢٨١] ، ومشيل لطف الله ، ونشأت . وخسرت مبلغ ٢٧٥ . وقد لمت على ذلك نفسى لوما شديدا جدا جدا جدا . وندمت على ما فرط[٢٨٢] وعزمت على ان لا أعود إلى هذا الهوس [ص ١٦١٩] وانتهيت بأن اعتقد اعتقادا لاشك فيه ، أن حالى لا تتحسن فى مالا يحله الشرع ، ولا يجيزه العقل . وأن القناعة كنز لا يفنى . ولقد منّ على الله بسداد ما ترتب فى ذمتى من ديون ، لا سبب لها الا هذه الرذيلة ، فليس من العقل أن أسترسل معها ، بل يلزمها أن أحد نفسى عنها ، والا كنت سفيها يجب الحجر عليه ، وسخيفا يلزم الضرب على يديه ![٢٨٣] .

---

(٢٨١) هكذا تقرأ .

(٢٨٢) فى الأصل : فرض .

(٢٨٣) هذا أقسى لوم يوجهه سعد زغلول لنفسه ، وأبلغ إهانة يصفع نفسه بها .

٢٤٤٧

سقطت الوزارة الانكليزية ، بسبب خلاف حدث بين أعضائها ، يرجع شأنه إلى الحرب وأعمالها . والخبر فى «الأفكار»(٢٨٤) إن لويد جورج يكلف بتشكيل وزارة .

بخارست على وشك السقوط ، ولم تكن سقطت ، ورومانيا موجودة فى مركز حرج للغاية .

تزوج عاطف بنت على هاشم ، أخت زوجته السابقة ، من غير علمى ، وإنما حضر فتح الله باشا يوم الاثنين(٢٨٥) مساء ، وقال : إن مسئلة عاطف تمت ! ولما استفهمت عنها ، قال : إنها زواجه بتلك ! قلت : تسجل ذلك ؟ وظهر علىّ الغضب.

وفى اليوم التالى حضر . واستفهم ؟ فعتبت عليه عتباً شديدا ، قطعه حضور سرهنك . فانصرف هو ، ولم يعد . ثم سافر تاركا قوله إنه لم يتمكن من مقابلتى .

وقد علمت من صدقى أن أمر الزواج تم ، ودفع المهر ، وشرعت الحماة تشترى الجهاز ، فقد رُؤ يت تساوم سريرا أبيض . ولقد استغربت هذه الإجراءات التى لا مبرر لكتمانها ، ولا معنى لها .

سقطت بخارست من ١ الجارى ، واستعفت الوزارة الانكليزية فى أزمة شديدة ، وكلف بونارلو بتأليف وزارة فاعتذر ، فكلف بها لويد جورج ، فقبل . وأنعم على «أسكويث» بنشان « ربطة

---

(٢٨٤) يقصد : جريدة الأفكار .

(٢٨٥) قراءة اجتهادية لأن الحبر جف من القلم عند كتابة هذه الكلمة .

٢٤٤٨
الساق »[٢٨٦] ، فرفض . ولما يتم تأليف الوزارة . والناس هنا فى حيرة ، ينتظرون حدوث أمر هام لا يعلمون ما هو ، ولا يدركون حقيقته .

وقد دفعت مرتب الجمعية الخيرية الاسلامية ٦ جنيهات مصرية ، [ص ١٦٢٠] كما دفعت سائر ما كان مطلوبا منى ومستحقا لغاية الآن . ولم يبق الا قسط البنك العقارى الذى يستحق فى ٣٠ الجارى ، مع مقدار زهيد من القسط الذى استحق عام أول ، ولا يتجاوز مجموع ما ذكر خمسمائة وثلاثين جنيه .

ولقد نويت ، والله المعين على تحقيق النيات ، أن ألزم حدودى ، وأن أقمع شهواتى ، وأن آخذ نفسى بالموعظة الحسنة ، وأقلع عن كل عادة سيئة أستحى من الجهر بها بين الناس . فإنى لا ارتاح الا إذا طابق الظاهر الباطن ، ولم تشعر نفسى بتنكبى طرق الرشاد .

ولقد أجد كل اللذة فى العمل الطيب ، ولا أجد الا الألم فى العمل الغير صالح ، حتى فى الوقت الذى أباشره فيه .

فإذا خلوت بإمراة ، إجتمعت علىّ وقت الخلوة بها جميع التصورات التى تخوفنى من القرب منها ، وتُكدر صفوى بها . وإذا جلست إلى محرّم آخر ، أتممته ، وقلبى غير مستريح ، وضميرى يخزنى وخزات تقلل كثيرا من سرورى بإتمامه . وهكذا أرى نفسى

---

(٢٨٦) فى الأصل : « رابطة الساق » ويقصد به وسام « ربطة الساق » : Garter ، وهو أسمى أوسمة الشرف فى انجلترا ، ويسمى حامله : knight of the garter وكلمة garter فى الأصل : رباط يربط به الساق .

قبيحا جدا فى ثوب المحرمات ، وأراها مليحة جدا فى ثـوب(٢٨٧) الطيبات . فلا بارك الله فى المنكرات ، وحيا الله الصالحات .

سافرت أمس إلى دمنهور ، ورأيت أحوال الزراعة مليحـة فى الجملة ، غير أنهم كانوا يروون القمح ، وما مضى عليه أزيد من شهرا فاستفهمت ، فقيل إن ذلك أوفق ، لأن الجـو دافىء فى هذه الأيام فهو أنسب الأوقـات بالـرى فى هذه المنـطقة التى تكـثر فيها الأمطار ، ويشتد هبوب الرياح . وأيد قولهم من سألته من الخبراء . وسأسافر اليوم الى مسجد وصيف ، والنية أن أقيم بها إلى غد .

فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٦

سـافرت إلى مسجـد وصيف فى يوم ٧ ديسمبـر ـ كـما قلت ـ ومكثت بها لغاية ٨ منه . ثم عدت منها إلى مصر ، وسافرت دمنهور يوم ٩ ، وعدت اليهـا(٢٨٨) أيضا يـوم ١٢ ، حيث حضرت وزن القطن الذى بلغ مقداره ١٤٦ قنطار ونصف ، وقبضت باقى ثمنه وقدره [ص ١٦٢١] ١٣٩٥ جنيها ، بعد المائـة جنيه التى سبق أن استلمتها عربونا . وعدت فى اليوم ذاته .

ثم سـافرت إلى مسجـد وصيف أمس ، وحضَّـرْتُ الجنـاينى الريس أحمد ، وفهمت التعليمات التى ألقاها على البستانى ، وجعلته يكتب كل ما ألقاه عليه من الملاحظات . وعدت فى اليوم نفسه .

وكنت فى هذه الأثناء رائق النفس ، مستريح الفؤاد .

---

(٢٨٧) فى الأصل : ثواب .

(٢٨٨) فى الأصل : وعدت يوم إليها ، وقد حذفنا « يوم » لأنها مكررة .

٢٤٥٠ .

وقد حضرت يوم الثلاث ١٢ منه وليمة أعدها رشدى باشا لوداع مكماهون ، وحكيت مجملها فى مكان آخر .

واليوم الذى قبل هذا ـ يعنى يوم الاثنين ١١منه ـ دعيت إلى وليمة فى أراضى حسين واصف باشا بأبى الغيظ ، مع الأمير عمر طوسون ، ورشدى ، وعدلى ، وفتحى ، وثروت ، وشكرى ، وطلعت ، ومظلوم . وتوجهت اليه على رفاص فى النيل ، ووصلت إلى تلك الأراضى فى ٤٥ دقيقة . وقد رأيت موقع البيت جميلا ، والحديقة كبيرة . غير أن حالة الاثنين لم تكن مناسبة لفخامة الموقع وجماله . ولو أن المالك كان أكثر كرما (. . .)[٢٨٩] وأرق ذوقا ، لكان هذا المكان أجمل مكان ، وصار نزهة الخاطر ، ومظهر الأنس ، ومجلس السرور ، ومجمع الأصدقاء ، وموعد الأصفياء . وقد كانت المائدة غنية بمأكلها ومشاربها ، والنزهة جميلة بمناظرها . وذهبنا وعدنا فى سرور متبادل ، وأنس شامل .

وقد كانت جلسة الرشوة التى اتهم بها شيخ عزبة دسونس اليوم ، فذهب محمد بيك يوسف ، وعاد فى الساعة ٤ بعد الظهر ، وقال لى : إنه رأى الأوفق أن يعدل المتهم عن الإعتراف الى الانكار[٢٩٠] . واتفق مع القاضى أن لا يحكم الا بغرامة ، فحكم بخمسة جنيهات ، ودفعها بعد أن اتفق مع النيابة على عدم استئناف الحكم . وقال : إن المأمور شهد بأنه أخبره بتقديم الرشوة اليه يوم ٨ ، وأن ذلك مثبت فى دفتر الحكومة ، الذى لم يطلع عليه .

---

(٢٨٩) عبارة غير مقروءة . وقد تقرأ : « وأقوى كفا » .

(٢٩٠) سياق الكلام يشير إلى خطأ فى هذه العبارة ، وصحتها : « يعدل المتهم عن الانكار إلى الاعتراف » .

فقلت – وقد فهمت أنه فعل ذلك محاباةً للقاضى الـذى رد نفسه بسبب قرابته [**ص ١٦٢٢**] لمعاون الزراعة ـ مادعاك لأن تقابل القاضى الذى تعين للفصل فى الدعوى ؟ قال : ما بينى وبينه من الصحبة !

قلت : وما الذى ابتدر[٢٩٢] صاحبه فى موضوع القضية ؟ قال أنا ! وأكد قوله باليمين متلجلجا !

فأظهرت له خطأه ، وأن هذه الطريقـة أضرت ومـا نفعت . ووضحت له وجه الضرر . ولكنى كنت هادئـا نوعـا ، فانصـرف خجلا . واغتظت ، ولكنى كظـمت غيظى ، وبت الليلة كمن ضاع له شىء عزيز عليه ، واعتقدت أن محمد بيـك ضعف أمام رجـاء القـاضى قـريب المعـاون ، الـذى ربمـا قـواه رجـاء القـاضى البدل[٢٩٣] . ولا يبعد أن يكونوا اتفقوا بأنه هو الذى حمل المتهم على الإعتراف بعد أن كان منكرا ، فانه قرر ذلك فى عريضته وكرر اعترافه أمام المحكمة فى أول جلسة .

ولقد حضر فتح الله باشا بركات صبيحة اليوم التالى ـ أى فى يوم ١٥ منه ـ وقال لى إن محمد بيك مضطرب الفكر ، ومكدر الخاطر ، لأنه استشعر بخطئه ، وندم على فعله .

فاستوضـح صدقى المسئلة ؟ وبعـد أن سمع حـديثا فيهـا ، وتلطيفا لها ، احتد قائـلا : إنه لا يـوافق على أقـوالنا ، وإن هـذا

---

(٢٩٢) ابتدر صاحبه ، أى « فاتح صاحبه » .

(٢٩٣) يقصد القاضى الذى عين مكان القاضى الأول .

المحامى فعل ما فعل محاباة وخيانة ، وإنه لا يُؤمَن بعد ذلك على عمل ، وإنه لو كان له هو قضية لا يأتمنه فى المقابل عليها .

فقلت : إنها الظروف قضت عليه بما فعل كما شاء من غير أن يتأمل فى جميع نتائجه . ولا أود أن أتصور بأنه خاننى لأن صلته بى لا تسمح لى بهذا الفهم . وهو فهم يؤلمنى ، وأحب أن أبعده عنى .

قلت ذلك وفى النفس ما فيها ، ولولا أنه أدى لى خدمات كثيرة لتنكرته ، وما عرفته . ولكن هذه الخدمات تقضى على أن التزم السكات ، وان أدعو له بإصلاح شأنه والسلام .

فى ١٨ ديسمبر

تلقيت اليوم كتابا من البرنسيس الكسندرة إيفانوه ،(٢٩٤) ترغب فيه أن تقابلنى فى الميعاد الذى أحدده . فعينت لها الساعة ١١ غدا . ولا أعرف السبب فى هذا الطلب ، ولم يسبق لى بهذه الأميرة معرفة . ولكنى أتذكر أنها كانت تصدر فى اسكندرية جريدة تدعى «الإقدام»(٢٩٥) ، وكثيرا ما طعنت علىَّ ، خصوصا أيام سعيد باشا .

[ص ١٦٢٣]

سافرتُ من بضعة أيام إلى مسجد وصيف ، وركب معى سرهنك باشا والدكتور فارس نمر . ويظهر أنى أخذت شمسية هذا الأخير ، وهى من الحرير ، ولكنها قديمة مرقعة ، ولم أستشعر بهذا

(٢٩٤) هكذا تقرأ .

(٢٩٥) « الاقدام » صحيفة صدرت فى الاسكندرية فى عام ٩١٢ (د. إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية . الطبعة الثانية ١٩٤٥ ، ص ٢٩٢ .

التبديل إلا فى محطة صهرجت . وقد ذكرت خبره لكثير من الناس ، فورد على اليوم كتاب من هذا الدكتور لطيف يسترد شمسيته ، فرددته ، وحفظت الكتاب .

وقد أصبحت اليوم منتعشا فرحا بما كسبت أمس فى النادى ، أحدث النفس بأن لا أعود الى هذا المكان احتفاظا بما حصلت عليه ، ولكن النفس لاتزال تميل إلى الزيادة ، ولا تنظر الى ما ربما يحدث من الخسارة . والله يقينى شر ضعفى لأن الضعف هزال فى النفس ، وهزال النفس قد يوردها مورد التلف والبوار .

قرأت فى جرائد أمس نص التلغراف الذى أرسله رشدى باشا الى عظمة السلطان ، يهنئه بعيد الميلاد ، ونص الرد السلطانى عليه . فوجدت كلا منهما قد تما فى قالب غير لائق بالمقام ، ولا مناسب لمقتضى الحال . وعجبت لرشدى : كيف يمضى تلغرافا بارد الأسلوب مثل ذلك التلغراف ؟ وأبديت هذا لعدلى وثروت أمس فى النادى ، فوافقا عليه . وكان واصف وشكرى حاضرين هذا الانتقاد ، ومشتركين فيه . والسلام .

فى ٢٥ ديسمبر سنة ٩١٦

ذهبت أمس إلى دمنهور ، ورأيت القمح جيدا . غير أن ما شرب منه بعد شهر من زراعته ، كان أصفر واعتلّ ، ثم أخذ لونه يزرق ، وأخذ هو فى الإنتعاش . ولكن الذى روى بعد زرعه بزمن ، أطول وأجود وأنمى ، ولونه أشد زرقة .

أما الفول ، فلم يعجبنى ، لأنه مضى على ابتدار بذره ١٨ يوماً ، ومع ذلك فالنابت منه قليل خفيف ، والكثير لم ينبت أصلا . ويقول العارفرن إن السبب فى ذلك حرث الأرض وهى شديدة

الجفاف . وعلمت أن التمَلّية[٢٩٦] وغيرهم لا يشتغلون بانتظام ، [ص ١٦٢٤] وأن الانفار الذين أحضرهم الناظر ، اشترط لهم أن ترد الوسية أرض معاشهم ، وأن تشاركهم على ماشية ، وتتحمل الوسية نصف أجرتهم عندما يشتغلون بالعمل فى معاشاتهم . ومع ذلك كله ، بعد أن حرثت بهائم الوسية أرضهم ، عدلوا عن الاستمرار على شرطهم . وأكد لى أنور ان جنبهم[٢٩٧] غير مأمون ، ويخطفون كل ما وصلت اليه أيديهم . فلهذا ، ولما رأيته على الناظر من الضعف ، قررت فصله ، وأخبرت أنور أن ينصحه الاستعفاء ، وعدت غير مسرور منه .

اليوم عيد الميلاد ، وهو أكبر عيد عند الطوائف الكاثوليكية . والانكليز يحتفلون به كثيرا . ولكنى لم أزر واحدا منهم فيه ، لأنهم لم يزرنى واحد منهم فى أعياد المسلمين .

وقد سافر أول أمس السير هنرى مكماهون من مصر إلى بورسعيد ، وانعقد لوداعه بالمحطة احتفال شائق ، حضره كبار الموظفين والأعيان والقناصل ووجوه الجالية الأوروبية .

وقد وقفت مع الوزراء فى القاعة المعدة للاستقبال ، وشعرت من هؤلاء بنوع من الإشمئزاز ، كأنهم يقولون : مالك ولهذا المكان ؟ إنه خصيص بنا نحن الوزراء ! ولم أبال بهذا الشعور ، لأن منزلتى ربما كانت أعلى واسمى . ولم أر تأثيراً على وجوه المودعين الا استورس ، فإنه كانت تعلوه علامات الاكتئاب . ولم يكن

---

(٢٩٦) هكذا تقرأ .
(٢٩٧) وقد تقرأ : « وأغلبهم » .

الدمرداش على مثل حاله فى مثل هذا الوقت ، بل كان هادئا شاعرا بأنه ـ كغيره ـ أجنبى عن المودع ، بعيد عن أهل الحل والعقد .

٢٦ ديسمبر

كان أمس عيد الميلاد ، ولم أزر فيه أحدا ، ولا أرسلت ورقة الزيارة لأحد . وقد وردت من المحافظة تذاكر تخبر بقدوم ونجت باشا ، المندوب السامى لجلالة الملك ، غدا الظهر ، وأن يكون استقباله بالردنجوت(٢٩٨) [ص ١٦٢٥] وهو قادم فى النيل إلى مزغونة ، ويركب منها قطارا خاصا إلى مصر ، ليكون الاستقبال تاما جامعاً لأسباب الأبهة والجلال .

كلفت أمس راغب أن يذهب إلى دمنهور ، ويحمل نسيبه على الاستعفاء ، لأن الرجاء انقطع من صلاحه ، ولأننى رأيت أن (٢٩٩) إبعاده بواسطة من كان السبب فى قربه ، ربما كان أخف وقعا عنده ، وأقل تأثيرا . وكتبت إلى أحمد فهمى ، الذى كان طلب منى الاستخدام أستقدمه ، لأراه ، ربما كان نافعا ، إذ يزعم أنه كان عند مصطفى الباجورى ، وأنه اشتغل بالزراعة بعد انفصاله من شركته .

لا حديث للناس والجرائد اليوم إلا فى الصلح بين المتحاربين ، حيث عرضته ألمانيا وأولياؤ ها(٣٠٠) بواسطة المحايدين على الحلفاء . وتقدم(٣٠١) رئيس جمهورية أمريكا بمذكرة من عنده يدعو فيها

---

(٢٩٨) الردنجوت ، الملابس الرسمية .

(٢٩٩) فى الأصل : « ولأن رأيت » .

(٣٠٠) فى الأصل : « أوليائها » أى حلفاؤ ها ، والولى ضد العدو .

(٣٠١) قراءة تقريبية .

المتحاربين لأن يبدوا رغباتهم ، ويكشفوا عن قصدهم من الحرب . ويظهر أن توسطه لم يرض[٣٠٢] منهم أحداً ، لأن جرائد الطرفين ساخطة عليه !

وعندى أن الصلح لا يتم إلا إذا حصل بعد هذا واقعة فاصلة انتصر فيها فريق على فريق . والله أعلم !

إتفق الناس ، وفى مقدمتهم عظمة السلطان ، على أن ونجت باشا يحب الأبهة والافتخار ، وتعود عليهما فى المدة التى قضاها فى السودان . ويؤكد الذين اختبروه أن عنده شيئا من التردد ، وانه من رأى من يكلمه أخيرا ! ويقولون إنه ناعم الملمس جذاب ، وإنه[٣٠٣] ممن يكثر فيهم الطمع ويقل منهم النوال !

ولقد خالف عادة قومه فلم يرد أن يرى سلفه قبل سفره ، بل تباطأ فى وصوله حتى رحل من هذه الديار ! [ص ١٦٢٦] والشائع على ألسنة القوم أنه لا يود اللورد سيسل ، ولا يألفه .

فى ٢٧ ديسمبر

أعلنت الجرائد اليوم أنه أعد فى دار الحماية ، عند مدخل المرقص ، دفتر لقيد أسماء الزائرين والمهنئين .

من ضعف النفس أن يتشبث الانسان بالأوهام ، ويكدح ليكون موضع احترام من العوام . وأشد ضعف النفس[٣٠٤] فى أن تسعى للغنى[٣٠٥] من غير أسبابه ، وتلهو عن الحاضر بما يؤذيها فى

---

(٣٠٢) فى الأصل : « يرضى » .
(٣٠٣) قراءة تقريبية .
(٣٠٤) قراءة تقريبية ، وقد تقرأ : « الناس » .
(٣٠٥) فى الأصل : « للغنا » .

٢٤٥٧

القابل . ومن الحمق أن يرغب الانسان فى إضاعة وقته بما يضيع ماله ، ويفسد عليه حاله[٣٠٦] !

يا من تقرأ هذه الكتابة بعدى ، أنصحك نصحَ مجرب مخلص أن تقلع عن مجالسة الأشرار ، ولا تدنو من مجالسة أهل الفساد ، لأنهم يفسدونك قبل أن تصلحهم . ولا تطلب الغنى[٣٠٧] إلا من الوجوه التى عرفها الناس ، واشتغلوا بها ، وعرفتها شرائعهم ، وأقرتها عوائدهم . فإن فعلت غير ذلك ، ندمت ولات حين مندم .

قدم ظهر اليوم ونجت باشا بملابسه العسكرية . واجتمع لاستقباله من الناس – على إختلاف طبقاتهم وأديانهم ومشاربهم – ما لم يجتمع لأحد من قبله ، لا من معتمدين ولا حاكمين . وقد صافحهم جميعا ، وخص من يعرفه منهم – وهم كثير – ببعض الكلمات الطيبات . ومكث يسلم على الناس ويلاطفهم خمسا[٣٠٨] وأربعين دقيقة . وإن أخوف ما أخاف على أمتى هذا البشر والايناس .

وقد أخذ دبيب الطمع فيه يدب فى نفسى ! فذكّرتها بالعهد الذى قطعته ، وأقنعتها بأن لا تعول إلا على الله أولا ، وأن لا تبحث إلا عن الصحة ثم الغنى[٣٠٩] عن الناس . ومادامت تجد من العيش

---

(٣٠٦) لعل سعد زغلول يقصد بهذه العبارة : لعب الورق ! ، وهو ما يقصده أيضا من الفقرة التالية التى كتبها .

(٣٠٧) فى الأصل : « الغنا » .

(٣٠٨) فى الأصل : « خمسة » .

(٣٠٩) فى الأصل : الغنا .

الكفاية ، فذاك خير من حسنة الأجنبى ، وخدمة من لا يرضيه إلا الذل والهوان .

[ص ١٦٢٧]

وقع فى يدى أمس كتاب « أسرار البلاغة » لعبد القاهر ، فوجدت عبارته مختارة ، ومعانيه دقيقة ، ولكنه أضاع القصد بما أطال من عبارة ، وما أكثر من كلمات . ولو أنه أوجز لأفاد ، ويلغ من القارىء المراد .

فى ٢٩ ديسمبر سنة ٩١٦

ذهبت أمس مع حتاتة بيك إلى مسجد وصيف ، وبت فيها ثم عدت اليوم صباحا . ورأيت الأحوال - على العموم - راضية ، غير أن الحرث فى الأرض المزروعة برسيما غير جيد ، لأنه تخلف منه كثير من الآس أو البلاط(٣١٠) . ووجدنا القمح قد شرب بعد عطش شديد أثر فى نمو نباته جميعه(٣١١) وصغر ، ورأيت الماشية ترعى برسيماً صغيراً رفيعاً ، فنبهنا على الناظر أن يرعى غيره من البرسيم الشديد الكبر . وفصلت فى شكوى الخولى من الناظر ، ونبهت على الأول أن يطيع أوامر الثانى ، وعلى الثانى أن لا يهين الأول ، وبالأخص أن لا يضربه ولا أحداً غيره . ورأيتهم يحفرون فى الحديقة(٣١٢) حفرا للأشجار ، ويملئونها بالسباخ والتراب .

عقب وصولى ذهبت إلى دار الحماية ، فوجدت العميد مشغولا

---

(٣١٠) هكذا تقرأ .

(٣١١) قراءة اجتهادية .

(٣١٢) فى الأصل : « الحديقة : الجنينه » .

٢٤٥٩
بمقابلة الهيئة السياسية . وقابلت الدمرداش خارجا . واستقبلنى « استورس » أحسن استقبال ، وغاية فى الوداد والإحترام ، وقال : إن الأحسن أن تقابل جناب النائب . وطلب أن أنتظره . ثم عاد بعد قليل ، وطلب أن أعود للمقابلة غدا فى الساعة ١١ ، فشيعنى أحسن تشييع !

ولا أدرى سرا لهذا التغيير ! ولما قال مازحا : أهلا برئيس المعارضين ! فقلت : لا معارضة اليوم ، وعلى الأخص الآن !

ورأيت كل ما فى الحماية ضاحكا ! ولكن لا أدرى أهذه حقيقة رأيتها ، أو خيال تمثل لى ؟ وسيظهر الاستقبال حقيقة الحال .

وعلى العبد أن لا يغتر بظواهر الأمور ، وأن لا يبالغ فى الأمل، وأن ينتظر ما تكشف عنه الأيام.ويتعسنى[٣١٣] أن قومى تدنيهم ابتسامة القوى ، وتمتلكهم هشة الحاكم ، فلا يحرصون على منفعة عامة إذا هم قد توسموا فى اقامتها الحصول على منفعة خاصة ، ولو كانت صغيرة كبشة لقاء ، وهزة وداع !

[ص ١٦٢٨]

وقد آن لى اليوم أن أحذِّر الناس ، وأخشى من الأصدقاء قبل الأعداء ، وأن لا أعوِّل إلا على الكريم القدير فى الوقاية من شر الشيطان الرجيم .

لى أعداء نسيت أذاهم ، ولى أصحاب يتصل بى على الدوام ضررهم !

---

(٣١٣) قراءة اجتهادية . وقد تقرأ : ويميتنى .

٢٤٦٠

مضايقة المرء بعدوه ألم منقطع ، ويقريبه ألم مستمر !

ألمك من عدوك قد ينقضى ، ولكن لا ينقضى الألم من قريب غبى .

عداوة العقلاء ، أخف على النفس من غباوة الأقرباء !

فى الناس أعداء لابد من صداقتهم ، ولا أنكد على الحر من هذه الحالة - كما قال الشاعر !

فى ٣٠ ديسمبر سنة ٩١٦

عدت أمس من مسجد وصيف صباحا ، ومضيت ليلة بيضاء خسرت فيها مبلغ مائة وعشرين . ورأيت حرمى بعد عودتى فى الساعة ٢ تنتطرنى ، فقالت : خضيتنى ![٣١٤] وغضبَتْ ، وغضبْت ، ثم اصطلح الحال

ونهضت اليوم سارحا[٣١٥] نادماً تائباً . فهل أستمر على التوبة ؟ أو أعود كما حصل فى السابق ؟ إنى أستحى أن أقول شيئا ، والأمر يومئذ لله .

بعثت أحمد اليوم بتحويل على البنك الأهلى بمبلغ خمسمائة جنيه ، ليتسلمه منه ، ويسلمه إلى البنك العقارى . وأمرته أن يعود حالا .

وسأتوجه إلى مقابلة وينجت نائب الملك الساعة ١١ ، وسأقول له ما تقضى الظروف بقوله .

---

(٣١٤) قراءة اجتهادية . وفى الأصل : خضيدنى .

(٣١٥) قراءة تقريبية .

دفع أحمد إلى البنك العقارى مبلغ الخمسمائة جنيه المذكور أعلاه ، وسلمنى وصله .

[ص ١٦٢٩]

قابلت اليوم ونجت باشا ، ولما وصلت سلم الدار قابلنى بالباب النبتجى ، وفتح الباب بغاية الإحترام . ورأيت استورس على رأس السلم فى البهو ، فقابلنى بغاية الهشاشة والبشر ، وتكلم ببعض الكلمات الألمانية ، ثم راح مستأذناً . وبعد بضع دقائق عاد ، ومشى أمامى إلى قاعة الإستقبال ، حيث ونجت باشا ، فرأيته بلباس ملكى - واظنه الردنجوت - حاسر الرأس .

وكان هشاً بشاً بساماً ، فسلم على سلام المحب المشتاق ، وقال بالفرنسية :

إنى مسرور من رؤ يتكم غاية السرور .

قلت : وإن سرورنا بكم أزيد !

قال : إن استقبالى فى المحطة أخذ بمجامع قلبى !

قلت : وانه لاستقبال غير مسبوق ، لأن لكم فى القلوب منزلة خاصة .

قال : ولكن ساءنى أنى لم أجد بعض الوجوه التى كانت تسُر رؤ يتها ، مثل المرحوم مصطفى باشا فهمى ، فإنه كان أصدق أصدقائى ، وكان ظريفاً كيساً . فشاركته فى امتداحه والترحم عليه .

ثم سأل عن عائلته ، وبناته ، وأولادهن ، وأزواجهن ، ومحلات إقامتهن ؟

فقلت له فى ذلك

وفى الختام طلب منى السلام عليهم من طرفه .

ثم تكلم فى الحرب والصلح ، وقال : إن الصلح المعروض غير راض ، ولابد من مواصلة الحرب حتى تفضى[٣١٦] إلى ردع الألمانية العسكرية ، ويكون ذلك بتشديد الحصر على البلاد الألمانية .

وقال : إن الألمان فى الاستعمار قساة ، يجتهدون فى أن يبتزوا من مستعمراتهم كل الفوائد . ولكن الانجليز - على العكس من ذلك - يقدحوا[٣١٧] رؤوسهم فى إسعاد من يستعمرونهم !

وبعد كلام فى التعب والراحة ، إنصرفت ممنوناً من حسن اللقاء ، وكرم الوداع ، منتظراً ما يكون . والله الهادى !

[ص ١٦٣٠]

فى ٣١ ديسمبر سنة ٩١٦

لعبت وكسبت ستين ! وأجد نفسى ميالة للعب ، وأجتهد فى ردها ، ويظهر أن التوبة التى تعقب الخسارة ، ليست إلا ندماً وقتياً من الألم ، فإذا مضى على هذا الألم الزمن ، تُنوسى ، وعاد الميل إلى أصله ! ومن العبث أن أقنع النفس الآن بالكف عنه ، لأن لذة الكسب تمنعها من الاقتناع ! ويظهر أن الضعف متمكن فيها ، والمرض باق ، على شدته حتى يقطع دوره .

ولكنى أعوذ بالله من أن يترتب على ذلك فقدان المال لا قدر الله ، لأنى ذقت العام الفائت الأمرين ، وكادت نفسى تذهب حسرة

---

(٣١٦) قراءة تقريبية .

(٣١٧) قراءة تقريبية .

من جراء الخسارة التى أصابتنى ، ولا أزال أئنُّ من حملها ، وأتألم من أثرها .

ولولا ما قدر الله فى هذا العام من ارتفاع الأسعار ، ووفَّق من البيع بها مرتفعة ، لسقطتُ تحت أحمال الديون ! فالحمد لله على انقضاء هذه المحنة ، وبه الاستعانة على التوقى من مثلها .

أريد أن أعرف ما أريد ، حتى أتمكن من معالجة نفسى من هذا الداء ! هل أريد بسطة فى الرزق ؟ إنه يقبضه فى الكثير الغالب !

هل أريد سعة فى الجاه ؟ إنه يضيقه بما يحط من القدر فى نفوس الناس !

هل أريد تناسى آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل ، وهو كثير ؟ لا أشعر بهذه الآلام !

ألا يكون هذا الخلو مؤلما ، وطلب الخروج منه هو الذى يحبب اللعب للنفس ؟ ربما كان ذلك هو السبب !

إن كان الأمر كذلك ، فلا يتعذر معالجته بمباشرة عمل من الأعمال !

ما هو هذا العمل ؟ يلزم أن يكون مقدورا ولذيذا ، والأعمال التى أقدر على مزاولتها وأتلذذ بها قليلة ، ولا رواج لها ، لأنها المسائل القانونية ، والوقت وقت حرب ، تحكمت فيه الأحكام العرفية ، وتوقفت القانونية ! إذن ، ماذا أعمل ؟ الشهوة تميل للعب ، والعقل ينصح بالكف عنه ، ولكن الوقت مساعد للشهوة ، ومثير لها ! والأمر لله ما شاء يفعل .

٢٤٦٤

[ص ١٦٣١]

فى ٢ يناير سنة ١٩١٧

توجهت أمس مع حتاتة بيك إلى دمنهور . وأعجبنى زرع القمح والفول والشعير والبرسيم لا بأس بها . وحصل التنبيه بأن يكون الرى خفيفا على قدر الامكان ، وأن يُبلغ البوليس عن حادثة ضرب البغل الأسود على عينه حتى ضاعت ، وأن لا يصرف راتب ضاربه ، ولامرتب والده . ووليّت متولى ملاحظة الزراعة ، على مصطفى محمد الأنور .

وعند العودة ، اشتريت عجلة بقر بسبعة جنيه ونصف ، وأوصلها رجل بقرشين إلى العزبة ، لأن شراءها كان فى الطريق عند العودة .

وزرت اليوم صالح ثابت باشا لأنه مريض ، وكان الوقت ماطرا ، والسماء مغيمة ، ولا يزال الجو قاتماً ، والمطر نازلاً .

وكتبت إلى البرنس عمر[٣١٨] أشكره على حسن تلطفه وجميل تعطفه . وإلى مدير مصلحة الدين[٣١٩] أطلب منه أن يرسل خمسين أردباً من البذرة[٣٢٠] إلى كل من زراعتى دسونس ومسجد وصيف النصف .

ونمت الليلة نوماً هادئاً ، وقمت منشرح الصدر ، وأخذت حماما ، وكتبت هذا ، وجلست لقراءة الجرائد ، والحديث مع

---

(٣١٨) يقصد : الأمير عمر طوسون .

(٣١٩) هكذا تقرأ .

(٣٢٠) هكذا تقرأ .

الزائرين ، الذين كان أولهم فتح الله باشا ، وخاطرى منشرح ، والجملة التى تتردد فى خاطرى ، ويجرى بها لسانى ، هى : (. . . .)[٣٢١]

فى ٥ يناير سنة ١٩١٧

نمت أمس باكرا ، وأصبحت اليوم نشطا متنعشا .

ولعبت فى هذه الفترة ، فخسرت مائة فى ليلة ، وكسبتها فى الليلة التالية ، ثم كسبت فى الليلة الثالثة ١٦ بعد أن كان المكسب خمسيناً لو كففت . وانصرفت فى الساعة الثالثة .

ولقد تعهدت تعهداً وثيقا بأن لا أبقى خارج المنزل إلا إلى الساعة ٨ . وإنى آخذ نفسى بهذا التعهد ، وملزمها الوفاء به ، [ص ١٦٣٢] لأن فيه راحتى ، وراحة زوجتى التى تتألم كثيرا من سهرى ، وتكاد تموت إذا غبت عن العشاء . ولذلك حُرِّم على أن أعمل على أذاها ، وأن أتلذذ بعذابها . على أنه لا لذة فى البقاء زمنا طويلا خارج البيت ، خصوصا لمن كان فى سنى وصحتى[٣٢٢] فاللهم أعنى على العمل بما يضمن راحتى وأهلى ، إنه سميع الدعاء .

ومما قد لا يخلو من الفائدة ، أن رشدى باشا حضر معنا يوم ثانى وثالث يناير ، وخسر فيهما خسارة عظيمة ! وبقيت معه فى اليوم

---

(٣٢١) بياض فى الأصل والعبارة مقطوعة .

(٣٢٢) قراءة اجتهادية .

الأول لغاية الساعة ٢ ، وفى الثانى تركته فى الساعة ٨ ، ومكث هو لغاية الساعة ٢[٣٢٣] .

وفى يوم ٨ يناير توجهت إلى[٣٢٤] دمنهور ، وكان الطريق منها إلى العزبة كثير الأوحال جدا ، وقد سألت أحد المارة الآتين من الجانب الثانى للسكة الحديد ، فقال : إنه أحسن بكثير من الجانب الأول . وإذا به أصعب منه وأكثر أوحالا !

وعدت على المفتخر بعد أن زرت محمد محمود المدير . ولم يتمكن حتاتة بيك من شراء الماشية ، لكثرة الأوحال فى السوق .

ومن حوادث هذا الأسبوع ، أن إسماعيل باشا أباظة استهوى جماعة - منهم محمود باشا حسين - أن يدعو الناس إلى اكتتاب للجمعيات الخيرية بمبالغ تبرعا لله بمناسبة شفاء السلطان ورشدى باشا من مرضهما !

---

(٣٢٣) هذه الرواية توضح أن لعب الورق كان آفة من آفات الطبقة الأرستقراطية فى مصر فى ذلك الحين ، ويشترك فيه من هم فى الحكم . ومن هم خارج الحكم ، كما يوضح أن مشاكل الحكم فى تلك الفترة لم تكن قد تضاعفت وتعقدت كما صارت إليه . فها هو رئيس الحكومة حسين رشدى باشا يجد من الوقت ما يلعب فيه الورق حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وما يصرف فيه شئون الحكم فى الصباح ! وبطبيعة الحال فإن سلطات الحماية كانت تمارس الجزء الأكبر من وظائف الحكم .

والرأى عندى أن هذا العامل كان أحد العوامل فى جذب سعد زغلول إلى لعب الورق ، ففيه يجد نفسه فى المحيط الاجتماعى الذى يناسبه فى تلك الفترة ، محيط الحكام والطبقة التى تتربع على عرش المجتمع .

(٣٢٤) كلمة « إلى » غير موجودة فى الأصل .

وقد استهجن الناس هذه الدعوة ، ولم يجب إليها لغاية الآن إلا نفر قليل من أقرباء واتبـاع السلطان (٣٢٥) حسين . والغـريب أن إسماعيل أباظة ، وهو أمين الصندوق ، لم يظهر أنه تبرع بشيء لغاية الآن !

والعجب العـاجب من هؤلاء النـاس أنهم لا يَسْتَحُـون من شيء ، وأنهم لا يبالون بأن يكونوا حاشية لأميرين (٣٢٦) مختلفين فى المبدأ والغاية والوسيلة . ولكن أعجب منهما [ص ١٦٣٣] أن تروج طريقتهما فى المدينة ، ويقبل عليها كل من الأميرين !

كثر حديث الناس فى شأن إبراهيم باشا فتحى وزير الأوقاف ، وطعنوا على ذمتـه ، وأكدوا اليـوم أنه لا محـالة ذاهب ، ورشحـوا حشمت باشا مكانه .

وسمعت أن بعض الجرائد التى تطبع فى اسكنـدرية بـاللغة الانكليزية رسمت الخديوى إسماعيل مع حظياته (٣٢٧) رسما غير لائق . فاتصل ذلك بالسلطان ، وسعى رشدى فى عقاب الجريدة المذكورة ، وقرر لها توقيف مدة ثلاثة أشهـر ، ولكن هنس (٣٢٨) عارض فى ذلك ، فاغتاظ السلطان !

---

(٣٢٥) قراءة تقريبية .

(٣٢٦) يقصد بأميرين هنا . حاكمَين ، وهما السلطان والمندوب السامى .

(٣٢٧) هكذا تقرأ ، ومعناها : « محظياته » .

(٣٢٨) جيمس هينز ، مستشار الداخليه .

٢٤٦٨

رأيت فى جـرائد يـوم ١٤ ينايـر أن ونجت نائب الملك ، زار بطريك الأقباط ، وقبل منه هدية صليب مرصع بالماس ! ولم نسمع أنـه زار شيخ الإسـلام الـذى استقبله فى المحـطة ، وزاره فى دار الحماية !

ويشيع أصدقاء رشدى باشا أنه نادم على بقائه فى الوزارة بعد التغيير الذى حدث ، وانه إنغَشّ(٣٢٩) فى ذلك . ويظهر عليه الكدر فى هذه الأيام .

فى يوم الأربع ١٧ يناير

فى كل لحظة تشعر نفسى بمضار اللعب ومفاسده ، ويشملهـا ظلام الإجرام ، ويقبض صدرى الفكر فيه ، وتصور الخسارة التى تترتب عليه للصحة ، والمال ، والشرف ، والراحة المنزلية .

ولقد انتهى بى الفكر فى ذلك إلى أن أنوى - والنيـة لله - نية صادقة ، على الاقلاع عن هذه العادة الذميمة بالكلية ، وأن أعالج نفسى فى تركها بكثر الذكر لمضارها ، وترددادها فى الخاطر .

وإنى أجد فى نفسى الآن انشراحا لهذه المعالجة ، ومسرورا لهذه التوبة يشابه سرور المريض بتمشى البـــرء فى جسمه ، والخـائف بوقوع الأمن فى نفسه .

[ص ١٦٣٤]

ورغم فـداحة الخســارة التى نـابتنى من جـراء هـذه الـرذيلة

(٣٢٩) أى خدع ، وقد كتبها سعد بالعامية .

الشنيعـة ، فإنى أصبحت أنـظر إليهـا نـظر الثمن للشىء النفيس اقتنيته ، وقيمة الدرس المفيد اكتسبته .

نعم ، إنه كان الأولى أن تكون النفس طاهرة من هذا الدرن ، وأن لا تكون تلوثت بذلك القذر ، ولكن طهرها منه بعد علوقه بها حالة يسر القلب لها سرورا عظيما .

فى ١٨ يناير سنة ١٩١٧

فرغت من كتابة هذا ، ثم جاءت الساعة الرابعة ، فذهبت إلى الجزيرة متنزها ، وبعد ذهبت إلى الجامع ، ثم ذهبت إلى النادى ، فرأيت جماعة يلعبون ، والعـدد كامـل ، فعرض عـلى أحدهم أن أشاركه ، فلم أعارض ، وقبلت ، وجلست بجانبه ، ونسيت كل ما تقدم ذكره ! وقد رأيته خسر شيئا ، فعرضت أن ألعب مكانه ، فأبى ، فعرض على آخر أن يكون معى بالـربع ، وانسحب هـو ، فقبلت ، ولعبت ، وكسبت شيئا عظيما ، ولكنه ذهب فى قليل من الزمن ! ولم أكسب إلا يسيرا .

وعدت فى نحو الساعة التـاسعة ، وأنـا أقول لنفسى : لمـاذا أخلفت وعدك ؟ ونقضت عهدك ؟ فتجيبنى : الميل إلى الكسب ، لأنى أردت الكسب ، وقد كسبت شيئا وإن كان قليلا ، إلا أنه يبشر بأن يكون كثيرا . وقد تركت نفسى إلى هذا الميل ، وبت عليه ، وأصبحت فيه ، وكتبت هذا ، ولا أجـد من نفسى غضاضـة على نفض ما أبرمت ، وإخلاف ما وعدت ، والعودة إلى ما تبت عنه !

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الرذيلة رسخت فى النفس ،

٢٤٧٠
وإن الميل للامتناع عنها إنما منشؤه[٣٣٠] الخوف من نتائجها ، والرهبة من عوارضها وكلما كانت النتيجة قريبة كلما كان أثرها فى النفس شديدا .

ولذلك لابد من البحث عن دواء ولا يكون - فى رأيى - سوى عمل مشترك ! وما هو ذلك العمل ؟ يلزم أن يصحب هذا العمل الامتناع عن الذهاب إلى النادى ، لأن مراقبة ما ألفته النفس ، وولعت به ، يميل بها إليه ، ويحرضها عليه ! ومتى حصل [ص ١٦٣٥] الإنقطاع ، واشتغلت النفس بشغل يلذ لها ، تناست تلك العادة ، وألفت الحالة الجديدة . وفى مقدورى الانقطاع عن النادى ، ولكن ذلك العمل لا أجده لغاية الآن ، فيلزم البحث عنه .

لا يبلغ نُصح الناصحين من نفوس المنصوحين مبلغاً مفيدا ، لأنه مهما كان شديدا وقويا ، لا يُلِمُّ بجميع ما يشعر الإنسان به فى نفسه من أثر المَنْهى عنه ، اللهم إلا إذا كان النصح من مصدر يُرْجَى نفعه ، ويخشى ضرره ! وفى هذه الحالة لا يكون التأثير للنصح فى دانه ، بل لما يترتب عليه من خير أو شر ! ولذلك ، يكون للنصح تأثير إذا كان صادرا من ملك، أو حاكم قادر ، أو ولى معتقد فيه ، أو ذى جاه عريض !

أما إذا كان مصدره غير ذلك ، مهما كان القالب المفرغ فيه ، ومهما كان الأسلوب المرد عليه ، ومهما كان المعنى الذى تضمنه ، فإنه لا يفيد شيئاً ، بل ربما كان إغراءً بفعل ما يراد بالنصح اجتنابه . لهذا

(٣٣٠) فى الأصل : « منشاه » .

قـرنت الأديان النصـح بالثـواب والعقاب ، والسيـاسـة بـالجـزاء والمكافأة[٣٣١] ،والوالدين بالاعزاز والبغض[٣٣٢] .

ذهبت أمس صبـاحـا إلى عـابـدين لأقيـد اسمى فى دفـتر (. . .)[٣٣٣] ، فوجدت فى قاعة كبير الأمناء مدير البحيرة ، ومعه عدد من أعيان مديريته . وفهمت منه أنه كان فى اليوم قبله مع وفده فى دار الحماية ، حيث قابلوا نائب الملك .

ثم أوصلته فى عربتى إلى الداخلية ، وتلاقينا هناك ببعض رجال ذلك الذين كانوا انصرفوا قبلنا من عابدين ، ومنهم محمد المنياوى وخليفة محمود وعبد الرحمن نوار ، وانصرفت بعد دخـولى الديوان .

ثم فى الساعة خمسة بعد الظهر ، حضر هؤلاء الثلاثة عندى زائرين ! وما حصـل منهم شىء من ذلك قبـل الآن ! ففهمت أن الركوب مع المدير هو الذى سبب هذا التغيير ! على أن منهم خليفة محمود [ص ١٦٣٦] يدعى لنا بالنسب ، فهـو أيضا يتبـع فى ودنا مسافة ما بيننا وبين السلطة من القرب والبعد ! وما وجدته وحده فى هذه الحالة ، بل رأيت ذلك فى جميع أقاربى ، فقد كانت صلتهم بى تشتد ، واعتدادهم به يقوى ويضعف على حسب تقدمى وتأخرى فى المناصب !

ففى مثل هذا البلد ، ينبغى أن يكون الإنسان ذا سلطان ، أو مقربا من ذى سلطان ، إلا إذا كـان لا يحفل بمـا يحفل بـه أهله ، ولا يؤثر فيه ما يؤثر فيهم من الأوهام .

---

(٣٣١) فى الأصل : المكافئة .

(٣٣٢) فى الأصل : « والوالدان » ، « وبالاعزار » .

(٣٣٣) كلمة غير مقروءة .

وإنى أرغب أن أكـون من هـذا القسم ، لأنـه أوفق بـطبعى الجـافى ، وأنسب بفطرتى النـافرة . وفى الحق أنى أجـد من نفسى الاستخفاف بكثير من الأشياء التى يستعظمها الناس ! فـلا أسعى إليها ، ولا تخطر لى فى كثير من الأحيان على بال ! فالرتب العالية ، والـوسامـات اللامعـة ، والاحتفالات الشـائعة والقـرب من ولاة الأمور – كل ذلك لا تأثير له تقريبا على نفسى ، بل هى تنفر منه فى بعض الأحيان .

فى ٢٠ يناير سنة ٩١٧

توجهت أمس إلى النادى ، وبقيت فيه إلى الساعة ٢ بعد نصف الليـل ، وخسرت مبلغ ٣١٠ جنيـه ! وعدت ، فـوجدت زوجتى يقظة ، فردت سـلامى ببرود ! وخلعت مـلابسى وهى بجانبى ، وذهبت إلى محل الراحة ، ثم تمضمضت ودخلت السرير ، ودخلت بعد مخدعها . وكانت مضطربة تصفر تارة ، وتخضر أخرى . وبعد أن اضطجعت ، نهضت جالسة ، وقالت :

أريد أن أعرف إلى أى طريق أنت مسوق ؟ قد نفد صبرى ، وفرغ تحملى ، وأكلتنى الآلام ، وتراكمت علىَّ التعاسة ، وكنتَ أحن صـدر كان يعـطف علىَّ ، وأحكم رجـل كان يمـدنى فى الشدائـد بنصـائحه وآرائـه . ذلـك هـو أبى فقـدتـه ، ولم يبقى لى إلا أنت [ص ١٦٣٧] ولكنك تعمل على إذابتى ولا تلاحظ صحتى : فكـم وجدتنى فى قلق واضطراب من هذه الحالـة ، ولم يرق قلبـك لتألمى ، ولا رثيت لحالى ! تسهر الليالى فى إتعابى ، وتمضى أوقاتك فى تعذيبى . فقل لى إذن قولا صريحا : إذا كانت رذيلة اللعب تمكنت من قلبـك ، وتملكت نفسك ، وأصبحت لا تقـوى على الاقـلاع

عنها ، فلا مندوحة عن فراقنا ! لأنى ، رغم ماأشعر بـه من الحب لك ، لا أستطيع أن أراك حقيرا فى نظرى ، مغلوبا لمثل هذه الشهوة التى قضت على الكثير من قبلك ، ولابد أن يكون فى استسلامك لها ما ينفرك منى ، فأنت تميل إليها .

٥ إبريل ١٩١٧(٣٣٤)

كنت قد خسرت منذ فترة مبلغا كبيرا من المال فى لعب القمار . ولكن منذ ٤ إبريل ١٩١٧ قررت ألا أعود للعب مرة أخرى ، فكل ما كسبته خسرته فى اللعب . لذا كان قرارى بألا ألمس أوراق اللعب مرة أخرى ، فلعب القمار هو للأسف بدايـة كل رذيلة . وكنت اعتقدت فى البداية أننى لن أتركه أبداً .

---

(٣٣٤) غير موجود بالأصل ، وإنما أضفنـاه من واقع الفقـرة التاليـة ، وهى مترجمة عن الألمانية ، وقد ترجمتها مشكورة مع صفحتى ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، الأستاذة الدكتورة عليه عزت ، أستاذ مساعد اللغة الألمـانية وآدابهـا بكلية الآداب جـامعة القاهرة .

وكان سعد زغلول قد انقطع عن كتابة يومياته بعد هذه المشادة مع زوجته ، لسبب غير معروف ، حتى يوم ٥ إبريل ١٩١٧ ، حيث استأنف كتابة يومياتـه ، ولكن بشكل متقطع ، فكتب يومية ٥ إبريل التى أوردناها بالمتن باللغة الألمانية ، ثم انقطع إلى يوم ٢٨ إبريل .

وكان سعد زغلول قد أخذ فى تعلم اللغة الألمانية فى كارلسباد قبل الحرب العالمية الأولى ، ليسهل عليه التفاهم مع أهل البلاد . وقد تعلمها على يد الآنسة فريدا كابس ، التى أخذت تشرف على بيته منذ سنة ١٩١١ .

٢٤٧٤

[ص ١٦٣٨]

فى ٢٨ أفريل

أخبرنى مظلوم باشا أن السير ونجت سيزور مكان الجمعية يوم الاثنين القادم ، وأشار علىَّ أن أكون حاضرا . فلم أعطه وعدا صريحا لأنى متردد فى الذهاب ، بعد أن أوقفت أعمال الجمعية ، وتناست السلطات وجودها ، إلا ما كان من مظاهر الذل !

خطر على بالى أن أقابل ونجت وأعرض عليه قصتى مع كتشنر ، ولكنى متردد فى هذا الأمر ، لأنى أشعر أنه لا يلائم مبدأ . ولا أزال فى حديث مع نفسى فى هذا الشأن .

ما انقطعت عن النادى ، ولا تركت اللعب ، ولكنى خففت منه . وأرجو أن يؤدى الإقلال إلى الإقلاع .

أصبحت ولا أعرف لنفسى لذة ألتمسها : فلا الأغانى تشجينى ، ولا المجالس تؤنسنى ، ولا الحظ[٣٣٥] يروق لى ، ولا السفر يسلينى .

فى يوم ٢٩ أفريل سنة ٩١٧

زار الجمعية التشريعية سير ونجت ، وحضرت زيارته بعد تردد . وقد أبدى إعجابه بكل شىء رآه فيها ، ولكنه كان يتغاضى عن كل ما يشير إلى اجتماعها .

---

(٣٣٥) كلمة مطموسة بالحبر ، والقراءة اجتهادية .

٢٤.٧٥

ولما انتهى من الزيارة ، وقدمت له الكراوية ، قال علوى باشا : إن المكان غير صالح صحياً لاجتماع عدد كبير ! فقال له سعادته : إن كل القوى منصرفة الآن لقهر العدو !

فقال مظلوم باشا : والأمل أن يهيأ لها مكان آخر بعد النصر كتحسين .

قلت : ولكن التحسين الذى يفوق كل هدية ، هو توسيع إختصاصات الجمعية ! وحينئذ سألنى عن إختصاصها الحالى ، فذكرت له مجمله ، فقال : لا يمكن الآن النظر فى شىء ، ولا يعلم ما يكون فى الغد .

ثم انصرف الكلام إلى وجهة أخرى ، وكان معه شاب قدمه ، ولا أتذكر اسمه . ولم يكن من الأعضاء سوى علوى الذى حضر أثناء الزيارة وكان لابساً [ص ١٦٣٩] ردنجوت ، ولكن مظلوم ، وأنا ، وكل من قابله من موظفى الجمعية ، كان بالملابس الإعتيادية .

وقد انقدح فى خاطرى ، من مجموع الأحاديث التى دارت أمامى ، وبينى وبينه ، أنه محدود الفكر ، ضعيف القدرة ، يتحاشى الموضوعات التى تحتاج إلى رأى رشيد ، وسلطة واسعة .

ولقد أحسنت أن حضرت ، منعا للقيل والقال . ويترجح عندى شيئا فشيئا أن أزوره قريبا ، للغاية السالف بيانها . ولكن الترجيح لم يبلغ درجة العزم القاطع .

فى ٣ مايو

قد عقدت النية عقدا لا انفكاك له ، على أن أترك اللهو واللعب

بتاتا ، وإذا عدت إلى شيء منه حقت عليّ اللعنة إلى يوم الدين .
وهذا آخر عهدى به !

كتبت هذا العهد صباحا ، وتوجهت النادى مساءً ، ورأيتهم يلعبون ، فأبيت اللعب معهم .

وذهبت إلى الأوبرا ، حيث أقامت الجمعية الخيرية الإسلامية إحتفالها السنوى ، ومكثت بها إلى الساعة الاثنى عشر .

ثم عدت إلى النادى ، وجلست بجانب اللاعبين متفرجاً ، وكنت منشرح الصدر من الفرجة بغير تعرض للخطر ، ولكن ما لبثت أن رغبت فى اللعب ، فلعبت ، وكسبت !

ومن ذلك العهد ، أرى نفسى مياله للعودة ، راغبة فيها ، ناسية ما كان منها من النفور . ولكنى لا أزال أ ضغط عليها وأريها أن السلامة فى الابتعاد ، والحكمة فى القناعة .

[ص ١٦٤٠م] (٣٣٥م)

٨ مايو

لأننى أتردد هذه الأيام على النادى فأنا لا أريد أن أفكر فى عدم استطاعتى ترك اللعب. ولكن بما أنى ملتزم كان عليّ أن أترك الرذيلة إن زوجتى تعانى كثيراً من جراء ذلك حتى انها لا تكاد تنام وهى دائماً غاضبة .

[ص ١٦٤١]

١٠ مايو ١٩١٧ (٣٣٦)

زارنى اليوم أمين باشا غالى ومعه المحامى مرقص حنا ودعانى

(٣٣٥ مكرر) هذه الفقرة مترجمة عن الألمانية.

(٣٣٦) هذه الفقرة مترجمة عن الألمانية .

لحضور الإحتفال النهائى بالمدرسة والذى سيكون غدا .

ولم يكن الباشا قد زارنى منذ عدة سنوات . وأنا اعتقد أن هذه الدعوة مجرد ستار يخفى وراءه الهدف الحقيقى للزيارة ، والذى سوف يتضح مؤخراً ، لذا يجب الإنتظار(٣٣٦) .

زارنى اليوم أمين غالى ، مع مرقص حنا ، ودعيانى لحضور الإحتفال بإمتحان المدرسة المرقسية الذى سيكون غدا ، وأبديا تأسفهما من كون الدعوة أرسلت من غير أن يحملها بعض ذوى الشأن . فشكرت لهما لطف عبارتهما وانصرفا .

لكن لابد أن يكون تحت هذه الزيارة شىء آخر ! والله أعلم !(٣٣٦م)

١١ مايو

أمس كنت فى النادى مع رشدى باشا وخسرت خمسة وعشرين جنيها ، وأنا نادم على ذلك . ولكننى أنوى منذ هذه اللحظة أن أترك القمار نهائيا(٣٣٦) .

[ص ١٦٤٢]

فى ١٩ مايو سنة ١٩١٧

قد عزمنا أن نسافر بمشيئة الله غدا إلى عزبة مسجد وصيف ،

---

(٣٣٦) هذة الفقرة مترجمة عن الألمانية .

(٣٣٦مكرر) هذه الفقرة هى ترجمة سعد زغلول العربية للفقرة الألمانية السابقة كما هو واضح .

لنمضى فصل الصيف بها . وقد كان بعض الأصدقاء أشار بعدم السفر ، خشية مرض التيفوس المنتشر الآن فى البلاد ، فأرسلت مندوبا لبحث الحالة ، فعاد وقال إنه لا أثر بهذه الجهة إلى ذلك المرض ، ولكنه بالقرب منها .

فتوكلنا على الله ، وعقدنا النية على السفر ، لأن الست ترغب كثيرا فيه ، ولأنى مللت الإقامة فى المدينة ، خصوصا بعد أن زاد الدين فى هذه الأيام ٣٥٠ جنيه ، بسبب الاستمرار فى اللعب . وأرجو أن ينسينى البعاد هذه العادة الذميمة .


٤٣
الكراسة الواحدة والثلاثون
الجزء الثانى

الكراسة الواحدة والثلاثون
الجزء الثانى
من ص ١٧٤٠ ـ ص ١٧٨٠
من ٢٠ مايو ١٩١٧
إلى ٧ أكتوبر ١٩١٧

المحتويات :

هذه الكراسة تسجلّ المذكرات التى كتبها سعد زغلول فى عزبة مسجد وصيف .

- سعد يلعن نفسه كلما تذكر لعبة الورق !
- سعد يتوقع أنه إذا انتهت الحرب بانتصار أحد الفريقين فلن يكون لمصر نصيب فى الاستقلال .
- تبرع السلطان حسين بسراى الاسماعيلية ، لتكون كنيسة كبرى ، واستياء المسلمين لهذا التبرع .
- سوء علاقات سعد زغلول بغديله محمود صدقى باشا ، وروايات سعد عنها .
- ديون سعد زغلول .

- صدور قرار السلطة العسكرية بتحديد عـدد صفحات الصحف وأثمانها .
- زيارة اسماعيل أفندى حمد مأمـور مركـز زفتى لسعد زغلول فى عزبته .
- الحكم على فيليبيدوس بالسجن خمس سنين .
- الحكم فى قضية تعذيب البحيرة ، واضطراب الأمن فيها .
- عودة سعد زغلول الى الاهتمام بدراسة اللغة الألمانية .
- حسين رشدى باشا يضع مشروع اتفاق بين مصر وبريطانيا حول المسألة المصرية على أساس الحماية ، وسعد زغلول يرفضه
- مناقشات سعد زغلول مع حسين رشدى باشا وعدلى باشا حول مشروع الاتفاق .
- اعتقاد سعد زغلول بأن مشروع حسين رشدى باشا الغرض منه عدم عودة مصر إلى حكم الأتراك بعد الحرب .
- سعد زغلول يفكر فى الزواج سرا .
- سعد زغلول يطلب من أحمد لطفى السيد اعداد مشروع اتفاق مع الانجليز .
- تعيين ابراهيم حليم مديرا للبحيرة مكان محمد محمود باشا .
- المشروع الذى وضعه أحمد لطفى السيد للاتفاق مع انجلترا ، بديلا لمشروع حسين رشدى باشا .
- أمـر قائـد جيش الاحتلال بعـدم التعامـل فى بذرة أقـطان سنـة ١٩١٧ .
- مشروع أمين يحيى باشا للاتفاق مع انجلترا .
- سقوط سعد زغلول عن جواده .
- سعد زغلول يعنف نفسه عندما لاحظ أنها بدأت تحسد الغير !

٢٤٨٣

- هموم سعد زغلول بسبب محصول القطن .
- مرض السلطان حسين واعداد حكومة رشدى مشروع الوراثة ، وعدلى باشا يخشى أن يسلك حسين رشدى مع الأمير أحمد فؤاد مسلكه مع السلطان من العمل على ارضاء شهواته .
- سعد يطلع على مشروع أمين يحيى باشا ، ويعترض عليه .
- مقابلة مع الأمير أحمد فؤاد .
- رأى عدلى باشا فى الأمير أحمد فؤاد .
- مخابرة الانجليز مع الخديو المخلوع عباس حلمى على أن يتنازل باسمه وباسم أولاده عن دعوى الخديوية فى مقابل **٢٥** ألف جنيه فى السنة ، واعترافه بسلطنة السلطان حسين ، ورفضه ذلك .
- تصريح البرنس كمال الدين حسين لسعد زغلول برفضه السلطة بعد وفاة والده .

٢٤٨٤

[ص ١٧٤٠]

فى يوم ٢٠ مايو ٩١٧

قدمنا اليوم من مصر[٣٣٧] فى قطار الصباح للبيت ، وكان الهواء معتدلا والجو صافيا ، وكنت تعبا من السهر ، فاغتسلت ، ونمت قليلا . ثم تغدينا ، ونمت طويلا .

ولقد ذكرت أوقات اللهو فلعنتها ولعنت نفسى ، ولمتها لوما عنيفا ، وأشعر بإشمئزاز منها ، فما هى الا أموال ضائعة ، وشرف مثلوم ، وصحة معتلة ، وعلاقات مختلة ، وعيشة قلقة ، واضطراب فى جميع الأحوال . فليس لى ، بعد أن جربت ، ولاقيت من جراء هذه النقيصة ما لاقيت ، الا الإقلاع عنها ، والفرار منها . وإقامتى هنا هى من أهم الوسائل ، وأنفع الذرائع .

أصبحت ولا طمع لى فى هذه الحياة الا أن أقضى ما بقى لى منها فى هدوء وسكون ، وبُعدٍ عن الضوضاء .

ولقد زهّدنى فى الناس معرفتى بهم ، وكثرة إختبارى لهم ، فما توقيت بإحسانٍ شرا ، ولا لاقيت من خير نفعا ، ولا جنيت من صالح ثمرا . ويخيل لى أن الناس يعتبرون الأخيار أغرارا ، والصالحين بسطاء ، فيستغفلون[٣٣٨] غيرهم ، ثم ينبذونهم نبذ النواة ، ويضحكون منهم إذا أحسوا منهم رجاءً فيهم ، أو شيئاً من الإعتماد عليهم .

---

(٣٣٧) يقصد : قدم إلى عزبة مسجد وصيف .

(٣٣٨) قراءة اجتهادية .

فى يوم ٢٣ منه

لا شىء يستحق الإثبات . وقد زارنى سباعى بيك اليوم ، وأخبرته بما عزمت عليه من درْس جانب من الغلال على مكينة دراس محمود باشا . وأخبرنى بأن ثمن الأردب القمح فى زفتى بلغ ٣٠٠ قرش . ثم زارنى عبد الرحيم وهدان ، وقال إنه أعطى فى بلده [ص ١٧٤١] ثمن الأردب ٢٧٠ قرش .

والمشاهدات والروايات متفقة على أن محصول القطن جيد فى هذا العام ، لغاية الآن ! وعلى الله حسن الختام .

كثرت أحلامى فى هذه الأيام ، وفى هذا المكان . وأرى فيها أشياء وأشخاصا لست مشتغلاً بها ، ولا مفكرا فيها ، وأمورا أستغرب منها غاية الإستغراب ، لتنافرها وتباعد بعضها عن بعض ، ومفارقتها . وتتردد علىَّ أمثال هذه الأحلام فى الأوساط الهادئة ، والأماكن الساكنة !

افتكرت وقلت لبعض الأصحاب : إن الحرب إذا انتهت بانتصار أحد الفريقين المتحاربين ، فليس لهذه البلاد نصيب فى الاستقلال ، وليس لحُرِّ الشمائل إلا أن يرحل عنها ، لأنه يصبح غريبا فيها ، ذليلا مهيض الجناح .

ليس شقائى بالأجانب أكثر من شقائى بالأقارب ، فأولئك لا أنتظر منهم خيرا ولا عونا ، ولا يتمكنون ـ فى الأغلب ـ من إيذائى الا بمعونة هؤلاء !

دخول أميريكا فى الحرب يطيل أمدها ، ويرجح كفة الحلفاء إذا استطاعت الروسيا أن تبقى مع الحلفاء ، ولكن إذا انسلخت عنهم بعُد أمد السلام ، ولكن يصعب أن يكون النصر فى جانب الحلفاء .

فى ٢٥ مايو

أسافر الآن إلى دمنهور ، ثم منها إلى مصر ، لسماع محاضرة ناظر مدرسة الحقوق فى موضوع مسئولية الحكومة ، وقضاء بعض اللوازم .

ولم أنم أمس نوما عميقا ولكنى أصبحت غير منقبض الصدر ، وفى النية أن أعود غدا مساء .

[ص ١٧٤٢]

فى ٢٧ مايو سنة ٩١٧

عدت أمس من مصر ، بعد أن زرت زراعة دمنهور ، وارتحت لزراعة القطن ، وحضرت محاضرة ناظر مدرسة الحقوق السلطانية فى «مسئولية الحكومة عن أعمال موظفيها » . وأنهيت مسئلة الطامبور ، حيث قبضت ما دفعت ، وتجاوزت عن الباقى . ثم قضيت بعض اللوازم .

ولم أفهم تماما تلك المحاضرة ، لأن لسان المحاضر فيه نوع من الإغلاق . ولكنى رأيت فيه نوعاً من الجزم والإقدام ، وأظن أنه اطلع فى موضوعه على كتب كثيرة مختلفة اللغات .

ومما يستحق الذكر إنعام[٣٣٩] السلطان بسراى الإسماعيلية على أن تكون كنيسة كبرى ! وقد وقع هذا الإنعام أسوأ وقع فى نفوس المسلمين ، حتى الذين يظنون منهم أنهم أحرار الأفكار ! وعدُّوه خرقاً فى السياسة ، وعمى فى الطاعة[٣٤٠] .

---

(٣٣٩) إنعام ، أى « تبرع » .

(٣٤٠) واضح من هذه العبارة أن هذه القضية اتُّخذت فى صورة ضغط من سلطات الحماية ، وطاعة من السلطان .

وقد تقابلت فى العودة مع جعفر باشا والى ، وأظهر لى أنه شرقى ذو إحساس ، وإنه يألم لما نألم ، ويحزن لما نحزن . وكان يبهم القول تارة ، ويصرح به تارة أخرى !

وما تحرزت معه فى شىء ، لأنى أجد لذة فى التصريح بما عندى ، ولو كان فى التصريح به ما ربما يعود بالضرر !

اليوم ظهرت علامات الدودة فى زراعة القطن . وقد نبهت بالإهتمام فى نقاوتها ، وأن تقسم الانفار فرقا ، تفتش كل فرقة منها فى ناحية . وكنت قد رأيت ـ عند عودتى ـ فى أرض الدمرداش أنفاراً ينقونها .

الأخبار عن عظمة السلطان تدل على تأخر صحته ، وحكماؤه يقولون انه مريض بالسل ، فأيامه ـ بناءً على ذلك معدودات .

ولم يظهر إلى الآن من يخلفه ، ولكن ذلك لا أهمية له فى نظرى ، لأن السلطة فى الحقيقة مع النائب[٣٤١] وللملك الإنكليز بعده ، وما غيرهما آلات (. . .)[٣٤٢] .

ما رأيت هذه المرة بمصر إلا نفرا قليلاً ، ولم ألبث فى النادى الا يسيرا ، ولم أمل للعب فيه ، ولم أتحدث الا مع امين يحيى باشا بعض دقائق . ورأيت البرنس فؤاد يحف به هو ومحمود صديق فسلمت من بعيد.وجلس على مائدتى البارون مسيرى[٣٤٣] وما سلم ، فانصرفت بعد الانتهاء وما سلمت !

---

(٣٤١) قراءة اجتهادية ، ويقصد : المندوب السامى .

(٣٤٢) عبارة غير مقروءة .

(٣٤٣) يقصد : موصيرى ، وهو من مشاهير اليهود فى مصر .

وتأكدت مرة أخرى أن عيشة النادى وبال على المال ، وضرر بـالصحة ، وخسـارة فى الشرف ، وهـزال فى النفس . فلعنة الله عليها ، وعلى من يميل اليها !

[ص ١٧٤٣]

فى ٢٨ مايو

قدم محمود صدقى[٣٤٤] . وكنت دعوته أن يأكل عندنـا مدة إقامته ، وكتبت حرمى الى حرمه تستفهم منها عن حميته[٣٤٥] التى يلتزمها حتى تصنعها له . فلم تجبها ، وراوغ زوجها فى الاجابـة . وكذلك فعل ناظره . فلم أشأ التشديد ، وبعثت له فى بيته بعض مأكل ، فأرسل عقبها وعاءً فيه برتقال وموز وعيش وبن وسكـر ! فقبلت الفاكهة ، ورددت الباقى توهما أن إرساله وقع خطأ . فرده قائلا : إنه أحضره من اسكندرية عـلى ذمتنا ! فلم أستغـرب هذه المعاملة ، لأنها من قبيل ما نعهد ! ولكنى لمت نفسى على كونى أبديت رغبتى فى درس القمح على ماكينته ، وعـزمت أن أعدل عن هـذه الرغبة بِعلّةٍ مقبولة ، وهى أنى لا أريد أن أبيع القمح حالاً ، وربما خزنته زمنا طويلاً ، ولا يصلح دراس المكنة للخزن .

فى يوم ٢٩ منه

حضر محمود صدقى ومعه سباعى ، وتغدّينا معاً . وفهمتهما انى عدلت عن نية الدراس على المكينة للسبب السابق.فانكمد الأول ، وقال : إن الأحسن عدم التعجل ، وإن الأوفق ، إذا اخترت دراس

---

(٣٤٤) محمود صدقى باشا ، عديل سعد زغلول .

(٣٤٥) حميته ، أى : نظامه الغذائى .

النـوارج ، أن تستعمل المكينـات فى الدراوة ! قلت : سـأنظر فى ذلك .

وقال سباعى : بمجـرد إنتهاء الـدراس ، يمكنك أن تخـابرنى لاستحضار الآلات من كوم النور . فقلت : كذلك . وقد همس لى سباعى بأن دراس المكينة فى هذا العـام ردىء ، لأن الحب يسقط أغلبه مغلفا بغلاف ، وفيه مكسور كثير .

وقد استنتجت أن قصد صـدقى من دعوتنـا إلى أن نستعمل المكينة فى الدراس ، إنما هو توقى ضرر الدراوة ، لأنها إذا حصلت تلقى الرياح غبارا[٣٤٦] على مزروعاته ، فتضرها !

ولكنى لا أريد ضررا ، ولا أود أن أتحمل جميلا !

أشْعَر أمس عبد الله شريف بأن فى عزمه القدوم اليوم للسلام . ثم اعتذر باشتداد الهواء ولم يحضر !

[ص ١٧٤٤]

فى يوم ٣١ منه

ظهرت دودة الورق من يومين ، وقـد شرعت فى نقـاوتها من تاريخ ظهورها . اليوم وجدنا بعض نوار فى القطن العفيفى ، وفى القطن الذى يلى الربوع شرقا شمالى السكة الزراعية .

وقد استأجرنا أنفارا من الخارج لفريق القطن ، بخمسة قروش يومية النفر ، غير العشورية . وسبب ارتفاع الأجرة ، كثرة ما يطلب الجيش من الأنفار .

---

(٣٤٦) أى : ما تذروه الريح من مخلفات دراسة القمح .

٢٤٩.
فى يوم أول يونيو

زارنى عبد الله بيك شريف ، وامتدح الزراعة . ثم نسب الى شكرى باشا(٣٤٧) أموراً كنا نسمعها عنه وننفيها ، كتضمين العمد والأعيان نسبة ، ومد يده للرشوة ، وسوء الإدارة . وذكر بعض وقائع معينة .

٢ منه

أسافر اليوم إلى دمنهور ، ومنها إلى مصر ، لصرف الماهيات والمرتبات .

وغدا سيكون مولد ملك الإنكليز ، الذى أخذت جرايد الإحتلال تدعو الناس لتقديم التهانى عليه . وأجد فى نفسى ضيقاً من ذلك ، وتحدثنى النفس بأن لا أكون بين المهنئين .

وفى النية أن أقيم بمصر إلى عصر يوم الاثنين ، ولكنى ربما عدت قبل ذلك .

وانى اتأسف على كونى وجدت من بين البواعث على زيارتى مصر فى هذه الأيام ، الميل إلى اللعب ! حيث يغلب علىّ الظن بوجود(٣٤٨) العدد اللازم لادارته . وسأجتهد فى البعد عن مكانه ، والاجتماع بأركانه لعنهم الله ، ولعنه !

---

(٣٤٧) محمود شكرى باشا ، كان رئيس الديوان التركى الخديوى ، وأصبح وكيل الحقانية فى عهد السلطان حسين .

(٣٤٨) فى الأصل : « وجود » .

[ص ١٧٤٥]

فى يوم ٧ منه

زرت زراعة دمنهور فى يوم ٢ منه ، فوجدت الفريق جيدا ، ووجدت الدودة أخذت فى الظهور ، والزراعة شرعت فى نقاوتها . وقد أرونى نوعا من الدود يسرى داخل العوذ فيشل عنقها ، فيتدلى . وقد أخبرت بهذه الحادثة وزير الزراعة ، فأمر بأن يبحثها مفتش الوزارة .

وقد شددت التنبيهات بشدة الالتفات للأعمال ، وأمرت بإعادة بياض الأودتين ، والبحث عن كباس لوضعه محل الطامبور .

وعدت فى المساء الى مصر ، واجتمعت فى النادى برشدى ، وكسبت مبلغ ٣٤ ! ونمت بعد الساعة الثانية .

ورأيت فى النهار صدقى ، ثم حسين رفقى ، وكتبت معه إسمى فى دفتر زيارات دار الحماية ، وفتح الله ، وعاطف ، وبهى الدين . ثم تغديت فى النادى وحدى ، وفى المساء تعشيت فيه ، بعد أن تنزهت مع صدقى ، وعدت حسين رياض ، وفردوس بنت محمد حتاتة .

وخسرت مبلغ ٨٧ ، ونمت بعد الساعة الثانية،وتغديت عند صدقى ، وعزمت أن أعود إلى هنا فى اليوم التالى صباحا . ولكنى علمت فى المساء بوفاة حسين رياض ، فنويت(٣٤٩) أن أشهد جنازته فشهدت ، وكان الخلل سائدا فى نظامها .

---

(٣٤٩) قراءة اجتهادية

٢٤٩٢

وسهرت فى النادى ، وخسرت ٧٨ ، فعزمت أن لا أمس الورق عزما أكيدا ، موثقا مؤيدا بالرجاء فى الرحمن .

وعدت أمس صباحاً ، فوجدت الحالة كما تركتها ، وأنهم بدأوا يروون القطن قبل عودتى بيوم .

وقد نمت أمس نوماً هادئا طويلاً ، وأصبحت منتعشا نشطا ، فتريضت أزيد من ساعة مشياً وركوباً ، وعدت فكتبت هذه السطور ، بعد أن قابلت العمدة وعبد الرحمن وهدان . وآيتى الآن : إذا جاز للانسان أن يلعب ، فلا يجوز أن يعرض ثروته للضياع .

فى ٨ منه

قلقت أمس بعد الساعة الواحدة ، ومرت بخاطرى أمور فيها عبر ! من ذلك ما خسرت هذا المبلغ فى الألعاب ، فقد هالتنى أرقامه ، وراعنى أن أرخيت لشهوتى العنان ، حتى كان ما كان مما أفزع لذكراه ، وأرجو الله أن يزيح عنى حمله ، وأن يكفينى شر الاستمرار ، فإنه خسار فى خسار .

ظهر مخلوق فى الأقطان يتعيش من اللطع والنقاوة ! يعرفونه ، فيتركونه ولا يؤذونه ، وهو كاللطعة فى شكلها ، ولكنه أسمر اللون .

[ص ١٧٤٦]

فى ٩ منه

نمت أمس نوما هادئا وعميقا ، وأصبحت منشرح الصدر ، وعولت على الذهاب الى دمنهور غدا من طريق بنها ، وأعطيت التعليمات اللازمة بذلك . وألاحظ أن فى هذه الجهة رطوبة ؛ لأنى

إذا جلست طويلاً فى مكان ، نهضت مكسر الأعضاء ، ولا تعود لقوتها الا بعد تحريكها زمناً . وهذا المرض لا زمنى هذا العام أكثر من العام الماضى .

فى ١٠ منه الساعة السابعة صباحا

أسافر الآن الى دمنهور عن طريق بنها . وقد لاحظت أمس أن الندوة العسلية إما بتأثير من الداخل ،[٣٥٠] وخصوصاً ما كان منها على جوانب الطرق ، أو قريباً من الأشجار ، أو من منابت النخيل . ولاتزال اللطع تظهر ، ولكن النقاوة تطاردها . ولا يزال الجو فى أطراف النهار وبالليل طرياً ، فلم تتجاوز درجة الحرارة فى الشمس لغاية هذه الساعة ٢٤ .

كلما آنست من نفسى ميلا للعب ، نهرتها ، وزهدت فيه . فهل يستمر ذلك ؟

فى ١٣ يونيو

وجدت الأشغال فى دمنهور ـ على الإجمال ـ جارية فى مجراها العادى ، ولكن الدودة كثيرة الإنتشار ، ونقاوتها تحتاج الى كثير من الأنفار ، وأجورهم عالية عن بقية الجهات . وقد أذنت بشراء أكياس بمبلغ ٤٠ جنيه ، بشرط أن يتم صنعه فى مسافة خمسة عشر يوما . وحالة القطن ـ على العموم ـ جيدة هناك ، غير أنهم متأخرون فى دراس القمح .

وصلت مصر فى الساعة الثانية من يوم عشرة ، وبعد أن تعشيت فى النادى ، نمت فى الساعة ١٠ . واجتمعت فى الغد بصدقى ،

---

(٣٥٠) قراءة تقريبية .

وابراهيم باشا سعيد ، ومحمد على بيك ، وفتح الله باشا . وبعد أن أجاب هذا إلى الغداء معنا ، خرج إلى الباب ، ثم عاد وقال : إنه جاءته أخبار تحمله على الغداء عنده . وتبين أنه لم يتلق خبرا ! وغاية ما هناك أنه سأل الحاج أحمد(٣٥١) عما إذا كان الأكل كفاية ؟ فأجابه بالإيجاب !

يشاع فى مصر أن الانكليز يريدون ان يعطوا مصر استقلالها ، تنفيذا لرغبة أمريكا ! إن كان ذلك صحيحا : عاشت أميركا ، وعاش الإنجليز جميعا !

لا تندم على ما قدمت من معروف ، ولو أساء اليك من تمتع به ، لأن كُلاً لم يفعل الا ما يقتضيه طبعه .

[ص ١٧٤٧]

لا تطلب من الانسان أن يكون شكورا ، فقد خلق كفورا !

ولا تشغل بالك بمن لم يحترم حقك عليه ، ولم يشكر إحسانك اليه ، فان ذلك يضاعف من ألمك ولا يخفف من لؤمه .

إذا أصاب(٣٥٢) دنىء بدناءته ، فلا تغبطه عليها ، لأنه رضى لنفسه ما لم ترضه لنفسك ، ونزل الى ما ترفعت عنه .

من الميول فى الإنسان ما لايعرفه هو نفسه ، لأن الدواعى لم تتوفر لظهوره . فقد يعتقد الإنسان اعتقادا جازماً انه لا يميل لرذيلة معينة ، لأنه وجد نفسه فى بعض أحيان نافرا منها ، ثم يراه وقد انغمس فيها ! وهو هو فى الحالتين لم يتغير ! ولكن تغيرت الظروف والدواعى .

(٣٥١) الحاج أحمد ، لعله الطباخ .
(٣٥٢) « أصاب » هنا ، ضد « أخطأ » .

ولهذا ، كان من الصعب جدا جدا الحكم على أحوال الناس وأخلاقهم ، ومن المتعذر ـ فى أغلب الأحيان ـ على الإنسان أن يعرف نفسه !

فى ١٤ يونيو سنة ١٩١٧

تشغلنى الديون ووفاؤها ، وأتعشم أن تكون الإيرادات كما يأتى :

جـ

١٤٠٠ ثمن غلال

٠٣٠٠ ثمن ثبوتات

١٠٠٠ ايجارات

٠١٠٠ ايجار بطيخ

٠٠٥٠ ايجار حب برسيم وخلافه

٢٨٥٠

مصاريف ٤٥٠ من ثمن الاقطان

٩٠٠ أموال

٢٠٠٠ ديون

٢٨٠٠ مصروفات[٣٥٥]

٥٠٠ مصاريف سائرة تقريبا

٣٣٠٠

مجموع[٣٥٤]

٢٨٥٠ ايرادات

٢٨٠٠

٠٥٠ باقى[٣٥٦]

٤٥٠ ديون

(٣٥٣) هكذا فى الأصل ، وصحتها ٢٩٠٠ .

(٣٥٤) أضيفت للتوضيح .

(٣٥٥) أضيفت للتوضيح .

(٣٥٦) أضيفت للتوضيح .

(٣٥٧) أضيفت للتوضيح . وقد كتب سعد زغلول هذا الحساب فى شكل صفحة من دفتر حسابات .

٢٤٩٦

[ص ١٧٤٨]

فى ١٦ يونيو سنة ١٩١٧

إشتدت وطأة الدودة فى الورق ، وفقس بعضها ، والله لطيف بعباده !

حضر إلى محمود باشا صدقى ، ودعوته لتناول الغداء اليوم . وأبدى أسفه لكونى عدلت عن درس الغلال عنده .

لا يشغلنى الآن شىء الا آفات القطن ، وما تؤول اليه أثمان الحبوب . وقد تحددت قيمة إيجار الفدان فى الأول ثمانمائة قرش ، إلا فيما كان موضع برسيم فعشرة(٣٥٨) . ولكن هذا النوع نادر ومكروه عند الفلاحين ! وقد ابتدأت من خمسة أيام أن أحتمى بتناول ملح كارلسباد ، وشعرت بنقص فى البول ، ونوع من الراحة .

أكثر الناس رذيلة هم الذين يدّعون الفضيلة ، وأكثرهم كذبا أقلهم حياء .

أبعد الناس عن فعل الخير ، من يزعمون الميل اليه .

ابتدأنا الرى اليوم ، الساعة ١ بعد الظهر .

فى يوم ١٧ منه

نمت أمس نوما هادئا ، وأصبحت منشرحا باكراً ، وطفت بالزراعة ، وعدت ، وفطرت ـ كل ذلك قبل الساعة السابعة . وكتبت هذا فى ختامها . وآية اليوم : ماحك جلدك مثل ظفرك .

---

(٣٥٨) قراءة تقريبية ، وفى هذه الحالة يكون المقصود بعشرة : عشر جنيهات .

فى يوم الاثنين ١٨ منه

نشرت الجرائد أمس أمرا من السلطة العسكرية ، يحدد عدد صفحات الجرائد وأثمانها . وهو غريب فى بابه ! وصدوره من هذه السلطة أغرب ! وفوق كل ذى علم عليم !

قل مقدار البول ونوباته ، وشعرت من نفسى بنوع من الراحة ، ولكن الخفقان زاد ! والأحسن ان أقف الآن عن تناول كارلسباد ، ولكن استمر على الاحتماء . والله الموفق .

إشتدت وطأة الدودة ، وكلما اجتهدنا فى نقاوتها زادت إنتشارا . وعلى ذلك فنرجو الله أن يرفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم ، وما هو به أعلم ، وأن يقينا ضعف النفس ، وغلبة الشهوة ، فإن ماعدا ذلك من المصائب محتمل .

فى يوم ١٩ منه .

زارنى أمس مأمور مركز زفتى إسماعيل أفندى حمد(٣٥٩) ومعه معاون الإدارة ، والعمدة ، فوجدته شابا مهذبا نبيها . ثم زارنى بعد الظهر راغب بيك عطية ، وعلى الرفاعى ، وأعجبا بزراعة القطن . [ص ١٧٤٩] ونصح راغب بيك بأن نقلع الشجرة المصابة بالندوة العسلية ، أو نقطع أوراقها باكرا وتوضع فى مثل صفيحة ، وأن يقلع من الأشجار حول البقع المصابة ما يجعل بينها وبين السليمة فاصلا .

---

(٣٥٩) ظل اسماعيل حمد مأمورا لمركز زفتى حتى قامت ثورة ١٩١٩ ، واستقل الوطنيون برياسة يوسف الجندى بالسلطة فى البلدة ، وتعاون مع الوطنيين وسلمهم المركز والسلاح وقيادة الجنود والخفراء .

(انظر د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ – ١٩٣٦ ص ١٤٢ – ١٤٣) .

وقد شاهدنا فراشا كثيرا يطير فى الحطب الذى يحمله الحمير الى الوابور . وهذا يؤيد أن فكرة تنقية اللوز من الحطب فكرة صائبة .

عزمت أن اسافر فى هذه الساعة الى دمنهور ، فقد اشتدت وطأة الدودة فيها ، وارتفعت أسعار الأنفار الى حد لا يطاق .

وحالتى النفسية جيدة ، الا أنى سريع الإنفعال ، قريب المرجوع ، أتأثر ثم لا ألبث أن يعاودنى فكر الاستخفاف بالحياة ، وعدم لياقة التأثر لحوادثها بالعقلاء[٣٦٠] فكان هذا الفكر بردا وسلاما[٣٦١] !

لا تحزن على ما فات ولكن اعتبر به .

فى يوم ٢١ يونيو

تم رى أرض مسجد وصيف أمس ، وعدت أمس من مصر ، وأول أمس من دمنهور . ورأيت الزراعة فيها متحسنة ، وقد خَفَّت وطأة الدودة هناك ، لشدة مقاومتها . ولم أسمع بمصر شيئا جديدا . ونمت أمس نوما عميقا ولا أزال محتمياً[٣٦٢] ، وأرى فى الإحتماء فائدة لا يصح الإستخفاف بها . وقد نسيت أن أرسل الى السلطان تهنئة من مصر ، فكتبتها أمس ، وأرسلتها اليوم ، ولكنى تعبْت زمنا طويلا فى تنميق عباراتها[٣٦٣] ، ومع ذلك لم أعجب بها ! والسبب فى ذلك ـ على ما يظهر ـ سقوط الرجل فى النظر !

---

(٣٦٠) قراءة ترجيحية .

(٣٦١) فى الأصل : برد وسلام .

(٣٦٢) أى يسير على نظام غذائى (أو رجيم غذائى) .

(٣٦٣) فى الأصل : عباراته .

ولم أمل إلى زيارة النادى ، واتخذت من ذلك دليلا على تحسن الحالة النفسية .

فى ٢٢ منه

زارنى أمس من يدعى الشيخ عطية أبو العمائم ، مع الشيخ المغربى فوجدته شابا فيه نباهة ، وله ممارسة بالتجارة ، ومعارفه الزراعية متوسطة ، وعنده اندفاع أمثاله . ولم أستفد منه شيئا .

وزارنى بعد ذلك إسماعيل بيك منصور ، وابنه القاضى ، وأخوه ، وابن أخيه المدرس بالمدرسة السعيدية . واستفدت من الأول أن ما كان له زهر من النبات أصبح لا ينمو من جهة السواحل ، كالفول والبرسيم والكتان والقطن ، لكثرة استعمال الأرض فى الزراعة ، حتى انتهكت قوتها ، [ص ١٧٥٠] وأن زراعة الأذرة بطريقة رى الأرض مرتين قبل الحرث والتخطيط ، خطأ ، وأن الأحسن ريها ، ثم تنبيتها ثم حرثها مع تخطيطها ، ثم ريها خفيفا ، ثم زرعها .

وقد نمت نوما هادئا .

فى ٢٣ منه

لا شىء يستحق الإثبات ، سوى أن الدودة اشتدت ! فإنها فقست ، ورعت أوراق القطن ، ودخلت فى ازهاره ، وقلت الأنفار ، وزادت أجورها الى حد يشق احتماله !

وكلما تصورت هذه الحالة ، ضاق صدرى ، خصوصا عندما أشعر بأن ذلك نتيجة إهمال العمال ! فقد كانوا يجيبوننى ، كلما سألتهم : إن الحالة حسنة ، وإنه لا خوف هناك ! ولقد كان الناظر يقول ذلك ، حتى أكد أمس أنه لا ضرر منها ، لأن اللوز الموجود

٢٥٠٠
يتساقط ثلثه على الأقل ، فلا بأس أن تعلق الدودة به ! فقلت : إنها إذا علقت به زاد ما يسقط عن الثلث ! ، فبهت ، وسكت !

وقد اشتد ألم رجلى من العقب ، فلا أستطيع المشى عليه . وعندما أقوم من النوم خصوصا يصعب أن أمشى كالعادة ، فأمشى عرجا . وأظن أن هذه الحالة لها ارتباط بالوقعة ، لأن حركة الرجل عسرة ، خصوصا عند النزول من أعلى . وينبغى أن أستشير فى هذه الحالة طبيبا .

وأشعر الآن بخفقان فى القلب أكثر من السابق ، وبسرعة الانفعال عندما يقع ما يخالف رغبتى ، ولو كان بسيطا . أللوحدة دخل فى هذا أم هو عرض آت من سبب آخر ؟ الله أعلم .

فى يوم ٢٤ منه

وضعت أمس مساء على ركبتى وعقبى لبخة ساخنة من حب ممزوج بملح ، وأصبحت مستريحا من الألم ، ومستطيعا أن أمشى بغير نشر شديد ، وخف الألم نوعا . وبت ليلى مفتكر فى الدودة وطريقة إبادتها ، أعاننا الله عليها .

[ص ١٧٥١]

فى ٢٥ منه

بلغت الأنفار الذين جمعوا اليوم عدد ٢٥٦ نفر ، والله المستعان .

وجدنا دود اللوز فى بعض اللوزات . وقانا الله شر ما لا نعلم وما نعلم !

من ٢٦ منه لغاية ٢٨ منه

لم يحدث فى هذه المدة ما يستحق الإثبات غير زيادة عدد نقاوة الدودة الى أكثر من ثلاثمائة ! ثم خفت وطأتها ، وأمكن التغلب بالكثرة عليها ، ولا يحدث منها الآن الا قليل . وقد أشار البعض بوضع الغاز فى مياه الرى ، ففعلنا ذلك من أمس ، حيث ابتدأنا فى الرى ، وقللنا عدد الأنفار الى مائة .

بعد أن ماطل عمال مكينة الدراس فى الحضـور عقب إرسال هذه الماكينات ، ولم يقبلوا أن يشتغلوا الابكيلة عن خمسة أرادب - عادوا فطلبوا أن يكون معهم نفران على الأقل من طرف الزراعة ، وأن يُكنس لهم الجرن ، ويجهز محل وضع الغلال بأنفار من الزراعة . ولما كان هذا ما مخالفا - كما أكده سباعى بيك - رفضناه ، ونؤكد على العمل بالطريقة العادية ، واستردوا ماكيناتهم اليوم .

من ٢٩ منه لغاية يوم ٢ يوليو

لم يحدث سوى ورد تلغراف أمس من زراعة دسونس ، يفيد أن نقاوة القطن تركوا الزراعة ، لبلوغ الأجـرة فى الجيزة ٤ قـروش - ولعلها الجيرة بدل الجيزة .

وقد عرضت عينة من الغلال على تجار زفتى ، فلم يتجاوز الثمن ٢٨٠ قرش ، واشتدت الحاجة إلى النقود ، حتى لم يعد عنـدنا الا مبلغ زهيد !

فى ٤ يوليو سنة ١٩١٧

قد بلغ الثمن ٢٩١ قرش والأحسن بيع جزء على الأقل ، لأن

الغلال ربما نزلت أسعارها قريبا . وقد كنت طلبت من البنك الأهلى سلفة أربعمائة جنيه ولكن ما لبثنا واستغنينا عنها ، وهو الأحسن .

تبرع عظمة السلطان بسراى الإسماعيلية لجعلها كنيسة كبرى ! ثم تبرع بألف جنيه لبنائها . وقد وقع ذلك أسوأ وقع لدى المؤمنين فى الدين ، حتى الذين لا عناية لهم بالدين .

[ص ١٧٥٢]

فى يوم ٥ منه

أعطى فى الغلة ٢٩١ قرش وقد سمحت بالبيع بهذا الثمن . وخفت وطأة[٣٦٤] الدودة هنا ، ولكن لاتزال فى البحيرة على شدتها .

حكم على فليبيدس[٣٦٥] بالسجن خمس سنين ، وزوجته بالحبس سنة ، فى نظير ما ثبت على كل منهما من الرشوة والتوسط فيها . وقد اهتم الناس بهذه القضية إهتماماً عظيما ، وقابلوا الحكم بالإرتياح لأنهم كانوا يشعرون بفساد سيرة ذلك الرجل ، وقبح إدارته .

---

(٣٦٤) فى الأصل : وطئة .

(٣٦٥) هو جورج فيليبدوس ، مأمور ضبط محافظة القاهرة ، ورئيس المكتب السياسى الذى أنشأه رونالد جراهام مستشار وزارة الداخلية . وقد استغلّ فيليبدوس ومكتبه السياسى فرصة الحرب العظمى للاثراء عن طريق الحصول على الرشاوى والاتاوات من المعتقلين السياسيين وتجار الرقيق الأبيض ، وتلفيق التهم للوطنيين .

لمزيد من المعلومات أنظر حاشيتنا رقم ٦٢ على الجزء الخامس من مذكرات سعد زغلول (ص ١٥٦ - ١٥٩) .

ويلوح لى من المناقشة التى تتداول بين المحكمة والدفاع فى قضية تعذيب البحيرة[٣٦٦] ، ان المحكمة ستحكم على المتهمين فيها . ومن الغريب أنى قرأت ما يدل على اندهاشها من حصول المتهمين على أوراق ثبتت على الادارة الانكليزية[٣٦٧] ، ولما تندهش من حصول هذه الأوامر وصدورها من مصدر انكليزى عال !

ولقد سبق إلى وهم المحكمة أن الذى سلم بعض الأوراق هو مدير البحيرة[٣٦٨] ، لكونها صادرة اليه من المستشار بصفة سرية .

---

(٣٦٦) كانت قد وقعت فى مديرية البحيرة حوادث تعذيب شنيعة جرت على أنواع مختلفة ، فضرب البعض وجلد ، وجوع البعض ، وربط البعض جماعات جماعات بحبل يشده شرطى على جواد ويكرههم على العدو من إيتاى البارود إلى دمنهور ، ومن دمنهور إلى بلاد أخرى . وقد ظهرت آثار الضرب على أرجل نحو أربعين رجلا ومات أحدهم من شدة التعذيب .

وكان محمد محمود باشا فى ذلك الوقت مديرا للبحيرة ، وعندما سمع السلطان حسين بما حدث أمر بإحالة مديرها إلى المعاش فورا ، رغم أن السلطة الانجليزية كانت هى المسئولة .

وقد نظرت محكمة جنايات الاسكندرية هذه القضية ، وحكمت بحبس الحكمدار سنتين مع الشغل ، وعلى مأمور مركز إيتاى البارود بالحبس البسيط لمدة ثلاثة أشهر ، وعلى بعض ضباط الشرطة بالحبس لمدة سنة ، مع الاحتفاظ بالحق المدنى لأهل الذين ماتوا من التعذيب . وصدر قرار بفصل وكيل نيابة المركز المذكور لأنه شاهد التعذيب وسكت عنه .

انظر : محمد سيد كيلانى : السلطان حسين كامل ، فترة مظلمة فى تاريخ مصر ١٩١٤ - ١٩١٧ ، الطبعة الأولى ١٩٦٣ ، القاهرة ، دار العرب للبستانى بالفجالة) .

(٣٦٧) أى : أدانت الادارة الانجليزية .

(٣٦٨) أى : محمد محمود باشا .

٢٥٠٤

وعندى ان الدفاع ، إذا كان صديقاً لهذا المدير ، فلم يكن له أن يبرز هذه الأوراق ، لأن ذلك يعطى شبه حق للوزارة فى أن تشتد عليه فى المعاملة ، بعد أن لم يكن لها وجه فى معاملته بالطريقة التى يعلم أغلب الناس شأنها .

وأعجبنى دفاع أحمد لطفى .

فى يوم ١٧ منه

لاشىء يبرر سكوتى عن الكتابة فى المدة ما بين هذا التاريخ والتاريخ السابق[٣٦٩] ، لأن فيها حوادث زراعية كثيرة وغير زراعية .

فقد زالت الدودة من هنا بالمرة ، لا أرجعها الله . ولكنها فى البحيرة فقست بسبب شدتها من جهة ، وإهمال العمال من جهة أخرى .

وقد رفتُّ ملاحظ الزراعة ، وأنحيت باللوم الشديد على ملاحظ الادارة ، وعينت ناظرا لها يدعى أحمد أفندى فهمى ، ولكنى رأيت بعد تعيينه أنى أخطأت فيه النظر . ولكن قدر ثم لطف ، فقد استقال من نفسه بعد سبعة أيام من تعيينه ، واستقال معه محمد متولى ملاحظ الادارة ، وقبلها بيوم أنور أفندى محصل[٣٧٠] الزراعة .

وحكاية هذا الأخير أنه استلم ثلاثين جنيه من زراعة مسجد وصيف ، لتوصيلها إلى زراعة الحكومة ، **[ص ١٧٥٣]** فلم يوصل منها إلا ١٥ جنيه ! وادعى ضياع الباقى منه فى السكة

---

(٣٦٩) فيما بين ٥ و١٧ يوليو ١٩١٧ .

(٣٧٠) قراءة تقريبية لأن الكلمة مطموسة .

الحديد ! فلم أقبل منه الا أن يرد المبلغ بتمامه ، فدفعه بعد صعوبة . ولكنى استبقيته نظرا لسابقة ثقتى فيه وفقره . ومع ذلك ، فبعد أن تأكد من عدولى عن محاكمته ، لم يسعه الا الإستعفاء .

يعنى أن ثلاثة من المستخدمين استعفوا فى آن واحد تقريبا ! فأرسلت ناظر زراعة قسم ثان إلى دمنهور ، لمباشرة الأشغال مؤقتا ، وسأبحث عن البدل ، وهو صعب الآن .

كلما مررت بزراعة القطن رأيت أنها غير جيدة ، وأقل بكثير من جارتها . ففيها العالى والواطىء ، والرفيع والكثيف . ولكن الأول أكثر ، وطرفها قليل . ولم أقف على سبب لهذا الخلاف ! وكلما تكلمت ، قيل لى : إنها من أجود الزراعات ! وقد زارها البعض ، وأكدوا ذلك . ولكن مشاهداتى الشخصية تخالف نتيجتها أقوالهم . فإما أن يكونوا منافقين ، أو هم يجهلون ! وأرجو أن أكون من المخطئين .

بعت الجرن الثالث ، وقدره نيف وثمانون أردب ، بسعر ٣٠٠ قرش الأردب . ولما انتهى التاجر من إستلامه ، لم يقبل أن يأخذ الجرن الرابع الا باعتبار ٢٨٠ قرش الأردب . فلم أقبل،للرجاء فى الارتفاع . ولم يزد خوفى النزول ، ولكن الأسعار فى الجرائد على ما هى تقريباً .

قضى الأمر ، وحكم على المتهمين فى قضية تعذيب البحيرة ، وكان لهذا الحكم أسوأ وقع فى النفوس[٣٧١] ولم نعلم لغاية الآن ماذا

---

(٣٧١) واضح أن السبب هو أن الأحكام التى صدرت لم تكن تتناسب مع الجرم الذى ارتكبه المتهمون .

(أنظر حاشيتنا فى هذا الشأن على ص ١٧٥٢) .

٢٥٠٦
قررته الحكومة فى مسألة المدير ؟ وقد اختل الأمن فى مديرية البحيرة أثناء ذلك إختلالا شديدا ، حتى قتل بعض الأعيان فى عزبة من عزبها[٣٧٢] وقت الغروب . .

وقد سألت مستشار الداخلية ، الذى صادفته فى القطار مرة ، عن حالة الأمن ؟ فتميع وتلعثم[٣٧٣] ، وحاول تحويل الكلام ، ثم قال : إن ذلك يتعلق بالتربية العامة فى البلاد ! ونصحنى أن أقرأ تقرير المستشار القضائى ! .

إشتد مرض رجلى مع العقب نوعا ، وبحث الحكيم ، فقرر وضع شىء فى الجزمة لعدل الرجل ، وأن ينتهى الصانع من صنع ما وصى به . والصانع[٣٧٤] انجليزى متعجرف جاف ، كأنه لم يتحضر إلا بين البدويين ! ولكنها الآن أحسن من قبل نوعاً .

سافرت الست أمس صباحا ، لورود تلغراف عليها من أختها زكية ، باشتداد المرض على عمتها عائشة .

ألحَّ محمود باشا والسباعى بدراوة الغلة على الماكينات . أكد الأخير أن تكاليفها لا تزيد عن تكاليف الدراوة الإعتيادية .

ولكن أربابها اشترطوا شروطاً أصعب من شروط المدراوية ! فرفضت المكينات .

[ص ١٧٥٤]

ولكن يظهر أن صدقى باشا فهم أن الرفض مقصود للإضرار

---

(٣٧٢) فى الأصل : عزبة .
(٣٧٣) قراءة ترجيحية .
(٣٧٤) فى الأصل : الصائع .

٢٥٠٧

بزراعته ، من جهة وقوع ما يتطاير بالدراوة على زرعه . وليس هذا بأول فهم سىء ، ولا آخر ظن فاسد . وقد بنى على هذا منع مرور المستأجرين عندنا من أرضه ، مع أن مرورهم لا يضره ، لعدم وجود زرع على جانبى الطريق ، ولكن هذا مر (. . .)[٣٧٥] .

فى ١٩ منه

أفهمنى نحاس[٣٧٦] الكاتب أن له قريبا ، كان ناظر زراعة بطرف زراعة سيف الدين ، تحت وصاية الأمير عمر طوسون . فأمرته أن يحضره ليرينى إياه .

وحضر الشيخ محمد المغربى ، وعرض على تعيين شخص يدعى سليمان زغلول ، فأبيت ، لأنه لم يسبق له خدمة لدى الغير ، ولأنى لا أريد أن أقبل وساطة هذا الشيخ فى شىء من أعماله .

جردنا[٣٧٧] الجرن الثالث ، فإذا هو ٧٧ أردب ، غير الثمانية أرادب التى كيلت للمزارعين . فأمرت بختمه ، وابقائه فى الجرن تحت بيعه .

غدا سيكون يوم العيد الصغير ، وسأمضيه هنا فى العزبة ، كبقية الأيام .

تعودت الوحشة ، ووجدت فيها أنسى . ونفرت من الإجتماع ، ووجدت فيه وحشتى ! وكلما رأيت من نفسى ميلا للعب ، نهرتها ، وأثنيتها عن هذا الميل بعنف شديد .

---

(٣٧٥) كلمة غير مقروءة .

(٣٧٦) قراءة تقريبية .

(٣٧٧) فى الأصل : « جرنا » .

أصبحت لا أتلذذ بقراءة شىء ، إلا قراءة ما هو مكتوب باللغة الألمانية ! وبعد أن هجرتها زمنا طويلا عدت إلى معالجتها من سبعة أشهر . وقد شُغلت بها ، لا لأنى أجد فيها طلاوة فى اللفظ ، أو سهولة فى التعبير ، أو بلاغة فى القول ، ولكن لأنها صعبة جدا ، وكلما سهلت أمامى ، كلما رغبت فيها رغبة المنتصر فى مواصلة الحرب(٣٧٨) !

[ص ١٧٥٥]

فى ٢٥ يوليو سنة ١٩١٧

فى يوم الأحد ٢٢ منه ، كنت بمصر ، وحضر رشدى باشا ، وتكلم بالتلفون الساعة ٦ مساء بأنه يرغب فى مقابلتى . ولم أكن فى البيت .

فذهبت إليه فى نحو الساعة التاسعة مساء ، فاعتذر عن طلبى ، وعدم حضوره عندى ، بأنه مشغول . وأخيرا أطلعنى على مذكرة ومشروع اتفاق بين السلطان والحكومة الإنكليزية .

ويتضمن المشروع أن حكومة مصر تكون حكومة ملكية مقيدة تحت رئاسة سلطان وراثى ، ووزراء ينتخبهم هو ، ويكون من حقه أن يعطى حق الحكم الذاتى بالتدريج ، وأن لا يكون له وكلاء فى الخارج(٣٧٩) ، ولكنه يقبل وكلاء الدول الأجنبية . وأن يكون للدولة الحامية الحق فى أن تحتل أى نقطة من الديار المصرية ، على

---

(٣٧٨) باقى الصفحة باللغة الألمانية ، وهو أربعة أسطر .

(٣٧٩) أى : سفراء . ومعنى ذلك أن المشروع يتم فى اطار الحماية البريطانية على مصر .

مصاريف من طرف الحكومة المصرية ، لا تزيد على مبلغ معين . وأن يكون منها سردار الجيش ، والمستشار المالى ، الذى يكون له حق الحضور فى مجلس الوزراء . ولا يصرف شىء من شأنه تنقيص مال الحكومة إلا بـإذنه . ومستشـارون فى كل وزارة يكـون من حقهم الشـورى لا التنفيذ . ولا تُعين الحكومـة للوظائف الفنيـة إلا من الإنكليز ، ولا تنفذ أى قانون لم تصدق عليه الجمعية التشريعية .

هـذا خلاصـة المشروع - عـلى ما أذكـر - وقـد قـال - قبـل قراءته -: إن الآراء مختلفة فيها إذا كان من المناسب الآن طرق هذا الباب ، أو ارجاء الأمر إلى ما بعد الحرب ؟

وأصحاب الرأى الأول يقولون : إن الإتفاق الآن أحوط ، لأنه ربما انتهى الأمر للحلفاء ، ولا يكون لمصر نصيب فى أن تنال صيغة ما يمكن أن تناله الآن .

وأصحاب الرأى الثانى يقولون : إن الاتفاق الآن يكون هربا من عرض مسئلة مصر على مؤتمر الصلح ، لأنه مادام الاتفاق قد تم بينها وبين الحكومة الانكليزية ، فلا وجه لأن يبحث المؤتمر فى شأنه .

فيرد عليهم أصحاب الرأى الأول بأنه لا يليق بسلطان تعين من الانكليز ، أن يبدى مطالب ضد الانكليز فى مؤتمر الصلح ، لأن ذلك يكون خروجا عن حد اللياقة !

فقلت لرشدى : إن اللياقة وعدمها لا تدخل تحت حياة الأمم ! وإذا أمكن لأى سلطان أن يفعل ذلك ، فلا حرج عليه .

وبعـد أن تلى عـلى المشـروع والمـذكـرة التى وضعهـا بشـأنـه [ص ١٧٥٦] وفيها مدح للحمـاية ، وافتخـار بجعل مصـر

٢٥١٠

سلطنة مما يعلى شأنها فى البلاد الاسلامية ! قلت[٣٨٠] له : إن هذا المشروع غير موافق ، وأساسه باطـل ، لأن الاعتماد عـلى سلطان تنتخبه الوراثة ، واعطاء كل الحقوق له ، فيه مقامرة بحقوق البلد ! والأحسن أن يتقيد من الأمة بجمعية يكون حقها أن تنظر فى الشؤ ون برأى قطعى .

قال : ويكون لهـا مسئوليـة الوزراء . قلت نعم . قـال : أو ترضى بذلك .

قلت : نعم ، ولماذا لا يكون فى أعضاء هذه الجمعية من هو أهل[٣٨١] كالوزراء ؟

ثم قلت : إنه لا معنى لأن تحتل الأمة الإنكليزية أى قطعة من أرض مصر ، مادام غرضها حماية القنال . فالأحسن أن لا تحتل إلا هذه النقطة . قال : يمكن أن يقال ذلك .

قلت : ولامعنى لأن يكـون السودان لهـا ! وكـذلـك سلطة المستشار المالى واسعة ، ووجود المستشارين لا معنى له ، ولا يمكن أن يتقيدوا بالقيود التى توضع لهم ، لأنه مشروط فى المذكرات التى تقدمت عند تعيينهم – وعلى الأخص فى المذكرة التى قدمها نوبار

---

(٣٨٠) فى الأصل : « فقلت » .

(٣٨١) قراءة تقريبية .

٢٥١١.

باشا للخديوى عند تعيين جورست مستشارا للداخلية(٣٨٢) – أن

---

(٣٨٢) يقصد وزارة نوبار باشا التى تشكلت فى ١٠ يناير ١٨٨٤ خلفا لوزارة شريف باشا ، وكان نوبار باشا على الرغم من اعتقاده بضرورة استمرار الوجود العسكرى البريطانى ، إلا أنه كان يعارض سيطرة الادارة الانجليزية على الادارة المصرية . وكانت سلطة المديرين بعد الاحتلال مغلولة بسبب سيطرة مفتشى الداخلية الانجليز على أعمالهم . ونظام التفتيش هذا أدخله الانجليز على إدارة الأقاليم يهدف السيطرة على النظام الادارى المحلى وتسيير دفة الأمور فى الأقاليم وفقا للمصالح الانجليزية ، من وراء ظهر الادارة المصرية ! وكانت الحكومة البريطانية فى بداية الاحتلال قد طالبت بتعيين موظفين انجليز فى وظائف مديرين ومحافظين وغيرهم من حكام الأقاليم ، ولكن الحكومة المصرية عارضت فى هذه السيطرة المباشرة ، ولم تصر الحكومة البريطانية على هذا الطلب ، ورأت فى تعيين مفتشين انجليز للمديريات بديلا يكفل لها السيطرة ، وقد تمكنت من فرض هذا النظام بعد تعيين كليفورد لويد Cliford Lloyd فى منصب وكيل نظارة الداخلية فى ١٥ يناير ١٨٨٤ ، وكان مشروعه يقوم على جعل البوليس المصرى تحت اشراف مفتش عموم البوليس البريطانى ، مما أثار أعضاء الوزارة القائمة برئاسة نوبار باشا الذى كان ناظرا للداخلية ، الذين أدركوا أن هذا المشروع يجعلنا مستعمرة بريطانية فعلا وليس اسما ، فقد كانت سلطة مفتشى الداخلية الانجليز التفتيش على أعمال المديرين وغيرهم من رجال الادارة . إلى جانب التحقيق والتحريات السرية عن كل الموظفين الذين يعملون تحت اشراف المدير أو المأمور ، ومن حقهم الاطلاع على جميع ملفات الادارة التى يتوجهون للتفتيش عليها ، ومن حقهم الإنفراد بتلك الأعمال جميعا دون اشراك المدير أو رجال الادارة ، ويقومون برفع تقاريرهم إلى وزير الداخلية مباشرة ، ويتلقون أوامرهم من مفتش عموم البوليس الانجليزى .

وقد كان نتيجة هذا النظام أن تزعزع مركز المديرين والمحافظين ومأمورى المراكز ، فساءت حالة الأمن ، وانتشرت الجرائم فى البلاد ، مما اضطر وزارة نوبار إلى اصدار قرار فى أغسطس ١٨٨٤ يقضى باخضاع إدارة عموم البوليس لنظارة =

لا يكون له رأى تنفيذى ، ومع ذلك كان له ولخلفائه كل الرأى ! ولما تعين هنس[٣٨٣] مستشارا ، قلت : إنك تضعه فى جيبك ، وهو الذى وضعك فى جيبه ! حتى إنك لا تستطيع أن تفعل شيئا فى تعيين عمدة[٣٨٤] ، ولا فى مسئلة محمد باشا محمود[٣٨٥] .

قال : تأمل فى المسئلة ! قلت : أعطنى المذكرة ! فقال : سأبعثها إليك . وتفارقنا

فى يوم الجمعة ٢٧ منه

توجهت إلى إسكندرية ، وتقابلت مع عدلى باشا فى منزله ، وتكلمنا فى المسئلة الآنفة ، فقال فى سبب الإشتغال بها الآن : إن السلطان كان يريد أن يفصل هنز ، وكان يشتكى من الضغط عليه ، فقال له رشدى : إننا عوض أن نشكو من مسئلة شخصية ، يلزم أن

الداخلية ، وسميت بقسم الضبط والربط ، وأيضا باخضاع أجهزة البوليس فى الأقاليم للمحافظين والمديرين والمأمورين .

غير أن مفتش عموم البوليس الانجليزى ، ظل يستأثر بسلطته على البوليس كما كان من قبل ، فاضطربت الأمور من جديد ، واضطرت سلطات الاحتلال الاستجابة لطلب الحكومة بإلغاء وظيفته ، والاستعاضة عنها بمستشار انجليزى لنظارة الداخلية ، على ألا يكون له رأى تنفيذى .

(انظر : د. طلعت اسماعيل رمضان : الادارة المصرية فى فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢ دار المعارف ١٩٨٣) .

(٣٨٣) يقصد : هينز .

(٣٨٤) يقصد : تعيين محمد بك حتاتة .

(٣٨٥) يقصد أن السلطان فصل محمد محمود باشا من منصبه كمدير للبحيرة بسبب قضية التعذيب ، رغم ما ثبت من أن السلطة الانجليزية هى المسئولة عن التعذيب . وكان هينز هو مستشار الداخلية .

٢٥١٣
نطلب طلبات مبدئية[٣٨٦] فيما يتعلق بالنظام الذى نسير عليه ! فقال : إفعلوا ذلك ! ومن هذا العهد ونحن مشتغلون .

قلت : ولكن المشروع غير وجيه !

فأخذ يسنده ، وأنا أعارضه ، إلى أن وصلنا إلى إختصاصات الجمعية التشريعية ، فبعد أن نازع فى توسيعها بالمعنى الذى أريده ، ودافع عن المشروع ، وانفحم[٣٨٧] – قال : إنى من رأيك ، وإن الأحسن أن تكون المراقبة على الحكومة من الجمعية [ص ١٧٥٧] وإن رشدى مال إلى هذا الرأى أخيرا ، وإن المستشار المالى لا يكون له من السلطة إلا ما كان لصندوق الدين .

ثم قرأ لى المذكرة التى قدمها شريف باشا . بخصوص إلغاء المراقبة الثنائية ، وإحلال المستشار المالى محلها . فوجدته متضمنا[٣٨٨] أن هذا المستشار لا حق له فى أن يحضر مجلس النظار ، إلا إذا طلب ذلك هذا المجلس ، وأنه لا يعطى إلا رأيا إستشاريا فقط ، ووظيفته مؤقتة .

وفيما يختص بالحربية ، قال : إنى محتار فى أمرها لأنى غير خبير بها ولا أقدر على وضع صيغة تفى بمرامنا ، وليس فينا[٣٨٩] خبير يرشدنا .

وقد قلت له : الأحسن أن لا نعرض إلا أن تكون[٣٩٠] .. ية ، ولا يكون للإنكليز سلطة عليها ، وننتظر ما يعرضونه !

---

(٣٨٦) أى تتعلق بالأسس العامة .

(٣٨٧) انفحم أى تحمس بشدة .

(٣٨٨) فى الأصل : « متضمن » .

(٣٨٩) قراءة اجتهادية .

(٣٩٠) أى الحربية .

وبالجملة ، فقد وجدته متفقا معى . وما عرفت سبب التشدد الأول ، والتوافق الثانى[٣٩١] !

وقالى لى : إن السلطان مريض ، وحالته لا تمكننا من عرض شىء عليه .

وفى اليوم التالى ، توجهت فى أول قطر إلى دمنهـور ، وعدت فيه . وعلمت أن رشدى فيه عند الصعود ، فطلبت فى محطة دمنهور أن أقابله . فقال لى البوليس الذى معه : إن معه أخته . قلت أخبره بما أريد . فراح ، وعاد مخبرا أنه أخبر مصطفى[٣٩٢] ، ليخبره . ثم حضر مصطفى ، وأخبر بأن أخته معه ! قلت : فهمت ! هل أخبرته بنفسك ؟ قال : نعم ! قلت : وماذا قال ؟ قال : قالا : لا ! فبهت واستغربت جدا ، وعزمت على أن لا أراه .

فقابلت عدلى عند ونجت ، حيث دعينا - فيمن دعوا - لتناول الشاى ، وأخبرته بأمر رشدى معى ! وتواعدنا على أن نتقابل عنده ، لأنه كان دعانى للعشاء .

ولما اجتمعت به ، دعانى أن أذهب معه عند رشدى ، فأبيت ، فألح ، وقال : لأجل خاطرى ! فتساهلت ، وتعاتبنا ، واعتذر بأن الخادم تصرف من نفسه ! ولكنى لم أصدق ذلك ، لأن الشواهد ضد هذا ، حتى صرحت بذلك لعدلى . ونويت من ذلك العهد أن أقطع كل علاقة .

ثم تكلمت فى المسئلة ، فوجدته كعدلى ، وقال : لا بأس من

---

(٣٩١) أى لم يعرف سعد سبب معارضة عدلى فى البداية وموافقته فى النهاية .
(٣٩٫٢) الخادم .

قبول أن يكون للانجليز قوة على الحدود، وأن تكون السردارية[٣٩٣] لهم . فنازعت فى ذلك ، وأصررت على أننا لا نعرض من ذلك شيئا . ثم قلت أخيرا : إن الأفكار التى تبدّى الآن ليست قطعية ، والمسألة تحتاج إلى تأمل طويل ، وتدقيق .

ثم تكلمنا فى الوراثة وقرأ علينا المشروع الذى كانوا أعدوه[٣٩٤] لذلك ، وقال : إنه لا يجرؤ[٣٩٥] أن يعرضه على السلطان الآن خشية تأثره .

ويتضمن المشروع المذكور أن السلطة تكون للسلطان الحالى ، فبكر أنجاله ، فمن يلى البكر . فإذا لم يكن له ذرية ، فلأخيه فؤاد ، [ص ١٧٥٨] ثم لذريته . ثم ليوسف كمال ، ثم لذريته . ثم للأمير[٣٩٦] عمر ، ثم لذريته .

وشعرت من عدلى أنه لم يكن يساعد لترك المسئلة حتى يتعين خلف للسلطان بإرادة انكليزية ، ويريد إصدار أمر بهذا المشروع . وشعرت أنه يميل إلى فؤاد ، وبعد أن كان يذمه أصبح لا يقول شيئا فيه . ورشدى كان أقل منه ميلا وتحفظا .

وقد تكلمت فى مسئلة محمد محمود ، وفى الظلم الذى وقع عليه[٣٩٧] ، وسوء مايراه . ولما فهمت أن الذى سيخلفه هو

---

(٣٩٣) أى قيادة الجيش .

(٣٩٤) فى الأصل : عدّوة .

(٣٩٥) فى الأصل : لا يجرأ .

(٣٩٦) الأمير عمر طوسون .

(٣٩٧) يقصد فصله من منصب مدير البحيرة ظلما رغم مسئولية مستشار الداخلية الانجليزى .

إبـراهيم حليم ، [. . .][٣٩٨] ، فقال رشـدى : إننـا نعينـه فى البحيرة لأنه صعيدى ! قلت : وهل يليق بناظر داخلية أن يرقى مديرا لأنه صعيدى ؟ وانصرفنا .

ورأيت عدلى يدافـع نوعـا عن نظار[٣٩٩] الحكـومة وعليهم الرئيس ، لأنهم يحققون[٤٠٠] رغبات الانجليز . قلت : كل ذلك لأن نظام البلد يقضى بالاستعباد .

وبالجملة ، فلم أعجب بعدلى هذه المرة كثيرا . واستخلصت من مجموع الأحاديث أن فائدته تفوق كل الفوائد .

فى ٣١ يوليو سنة ٩١٧

لم يحدث ما يستحق الإثبات ، سوى أن عبد الله شريف زارنى أمس ، وأخذ يبالغ فى مدح الزراعة بما يشبه أن يكون ملقا !

إذا كانوا[٤٠٣] يريدون من التداخل فى الجيش ، ومن وضـع قوى على الحدود ، أن يتقوا مخاوف ، ليس فى الماضى ما يؤيدها ،

---

(٣٩٨) كلمة غير مقروءة .

(٣٩٩) قرأءة اجتهادية لأن الحبر جف من القلم .

(٤٠٠) قراءة تقريبيـة .

(٤٠٣) أى الانجليز ، وسعد زغلول هنا يفكر فى مشروع الاتفاق ، ويبدى رأيـه ، ونلاحظ أن هـذا الرأى هـو الذى أدلى بـه فى مقابلة ١٣ نـوفمبر ١٩١٨ المشهورة .

فانه يمكنهم أن يزيدوا فى القوة التى تكون لهم على ضفاف القنال ما شاءوا الزيادة ، ويحركونها عند الحاجة أينما شاءوا ، وكيفما شاءوا .

فى يوم أول أغسطس

مررت بزراعة قسم ثالث ، فوجدت القطن جيداً ، وربما كان أحسن من قطن القسمين . ولم أجد فى زراعات الأهالى التى مررت بها أجود من قطن عبد المطلب، ولكنه - على جودته - لا يعلو قطن قسم ثالث .

لا تصادق من لايرى لك فضلا فى مصادقته ، ولا تعارض من لا تقدر على معارضته ، وعش فى الناس على حذر ، ولا تعاند من إذا قال فعل .

[ص ١٧٥٩]

فى يوم ٢ أغسطس سنة ٩١٧

يظهر من قرائن الأحوال أن الصلح سيتم بين المتحاربين على إرجاع الأحوال إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، ويتفرع على ذلك أن لا ضم ولا غرامة ، وعليه تعود مصر إلى تبعية تركيا ، أو تستقل إذا استقل غيرها من البلدان التى تحت الحكم الأخير .

ويلوح لى أن شروع رشدى وعدلى فى الإتفاق مع الإنكليز الآن ، إنما الغرض منه إفهام الدول المناظرة لانكلترا ، بأن مصر متفقة معهم ، وراضية بحكم حمايتهم ، فلا معنى لردها للترك ، أو استقلالها !

يؤيد ذلك : أولا ، ما تكرر التحدث فيه فى هذه الأيام من بناء

الصلح على قاعدة عدم الضم والغرامة ، وأصبح الانكليز يقولونه ويكررونه بعد الروسيا والرئيس ولسن .

ثانيا : أن الروسيا أبدت اعتراضاتها على الإنكليز فى خصوص أشياء ، منها مصر واستيلائها عليها .

ثالثا : الشروع فى استقلال ايرلاندا .

رابعا : كون رشدى إنكمش نوعاً ، عندما أجبته بأنه لا مفر[٤٠٤] من كون سلطان مصر يطلب من المؤتمر ، الذى ينعقد للصلح ، أن تكون مصر مستقلة ، لأنه لا حياء فى حياة الأمم .

خامسا : إنه بعد أن كان رشدى يعد عدم إمكان الحكومة تنفيذ ما لا تصدق عليه الجمعية التشريعية من القوانين ، كافيا فى الاتفاق مع الانكليز ، عدل عن رأيه إلى وجوب أن يكون الدستور تاما .

وكذلك عدلى ، بعد أن امتعض من اعتراضاتى على المشروع الأول ، قال إنه متفق معى ، وهذا رأيه !

والحاصل أنى أظن أن هذين الرجلين مسخران ! ولقد جرى ذكر الأمير فؤاد فلم يقل عدلى لى شيئا فيه - كما سبقت الإشارة إليه . .

فى ٣ أغسطس سنة ٩١٧

قد عينت الشيمى خطابى بصفة ملاحظ زراعة وإدارة فى عزبة دسونس مؤقتا تحت التجربة ، بماهية قدرها ثلاثمائة قرش . وأمرت

---

(٤٠٤) قراءة تقريبية .

أن يسلم إليه عشرون جنيه لا غير دفعها إلى محمد أحمد ، والصرف منها ، وأن يذهب اليوم إلى محل شغله .

ولابد أن يقع ذلك موقعا سيئا عند صدقى باشا ، ولكنى لم أبال بهذا ، لأنى لم أقبل عذره بعد خروجه مباشرة من عندى ، ولأنه سلك سبيل المعاكسة حتى لم يدع مستأجرى[٤٠٥] أرضنا يمرون من طريقه ، مع أنه لا شىء بمزروع بالقرب منها .

[ص ١٧٦٠]

تغذى معى عبد الله شريف أمس ، وانصرف الساعة ١ بعد الظهر . ورأيته يذم حتى أقرب الناس إليه ، ويفاخر بأبيه ، ويوهم أنه من ذوى النفوذ ، وكان له شأن مع الخديوى السابق !

لولا جهل الناس بعضهم ببعض لنفر كل منهم من أخيه ! وتعذر أن يكون فيهم نظام ! ولهذا يخيل للإنسان أن الأجيال السابقة كانوا أحسن من الحاضرة ، وأن الأمم التى لا يعرفها خير من التى يعرفها ، وأن أمته ليست متينة فى الأخلاق كغيرها .

من خان غيرك يخنك .

فى ٤ أوغسطس سنة ٩١٧ الساعة السابعة صباحا

انتهى زرع الأذرة التى على ذمة الأوسية ، وأرسلت ٢٠ عشرين نعجة إلى دسونس .

كثر الضباب فى الجو وزرع بالأمس خيار وسبانخ وجرجير وبصل فى الجنينة الصغيرة . وقد نبهت بأن كل خضار يشترى من

(٤٠٥) فى الأصل : مستأجرين .

السوق يخصم ثمنه من ماهية البستانى ، لأنه تسبب فى هذا الشراء بإهماله !

ابتدأ رى القطن بمياه الراحة .

فى ٥ منه الساعة الثامنة صباحا

لم أنم الليلة الفائتة جيدا . وقد شعرت بملل من الإشتغال باللغة الألمانية ، ولكنى أتعشم أن ذلك لا يكون إلا مؤقتا . وبعد هذا قرأت فى الأجرومية بعض دروس ، وفى بعض كتب المطالعة شيئا من الحكايات .

أتمنى الآن لو يكون لى ولد ، وأن أبنى بواحدة[٤٠٦] من الفلاحين أو غيرهم ، ويشغل هذا الفكر بالى ، ولكن تحقيق هذه الأمنية صعب ، لأنى أريد أن يكون ذلك سرا ، وذلك من المستحيل تقريبا . فالأفضل ترك هذا الفكر من أصله .

فى ٦ منه فى الساعة عينها

إستغربت من لطفى[٤٠٧] أن يسكت عن الكتابة إلىّ ، بعد ما اتفقت معه من عشرة أيام على ذلك ! وأنه يجمع المواد اللازمة لتعليل المطالب التى يرغب المصريون تحقيقها . ويتفق مع

---

(٤٠٦) أى : أتزوج واحدة . وهذه أول مرة يعبر فيها سعد زغلول عن رغبته فى انجاب ولد ، ولم تكن زوجته السيدة صفية زغلول تنجب . كما أن هذه أول مرة يبدى فيها رغبته فى الزواج بثانية . ونلاحظ أنه فكر فى الزواج بفلاحة مصرية ، حيث كان يريد أن يبقى زواجه سرا .

(٤٠٧) يقصد بلطفى : أحمد لطفى السيد .

عبد العزيز[٤٠٨] على اليوم الذى يتفرغ فيه لدرس هذه المطالب (. . . .)[٤٠٩] .

[ص ١٧٦١]

تطلب جريدة الإجيبسيان غازيت وضع الأحكام العرفية فى مديرية البحيرة . وهذه الأحكام عبارة عن توقيف القوانين ، والحكم فى الناس بما تقتضيه الأحوال فى كل مسئلة ، بحسب ما يناسبها !

فانظر إلى قوم لا يتحملون أن يخالف القانون فى مسئلة واحدة خطأ للأمن العام ، ثم يطلبون هم بأنفسهم أن تعطل جميع القوانين فى كل المسائل باسم هذا الأمن !

نعوذ بالله من فرض القوة ، ومن قوة الفرض .

ما رأيت الحكومة عملت عملا منطقيا أكثر من تعيينها إبراهيم حليم مكان محمد محمود مديرا للبحيرة . ولا عملا مفارقا أكثر من تعيين إبراهيم فتحى محل إسماعيل صدقى !

فى ٧ منه

لا يزال رى الأرض جاريا ، وهو ضعيف بحيث لا تعلو المياه المصاطب .

حضر أمس حسن أبو النصّر ، وحكى لى أن المأمور تعداه ، لأن عائلة الفار وعدته بمبلغ خمسمائة جنيه ، إن هو عزله من وظيفته ،

---

(٤٠٨) يقصد بعبد العزيز : عبد العزيز فهمى .

(٤٠٩) كلمة مطموسة بالحبر .

وعين واحدا منها مكانه . وتوصلا لهذه الغاية أغروا جماعة أن يتهموه بأنه تناول رشوة منهم ، وحققها سرا ، ثم حولها على النيابة . وانه طعن فى حق المأمور بعريضة قدمها لوكيل المديرية ، طالما لم يجد المدير . ولكن هذا الوكيل لم يتقبل الطعن قبولا حسنا ، وقال له : إن جزمة هذا المأمور أحسن من مركز فوة كله ! فتركه ، وقدم عريضة لمستشار الداخلية .

وقال لى حسن أيضا[٤١٠] إنهم يتهمونه بأنه يعاكس السلطة العسكرية ، وإنه فعل ذلك كله بإرشاد فتح الله بركات ، الذى أبى أن يظهر بمظهر المساعد ، فلم يتكلم مع المدير ، ولكنه أحاله علىَّ لأرى طريقة تنجيه من هذه التهمة ، وتقيه شر الإيقاف أثناء التحقيق .

فاستغربت ، وأظهرت استغرابى من كون فتح الله بركات يغريه بالطعن فى المأمور بأمور تافهة ، لا تؤثر فى المأمور - إن صحت - إلا أثرا ضعيفا ، وأغلبها لا شأن له - أى للطاعن فيه ! واستغربت - أكثر من ذلك تنحية عن مساعدته عند المدير ! واستغربت أكثر من كونه لم يرد هو أن يكلمنى فى شأنه .

كل هذه معَمَّيات لا أرى توضيحاً لها .

وقد كتبت للمدير خطابا أرجو منه أن يعير هذه المسئلة جانبا من التفاته . ولكنى لا أدرى إن كان المدير يعمل بهذا الخطاب ، أو أنه يمكنه العمل به ، وأخشى أن يكون أثَّر فيه الشكوى للمستشار من غير إعلامه .

---

(٤١٠) قراءة اجتهادية .

[ص ١٧٦٢]

ومما لاحظته من حسن أبو النصّر أن التهمة لها أثر من الصحة ! وأنه كان يتجنب اجتماعه بفتح الله باشا فى مصر . ولكنه كلما كان يصرح بما يدل على هذا الإجتماع ، ويشعر بأنى لاحظت ذلك ، يؤوله ! مع كونه يؤكد - فى الوقت نفسه - أنه لم يفعل شيئا الا بارشاد ! فعِبتُ هذا الإرشاد(٠٠٠)(٤١١)

فى ٩ منه

ذهبت إلى دمنهور أول أمس ٧ منه ، ورأيت الأحوال جارية على العموم كما ينبغى . وتقابلت - فى الذهاب - مع إسماعيل شرين ، وأمين الرافعى ، وجرى الحديث فى موضوعات شتى . وفى العودة مع كل من علام باشا مدير أسيوط ، وهلباوى ، وعلى بيك المنزلاوى ، وجرى الحديث فى موضوع الحرب ، وقضايا التعذيب . وكلٌ ذهب إلى ما يراه . ولم أجد فى الحديث شيئاً خاصاً .

ثم تقابلت فى مصر مع إبراهيم سعيد باشا ، ولطفى السيد ، ولم أعلم منهما شيئاً جديداً .

وقد رأيت لطفى حضًّر مشروع طلب من السلطان فى قضية

---

(٤١١) عبارة غير مقروءة فى كلمات كثيرة مفككة ، ولا تؤدى قراءتها إلى معنى واضح ، وهى على النحو الآتى :

« ولقد تبين الآن أن سؤاله عنى لم يكن ليحضر عندى ، ولكنه إما أن يكون يرو غير اباطيل أو يرسل حسن غدا إلى . والله أعلم » .

لذلك آثرنا نقلها من المتن إلى الحاشية حتى لا تسىء إلى السياق ، مع الحرص على اثبات اجتهادنا فى قراءتها .

مصر ، ابتدأه بمقدمة جميلة أفضل بكثير من المقدمة التى وضعها رشدى ومن معه .

وقد تناقشنا فى موضوع الطلب ، وحصل تعديل فيه من بعض الوجوه . وما استقر عليه الرد هو :

أن تكون الحكومة دستورية ، بأن يكون لها سلطان وراثى ، يدير الشئون بواسطة وزارة ينتخب أعضاءها ، ومجلس نواب تنتخب الأمة أعضاءه ، ويرجع اليه الأمر فى التشريع ، ومسئولية الوزراء . وأن يبقى الموظفون الانكليز فى وظائفهم حتى تخلو منهم ، ومتى خلت يعين فيها مصرى . وإذا احتاجت الحكومة إلى موظف ملكى أو عسكرى أجنبى ، فلا تختاره إلا من أكفأ الانكليز .

وتبقى وظيفة المستشار المالى على الإختصاص التى تضمنته المذكرة المقدمة من شريف باشا بتاريخ(. . .)[٤١٢] الخاصة بإنشاء هذه الوظيفة على ما اتفقت[٤١٣] عليه الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية من اعطائه اليه من اختصاصات صندوق الدين[٤١٤] عند إلغائه .

---

(٤١٢) بياض فى الأصل .

(٤١٣) فى الأصل : اتفق .

(٤١٤) كان صندوق الدين مراقبا للإيرادات ما بقى الدين العام ، وقابضا - بالتالى - على سياسة الضرائب العقارية ، ومراقبا تنفيذ الاتفاقات والمراسيم والبروتوكول والفرمانات (د. عبد العظيم رمضان : صراع الطبقات فى مصر ١٨٣٧ - ١٩٥٢ ، ص ٣٤ - بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨)

وكان صندوق الدين قد نشأ فى ظروف الأزمة المالية فى عهد اسماعيل وضغط الدول على مصر ، فصدر أمر الخديوى فى ٢ مايو ١٨٧٦ بانشاء لجنة يقال لها =

وأن يكــون رئيس أركـان الحــرب فى الجيش المصــرى من الإنكليز .

وأن يكون لحكومة الانكليز الحق فى أن تحتل القنال والمــدن الثلاث التى عليه ، وهى : بور سعيد ، والسويس ، والإسماعيلية للدفاع عنه ، إذا ضيق(٤١٥) ، حصل الإعتداء عليه ، وأن تتكفل مصر بالدفاع عن نفسها(٤١٦) بجيشها الخاص . وعند الضرورة [ص ١٧٦٣] فتمدها الحكومة الانكليزية بجيوش من عندها .

وأن يكون لمصر الحق فى أن تعقد مع الدول الأجنبية المعاهدات التجارية دون سواها ، ولا يكـون لها ممثلون فى الخـارج الا وكلاء انكلترا(٤١٧)

وقد وعدته أن يحضر اليوم إلى هنا لأن يقضى بعض وقت من أوقاته . فأجاب . وسيحضر اليوم آخر النهار .

وقد حضر فعلا مع سعيد ، الذى كنت طلبت منه ذلك ، فقبل بعد تردد . ولم يلبث الا ليلة ثم عاد فى اليوم التالى ١٠ منه(٤١٨) .

=« صندوق الدين » تشكل من مندوبى الدول ، ويعهد إليها إدارة شئون الدين المصرى ، وتدبير ما يلزم لانتظام تسديده .

(أحمد صادق موسى : تاريخ الدين المصرى العام المالى والسياسى ، المطبعة الفخرية ١٩٤٤ ، الدكتور أمين مصطفى عبد الله : تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، (مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤) .

(٤١٥) هكذا تقرأ ، والمعنى : ضُيق عليه ، أى حوصر أو هدد .

(٤١٦) فى الأصل : « نفسه » .

(٤١٧) هذا النص فى تحليلنا معناه أن مشروع لطفى السيد يقبل بالحماية البريطانية !

(٤١٨) قراءة تقريبية لأن الكلمة مشطوبة .

يوم ١٠ ، ١١ ، ١٢

أما لطفى ، فقد بقى إلى يوم ١٢ منه صباحا حيث عاد على قطار الصباح .

وقد هذبنا المشروع ، وأضفنا عليه أن حكومة مصر تساعد انكلترا فى الدفاع عنها بحصة تعينها[٤١٩] .

وقد جرى الحديث مع لطفى بيك فى موضوعات شتى إجتماعية وأخلاقية ، ورأيته قد تغير نوعاً عن مبدئه[٤٢٠] الأخير ، من اليأس من اصلاح الحال إلى الرجاء فى الاستقبال[٤٢١] ، ومن الإعتقاد باستحالة تغيير حالة مصر الحاضرة إلى إمكان تغييرها .

فى النية أن تحضر من مصر الست اليوم ، بعد أن ذهبت اليها يوم الخميس الفائت ، لكى تحيى ذكرى وفاة والدها بالاشتراك مع اختها . وقد كتب إلىّ صدقى باشا[٤٢٢] يدعونى إلى تناول الغداء عنده مع جماعة من أصحابه لم يذكر أسماءهم يوم الثلاثاء القادم ١٤ منه . فأجبته بأن الأوفق أن يكون الغداء عندى ، لإقامتى هنا . ولما يجب .

فى يوم ١٣ أوغسطس سنة ١٩١٧

حضرت الست من مصر أمس صباحاً فى قطار الصباح ، ورحل لطفى السيد كما ذُكر سابقاً . وأرسلت أمس أيضاً أحمد صالح مع

---

(٤١٩) قراءة اجتهادية ، وقد تقرأ بقيمة تعينها ، أو بقيمة نصيبها .

(٤٢٠) فى الأصل : مبدأه .

(٤٢١) الاستقبال أى : المستقبل .

(٤٢٢) محمود صدقى باشا ، عديل سعد زغلول .

٢٥٢٧

نقود إلى زراعة دمنهور ليسلمها إلى الكاتب ، وينظر الزراعة ، ويتفقد أحوالها ، ثم يعود اليوم .

سيحضر اليوم اسماعيل سرهنك .

كتب إلىّ فتح الله باشا بركات كتابا فى خصوص حسن أبى النضر ، استخلصت منه خوفه من التداخل فى مسئلته حتى مع صدقى . وفى الكتابة مراوغة ، وهو بلا تاريخ . وقد طلب فيه أن يتكلف هو أو صدقى بالذهاب إلى المدير . فأبرقت إليه أمس بأن صدقى فى الصعيد ، وغير منظور أن يحضر قريبا .

حضر لى من يدعى مرشدى عيسى بركات ، وطلب منى أن أكتب إليه خطاب توصية إلى فتح الله باشا بركات ، ليحسم نزاعا بينه وبين من يدعى رشيد بركات ، فأجبته إلى طلبه ، لما لمحته من أدبه وذكائه وطلاقة لسانه . وهو يشبه أباه صورة وملامح(٤٢٣) .

وحضر أيضا عبد الرحيم وهدان ، ثم اسماعيل سرهنك ، ولم يكن منهم ما يستحق الاثبات .

يظهر أن روسيا فى غاية الاضطراب ، وأن حزب العمال فى إنكلترا غير متفق مع الحكومة ، ورئيسه أساء التصرف فى المؤتمر .

---

(٤٢٣) فيما يبدو أن سعد زغلول لم يكن يعرف كل أقاربه ، فهو يعرف عيسى بركات ، ولكنه لا يعرف ابنه !

ومن المصادفة أننا نشرنا نص الخطاب الذى أشار إليه سعد زغلول فى الجزء الأول من المذكرات (ص ١٧) بصورة من خطه ، لكى ندلل على أن خط سعد زغلول فى الأصل هو خط واضح ، ولكنه يهمله عند كتابة يومياته ، لأنها يوميات خاصة .

٢٥٠٢٨

[ص ١٧٦٤]

فى يوم ١٤ منه

نشرت الجرائد أمس أمرا من قائد جيش الاحتلال ، بعدم التعامل فى بذرة أقطان سنة ٩١٧ ، لأن الحكومة الانكليزية اشترتها بمبلغ ١٠٠ قرش[٤٢٤] كل أردب ، وأنها وكلت محل كارفر لاستلامها .

وأخشى أن يكون هذا مقدمة لمعاملة القطن بمثل ذلك ! فإن حصل هذا كان فيه ضرر جسيم للمزارعين . ولا أدرى ما دخل قائد جيش الإحتلال فى هذه المسئلة وما شاكلها ؟ ولكنها القوة تفعل ما تشاء !

فى يوم ١٥ منه

تغدينا عند إسماعيل صدقى باشا، فى سراى المرحوم محمد باشا سيد أحمد ، بعد إصلاحه بمعرفة ورثته . والمكان جميل الموقع ، غير أنه ثقيل لا خفة فيه ، لعظم اتساعه من غير معنى ولا تناسب بين أجزائه .

وقد لعبنا النرد ، وأبدى محمود باشا[٤٢٥] من قلة الحياء ومظاهر الضغينة ما جرت عادته[٤٢٦] ، ولحظه غيرى . وعزمت من ذلك الحين أن أتجنبه بقدر الامكان . وقد تناول هو ومحب باشا العشاء

---

(٤٢٤) وقد تقرأ : ١٥٥ قرشا .

(٤٢٥) يقصد : محمود صدقى باشا ، عديله .

(٤٢٦) فى الأصل :« علبه » .

عنـدى ، ولكن كانت الحـالة بـاردة ، والسهـرة ثقيلة ، ولا غرو ، فلا يحل السرور فى قلوب ملأها الحسد ، واحتلها الضغن .

فى يوم ١٩ منه

قدمت من مصر أمس بعد أن زرت دمنهور فى يوم ١٦ . ذهبت إليهـا[٤٢٧] فى اليوم عينه ومكثت بهـا يـوم ١٧ ، وتـلاقيت فيهـا بصدقى[٤٢٨] ، وسعيد ، وإبراهيم باشا سعيد ، ثم رفقى باشا ، ولطفى بيك السيد .

وعلمت منه أن أمين يحيى قدم تقريرا إلى ونجت ، يصدق فيه على الحماية ، ويطلب للأمة مجلس نواب . وأنه عرض ذلك على على شعراوى ، ومحمد باشـا محمود فى اسكنـدرية ، وطلب منهـما الاشتراك معه فى ذلك !

فاستغربت من هذا الخبر ، لأن أمين المذكور كان عندنا ، ولم يبد[٤٢٩] منه شىء ما فى هذا الخصوص ، وقد كانت هناك مناسبات لأن يتكلم عنه ، ولكنه لم يبح بشىء أصلا . ثم قابلت مدحت[٤٣٠] فى النادى .

وكلمت صدقى فى مسئلة حسن أبى النظر ، ووعد أن يسافر إلى طنطا هذا اليوم . وتناول فى هذا الموضوع (. . .)[٤٣١] فتح الله

---

(٤٢٧) أى إلى القاهرة التى يطلق عليها : « مصر » .

(٤٢٨) أى اسماعيل صدقى .

(٤٢٩) فى الأصل : يبدو .

(٤٣٠) مدحت سامى .

(٤٣١) عبارة غير مقروءة لأنها مطموسة .

٢٥٣.

(. . .)[٤٣٢] ويقول إنه أرجأ مقابلة المدير لحين اتمام التحقيق (. . . .)[٤٣٣] فى مسئلة حسن .

[ص ١٧٦٥]

فى ٢٢ منه

أمس خرجت من المنزل ، فوجدت شابا من أقارب عبد الله بيك شريف ينتظرنى ، دفع إلى كتابا من البيك المذكور يقول فيه : إن مكباتى عرض عليه أن يحيطنى علما بأنه يرغب أن يتألف وفد تحت رئاستى ، لرجاء الحكومة أن تعدل عن قرارها فى خصوص البذرة ! فقلت : إن الأحسن قبل الشروع فى أى عمل من هذا القبيل جس نبض الحكومة ، فإن لم تجد مانعا ، تألف الوفد . لأن الأمر الصادر فى مسئلة البذرة آت من السلطة العسكرية ، بناءً على أمر الحكومة الإنكليزية . وكل حركة ضده يمكن تأويلها بما ربما لا تحمد عقباه . وأضفت : إنى عازم على التوجه إلى اسكندرية لهذه الغاية ، فلا تعجلوا .

كتبت إلى عبد الله زغلول أطلب منه أن يفهم من يدعى الشيخ مرشدى عيسى بركات بأنى أتأسف لعدم إمكانى النظر فى الخلاف الذى بينه وبين أقاربه .

تفقدت القطن أمس واليوم ، فوجدته على غير ما يرام ! ووجدت إصابته بدودة اللوز لا تقل عن ثلاثين فى المائة ، ووجدت أن القطن الرجوع صامت وجامد، لوزه رفيع غير نام، والمفتح منه

---

(٤٣٢) عبارة غير مقروءة لأنها مطموسة .

(٤٣٣) كلمة غير مقروءة لأنها مطموسة .

قليل جدا ، وتفتيحه ضعيف ات فى الأغلب من انقطاع مادة التغذية عن اللوزة ، لأن كونها بلغت نهاية النماء . وكان من رأى الناظر ريه كله . فانتدبت خولى قسم ثالث ، فرأى أن يقتصر فى الرى على المواقع الظامئة فقط . فأمرت بذلك ، على شرط أن يكون الرى ضعيفاً .

بعد أن عرض علىّ شراء التبن باعتبار ٥٠ قرش ، وأبيت - بعته أمس بمبلغ ٤٨ قرش ! للحاجة . وقبضت ٢٠ جنيه بصفة عربون . ومقدار المبيع ٨٠٠ حمل .

فى ٢٣ منه

بكرت اليوم أكثر من العادة ، وذهبت إلى الغيط فى نحو الساعة السادسة ، لأنظر رى القطن والذرة . فرأيت الفعلة يعملون ويدققون فى الرى .

وقد انتخبت[٤٣٤] كثيرا من اللوز ، فما صادفت إصابة فى العفيفى[٤٣٥] ، وصادفت قليلا منها فى الساكلاريدس . والغالب أن الاصابة فى هذا العام كثيرة ، ويخشى أن يكون محصولها أقل من محصول العام الفائت .

وقد ابتدأت الجرائد تشكو ، ونشر المقطم أمس فصلا عن إصابتها فى الأقطان ، وأسعارها . فنقل شكوى المزارعين ، وتخوفهم من تداخل الحكومة ، فأمنهم من هذا التخوف بأنه ليس فى نية[٤٣٦] الحكومة المداخلة « الآن » !

(٤٣٤) انتخبت أى : اخترت ، أو انتقيت .

(٤٣٥) هكذا تقرأ .

(٤٣٦) أضفنا كلمة « نية » ليستقيم المعنى .

والتقييد(٤٣٧) لا ينفى الخوف بل يؤيده ، ويقرره فى الأوهام ، لأن مجرد امكان التداخل (٤٣٨) بعد « الآن » ، كاف لهبوط الأسعار ، إذ لا يجرؤ الإنسان على شراء بثمن ، خشية أن يؤخذ منه بثمن أقل فيما بعد ! وحكومة تريد خير الأمة لا تترك هذا السيف معلقا على الرءوس ، بل تعمل على نزعه .

[ص ١٧٦٦]

ولقد رأيت ، بعد طول انفعال ، أنه لا فائدة من السعى لدى الحكومة ، لأن السعى الفعال تمنعه ولا تسمح به ، وغير الفعال لا فائدة منه .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر ، فإنها لا ترجع عن قصدها إلا بثمن غال ، لا يرضى به محب لوطنه . إنها تريد أن يقبل الناس حمايتها ، وأن يعلنوا ذلك ، حتى تقدم قبولهم عذرا لها فى مؤتمر الصلح ، الذى لابد أن يكون من موضوعاته البحث فى هذه الحماية ومسوغاتها .

على أنه مهما يكن من الأمر ، فالأولى بى الابتعاد عن الظهور فى أى مشروع يمكن أن يؤوله الأعداء - وهم كثير - بأنه خروج عن طاعة الحكومة ، ومعارضة للسلطة . فحياة فرد ، مهما كان عظيما ، لا قيمة لها الآن ، وعلى الخصوص إذا كانت حياة مصر ، وعلى الأخص إذا كان محسوبا من المعارضين !

---

(٤٣٧) أى : التقييد بكلمة « الآن » ، وليس اطلاق عدم المداخلة من جانب الحكومه .

(٤٣٨) كرر سعد زغلول المقطع الأخير من الكمة .

ولنا فيمن نفوا واعتقلوا أكبر عبرة ! ولهذا أفضل البقاء هنا الآن حتى تنجلى هذه الغمة ، ويكشف الله الكرب عن هذه الأمة .

فى المقطم أمس أن المستشار المالى اللورد سيسيل ، سيعود إلى مركزه من لوندرة . وهو خبر لا يسر عارفيه من الوطنيين ، ولا من الإنكليز ! ولكن تدبير الإله فوق كل تقدير !

فى ٢٦ منه

تمتك الندوة العسلية بالقطن ، وعلى الأخص فى حواش الحيضان . وهى تصيب الآن المواضع التى كانت أصابتها أول السنة . والله لطيف بالعباد .

أتوجه اليوم إلى دمنهور ومنها إلى مصر .

٢٨ منه

عدت اليوم من مصر صباحا ، بعد أن زرت زراعة دمنهور ، وحالتها - لغاية الآن - حسنة . وقد هبطت أسعار القطن هبوطا عظيما . والله الهادى .

بعد أن طفت زراعة مسجد وصيف اليوم مرتين ، رأيت أن نبدأ بالجنى يوم السبت أول سبتمبر ، حتى نتمكن من رى الأرض التى نجنيها بعد بضعة أيام من جنيها ، ووافقنى الناظر على ذلك .

وإذا تحصلت من الفدان - فى قلب بعضه -[٤٣٩] على ثلاث قناطير ، كنت ممنونا ، لأنى مخالف لمن يقول إن القطن عندى فى هذا العام أحسن من عام أول . والله أسأل إنه كريم (. . .)[٤٤٠]

---

(٤٣٩) فى قلب بعضه أى : فى المتوسط .

(٤٤٠) عبارة غير مقروءة .

وقد بعت غلة دسونس باعتبار الأردب ٢٥٢ قرش ، وقبضت عربونا خمسين جنيه . والتسليم يوم السبت أول سبتمبر .

[ص ١٧٦٧]

تقابلت فى قطار السكة الحديد مع مشيل لطف الله ، وعثمان محمد ، وقلينى باشا فهمى . وقد نعى جميعا سوء حظ القطن . رأيت الأول متخوفا من التظاهر بما ينتج منه مخالفة الحكومة ، وذلك تقريبا لأن تحصيل مهام الحكومة المالية بطريقة انفرادية لا اجتماعية[٤٤١] .

واجتمعت بعلوى باشا . فلم أقف له على رأى فى مسئلة (. . . .)[٤٤٢] ، فلم أبد رأيا ، والأحسن أن لا أبديه ، لأنى لا أجد من أثق به ، ولأن الحكومة تتأول كل حركة بما يعكس علينا قصدنا . وما أنا إلا واحد من ملايين يصيبنى ما يصيبهم . ثم إنى (. . .)[٤٤٣] كل مشروع أسعى فيه عرضه لسوء الظن والتأويلات الأثيمة . فالأحسن الاستسلام والسكون ، وأن أكون أول المطيعين وآخر العاصين ! والله المعين !

فى ٢٩ منه

أصبحنا وقد نشر الضباب ثيابه بين الأرض والسماء ، فلم نعد نرى الأشباح ولا نتميز الأشياء . وبعد قليل ظهرت الشمس ، وأخذت تمزق هذا الضباب ، وترسل أشعتها من تحت السحاب .

---

(٤٤١) هكذا تقرأ ، والمعنى غامض .
(٤٤٢) كلمة غير مقروءة لجفاف الحبر من القلم .
(٣٤٣) غير مقروءة .

وصادف أن بت وأحد الشبابيك مفتوح فشعرت أثناء الليل ببرد ، ولم أحفل به . وأرجو أن لا يكون قد ترك أثرا فى صحتى .

وقد نمت أول الليل عميقا ، وبعد الساعة ١ تنبهت ، وصار النوم مستعصيا ، وشغلنى الفكر فى فتح الله وعائلته ، وما أشعر من لؤمها ولؤمه . ولكنى لمت نفسى على الاشتغال بمثل هذه الصغائر ، وبلوغها من نفسى مبلغ الكبائر ، ونهيتها عن الاسترسال فى هذا الطريق ، لأن ذلك صغار فيها ولا يفيد .

وأولى بى أن لا أبحث فى هذه الأشياء ، وأحترس من الأقارب والأباعد ، ولا أخص بسرى إلا فؤادى ، ولا أعتمد فى عملى إلا على نفسى ، ولا أتعرض لما تكون عاقبته الندم ، من قول يؤذى الغير ، أو عمل فيه خطر على الشرف أو المال أو الصحة .

فى ٣٠ منه

لا زلت غير قوى الأمل فى وفرة المحصول هذا العام ، لأنى لاحظت عندى ، وسمعت عند غيرى ، أن هناك آفة تنزل بلوزة القطن ، فتنشفه ، وتجعله هشيما .

قابلنى العمدة مساء ، فى أن[٤٤٤] أكتب إلى مستر ولز[٤٤٥] خطابا بقبول إبنه فى مدرسة المهندسخانة لأن نمرته ٧١ والمتقدمون سبعون . فقلت – بثورة – : إن التوصية فى هذه الحالة غير مفيدة ،

---

(٤٤٤) أضفنا : « أن » ليستقيم المعنى .

(٤٤٥) هو المستر سيدنى هربرت ويلز .
(أنظر حاشيتنا رقم ٩٩ على ص ٢٢٨ من الكراسة السادسة ، الجزء الأول من مذكرات سعد زغلول) .

ولا أعرض إسمى للكسوف كما حصل سابقا . فبهت الرجل ، ولبث صامتا برهة ، ثم انصرف مكتئبا .

[ص ١٧٦٨]

فى ٣١ منه

إستعفى محمد متولى فسلمت له المرتب ، وخلى طرفه . وبعد ذلك عرض أن يبقى ، ولو بغير مقابل ، مدة جنى القطن إذا كان هذا ضروريا . فأبيت عليه ذلك بنوع من الاشمئزاز .

فى أول سبتمبر سنة ١٩١٧

كان الضباب كثيفا اليوم ، ولغاية الساعة ٦,٢٧ لم ينكشف .

ابتدأنا فى جنى القطن العفيفى[٤٤٦] اليوم ، لأنه عطشان وريه متعذر ، لأن الأقطان ماسة بالأرض فى كثير من المواضع .

وقد استعلمت السلطة العسكرية عن مقدار التبن ، بعد أن قرر مجلس الوزراء إدخاله فى التعريفة . وهى طريقة غريبة جدا ، لأن الحكومة تدخل الصنف فى التعريفة ، لا رحمة بالناس ولكن لكى تتمكن السلطة من أخذه[٤٤٧] بالثمن المحدد فى التعريفة المذكورة . فويل لقوم أمورهم بأيدى غيرهم !

طُفت اليوم زراعة القطن ، وحدث فى نفسى التقدير الآتى :

(٤٤٦) هكذا تقرأ .

(٤٤٧) فى الأصل : بأخذه .

٢٥٣٧

قنطار	فدان
٤	٤٠
٢	٢٠
١	١٥

يعنى أن مجموع الناتج يكون من مائتين و١٥ ، إلى مائتين وثلاثين قنطار، لأنى رأيت « الرجوع »، وقدره ١٥ فدن ، لا يزيد الناتج منه عن قنطار ونصف ، وحواشى الغيطان تبلغ ثمانية كذلك ، لا تأتى بأزيد من هذا الفدان ، والباقى لا يزيد عن ٤ قناطير . والآن الثمن - على ما يظهر - خمسمائة قرش . والله أدعو أن يجعل هذا التقدير خطأ [٤٤٨]

---

(٤٤٨) ويمكن إعادة صياغة ما كتب سعد زغلول على النحو الآتى :

قنطار		فدان		المجموع
٤	×	٤٠	=	١٦٠
٢	×	٢٠	=	٤٠
١	×	١٥	=	١٥

٢١٥

أى بتقدير عدد ٢ قنطار لكل فدان من الـ ٦٠ فدانا ، وقنطارا واحدا لكل فدان من الـ ١٥ فدانا .

وأعاد سعد زغلول تقديره للخمسة عشر فدانا الأخيرة ، على احتمال أن ينتج الفدان قنطارا ونصف بدلا من قنطار ، فيكون مجمل انتاجها ٢٢,٥ قنطارا ، وأضاف إليها انتاج حواشى الغيطان ومساحتها ثمانية ، مقدرا أن الفدان لن ينتج أكثر من قنطار واحد ، فيكون مجموع ٢٢,٥+٨ هو ٣٠,٥ وتصبح الحسبة على النحو الآتى :

=

فى ٢ منه

قيمة جناية القطن أمس من العفيفى مقدار ١١ قنطار وواحد وثلاثين رطل.وكانوا عدد ٤٩!إن التجار فى الأرياف لا كلمة لهم ولا وفاء عندهم ويلزم الاحتياط فى شأنهم ما أمكن .

فى ٣ منه

بلغ ما جنى من القطن العفيفى ٢٠ قنطار ٩٠ رطل وبقى بلا جنى مقدار ستين رطل فيكون الفدان جنى أول جنيه ٣ قنطار.وقد بدأت اليوم فى جنى قطن الساكلاريدس والله الموفق .

[ص ١٧٦٩]

سمحت ببيع الغلال الباقية ، باعتبار سعر الأردب ٢٩٠ قرش ، لتاجر عرض ذلك الثمن . وقد ابتدأت فى جنى قطن السيكلاريدس فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية . وقد تعهد التاجر أن يحضر بعد باكر للاستلام والدفع .

فى ٤ منه

بلغ ما جنى أمس من جميع حوض أبو كرشة ٩٠ رطل ٢٩ قنطار

=

قنطار	فدن		المجموع
×٤	٤٠	=	١٦٠
×٢	٢٠	=	٤٠
×١,٥	١٥	=	٢٢,٥
×١	٨	=	٨
			٢٣٠,٥

باعتبار ٢ قنطار للفدان ، أما ما جنى من حوض القطعة[٤٤٩] فلم يعلم مقدار أرضه . بلغ ما جنى اليوم من حوض القطعة بأكمله[٤٥٠]، ثمانية أفدنة وخمسة قراريط ،ومما يلى شمالا فى زراعة قسم أول ثلاثة وأربعين قنطارا وثلث ، خلاف وفر المخزن . ولم تتم عبوه التبن[٤٥١] ولكن حزم منه لغاية الآن أربعمائة وستة وثلاثين حملا .

فى ٥ منه

حضر سعيد بيك[٤٥٢] أول أمس . ووصل ٢٥ مانجو من طرف بسيونى الخطيب ، وشكرته على هذه الهدية .

فى ٦ منه

بلغ ما جنى من القطن لحد الآن عدد ١٤٣ قنطار ، فيكون، بما فيه وفر المخزن ، ١٥٠ لفدن ٥٣ ، وباقى أربعة أفدنة من القطن البكر . وقد تم جنى هذا القدر أيضا ، فبلغ المجموع ١٥٩ قنطار و٤ رطل على ٥٧ فدان ، بمعنى الفدان عدد ٢٦٠ رطل .

فى ٧ منه

توجهت اليوم إلى دمنهور ، وأردت أن أركب المهرة الزرقاء ، وقيل لى ـ قبل ركوبها – إنها تمشى (. . .)[٤٥٣] ولكنها غير شقية . ومع ذلك فلم أكد أستوى عليها حتى تخلت بجانبها عنى ، فسقطت

---

(٤٤٩) هكذا تقرأ .

(٤٥٠) فى الأصل : بأكمله أن . وقد حذفنا « أن » لزيادتها .

(٤٥١) قراءة تقريبية .

(٤٥٢) سعيد زغلول .

(٤٥٣) كلمة غير مقروءة .

٢٠٥٤١

فبعض الأرض أعطت ثلاثة[٤٦١] قناطير ، وبعضها أربعة ، وبعضها خمسة .

ثم طفت اليوم الغيط .

وقد كان لمحنا عند الخروج من العزبة ناظر محمود باشا سيدروس ، ومع كون المسافة بيننا وبينه كانت بعيدة جدا ، وقف حتى وصلناه .

وقد وقع فى ذهنى أنه وقف لكى يفاخر بمحصوله ! وسألته ، فقال : إن تسعة عشر فدانا أعطت ٩٥ قنطارا ، وثمانية ٢٤ قنطارا ، والباقى غير معلوم ، ولكنه يقدر له أربعة فى قلب بعضه[٤٦٢] . وقد طاف معنا أغلب الغيط ، وجعل طوافه فى الظاهر اكراماً لنا ، ولكنه فى الباطن لكى يتأكد من الباقى !

وقد رأينا أن أغلب اللوز مصاب ، وإنه إذا أنتج الباقى بما فيه « الرجوع » ، قنطارين ، كان ذلك فضلا من الله وفوزا عظيما .

وهذا عشمى ، وإن كان مخالفا رأى راغب[٤٦٣] الذى رأيته يشكو[٤٦٤] حالة الزراعة ، ويذمها ذما عظيما ، ويبالغ فى كثرة إصابتها . والذى لاحظته ، ووافقته عليه ، أن الأحسن تضييق الخطوط . وجعل سطحها خاليا ، عوض تجميعها[٤٦٥] .

---

(٤٦١) فى الأصل : « ثلاث » .

(٤٦٢) فى قلب بعضه ، أى : فى المتوسط .

(٤٦٣) قراءة تقريبية .

(٤٦٤) قراءة تقريبية .

(٤٦٥) قراءة تقريبية .

٢٥٤٠.
على مقعدى ، وخض[٤٥٤] هذا المكان من جسمى ، وحدث فيه ألم أشعر به ، خصوصا عند القعود ، وبالأخص عند النهوض والصعود .

وفى المساء عدت إلى مصر ، وقابلت عدلى ورشدى وثروت ، وفهمت منهم أنه تقرر انقاص زراعة القطن إلى الثلث فقط . ورأيت بعد ذلك صدقى ، وفتح الله بركات ، ونجله.واعتذر الثانى عن مسئلة أبو النضر ، ومسئلة مرشدى بركات باعتذار بارد ، وأظهرت قبولها ، ثم عدت فى (. . . .)[٤٥٥]

يوم ٩ منه

ولم يحدث فى يوم ٨ منه شىء غير ما أشرت إليه من مقابلة فتح الله باشا . أما فى يوم ٩ منه ، [ص ١٧٧٠] فقد قابلت إبراهيم سعيد ، وعبد الله باشا وهبة ، وخليفة بيك رمضان ، وتكفل باعطائى بردعة للجحش (. . . .)[٤٥٧]

وقد وصلت مسجد وصيف صباحا . ووجدت القطن المجنى[٤٥٨] أخذ فى التفتح ، ولكن ببطء[٤٥٩] .

وعلمت أن محصول القطن عند محمود باشا[٤٦٠] وافر وجيد ،

---

(٤٥٤) قراءة تقريبية ، ومعناها : ارتطم .

(٤٥٥) لم يكمل سعد العبارة .

(٤٥٧) عبارة غير مقروءة ، وقد تقرأ : بعد وضعه واخضاعه .

(٤٥٨) هكذا تقرأ .

(٤٥٩) فى الأصل : « ببطى » .

(٤٦٠) محمود صدقى باشا ، عديل سعد .

وقد لاحظت على نفسى أمرا أنكرته عليها ، وعنفتها فيه تعنيفا شديدا ، ولا أزال أنفر منها كلما شعرت منها به ، لأنه دليل ضعفها وهُزَالها . ذلك أنها تحقد كلما علمت زيادة محصول قسم أول حقدا عظيما ! على أن هذه الزيادة لا تنقص من رزقنا ، ونقيضها لا يزيد فيه شيئا . ومع ذلك فالحقد رذيلة يجب أن تطهر منه نفوس الكرام ، فإن لم تكن نفسى كريمة ، فلا حق لها أن تتعالى على غيرها . على أن الحقد ألم فى النفس ، وكمد ، وكلما وُجد كان أبعث على سرور المحقود عليه ، لأنه يتلذذ بتألم الحاقد . فالحاسد إنما يسر عدوه ، ويشمته به ، ولا ينقص ما هو محسود عليه ، ولا يزيد منه شيئاً عند الحاسد .فلعنة الله على قلب دخله دخل(٤٦٦) ، ورحمته لقلب خلى منه

فى يوم ١١ منه

حضر أمس محمود صدقى باشا وعائلته ، وأرسلوا يخبروننا بقدومهم ، ويدعوننا للذهاب إليهم . فوعدت الحرم به بعد الظهر . ثم ذهبت مع رتيبة(٤٦٧) ، وذهبت فى نحو الساعة

(٤٦٦) فى الأصل دخل دخله ، والدخل هو العيب والريبة .

ونلاحظ فى هذه الفقرة مدى مراقبة سعد زغلول لنفسه ، ومحاسبتها حسابا عسيرا كلما رأى منها ضعفا أو انحرافا . فهو لا يؤمن بالضعف الانسانى الذى يخضع له الجميع ، لأنه يحرم المرء من التعالى على الغير بكرم نفسه ، وسعد زغلول يشعر بتعال على الغير بكرم نفسه ، وتنزيهها عن العيب ، وليس بمركزه فى وطنه وما وصل إليه من شهرة ومال . وهذا هو مفتاح شخصية سعد زغلول ، الذى يفسر مواقفه الوطنية .

(٤٦٧) رتيبة بنت شقيقة سعد زغلول ، ووالدة كل من الكاتبين مصطفى وعلى أمين .

الخامسة ، بعد أن طفت الغيط . ولمحت - من بعد - محمود باشا يطوف غيطه . ثم عدت إلى عزبته ، فوجدته يتحدث مع كاتبه ، وكنت[٤٦٨] راكباً فرسا ، فلما أبصر بى قال لى : ألم تتب من ركوب الخيل ؟ - وقد كان علم بوقوعى [ص ١٧٧١] من صدقى فى مصر .

ثم جرى الكلام فى القطن ، فقال : إنه عظيم ! منه ما أنتج فدانه خمس قناطير ، ومنه ٤ ، ومنه ٣ ونصف ، مثل هذا ! وأشار الى الأرض التى كنا بجوارها .

فقلت : أظن يا باشا أن هذا خطأ لأنه ليس بالشجر علامة وعليه لوز[٤٦٩] كثير !

قال : هكذا قيل لى ، ولم أعمل متوسط ! وفهمت من هذا عدم الصدق والمبالغة !

ثم وصلنا البيت فسلمت على حرمه ومن معها ، وجلست نحو أربعين دقيقة ، تحادثت فيها فى موضوعات شتى لا تستحق الذكر . وسلمت ، ونزلت ، فلم يصحبنى . ولكنى عطفت على « محل الأدب »[٤٧٠] فقضيت حاجة ، ثم خرجت ، فوجدته نازلا بعصاه ، فقال : قد أدركتك ! ثم سار إلى حد الباب ، ووقف حتى ركبنا .

ومررت بقطنه ، فوجدته قد جنى كثيرا ، ولم يبق منه إلا قليل .

---

(٤٦٨) فى الأصل : وكانت .

(٤٦٩) قراءة تقريبية لهذه الفقرة .

(٤٧٠) محل الأدب ، أى الحمام .

وعملت حسبة ، ظهر لى منها أنه على فرض صحة ما يزعمون ، فلا يمكن أن ينتج الفدان أزيد من أربعة قناطير وربع فى الجنيه الأولى ، أما الثانية فلا يمكن أن يأتى[٤٧١] الفدان بقنطار . وعليه ، فالمنظور أنه ينتج من الأول للآخر خمس قناطير . وأتعشم أن أتحصل على هذا المقدار من زراعتى . والله المستعان . على أنى إذا تحصلت على مقدار ما تحصلت عليه عام أول فإنى شاكر حامد .

فى ١٢ منه

رد الزيارة لنا أمس محمود صدقى وحرمه ، وكان فرحاً ، وقال فرحاً : إن القطن فى هذا العام عظيم جدا ، يأتى بخمس قناطير ! قلت : فى أول جنية ؟ قال : فى الكل على الأقل ! وماذا أنتج عندك ؟ قلت : ثلاثة إلا قليلا ، ولى أمل فى أن أتحصل منه على مثل هذا المقدار ، لأنى تعجلت الجنية الأولى .

وزدت بأن القطن فى عموم الجهات عظيم هذه السنة ، وقطن قسم ثالث – على الخصوص – من أجودها . فغير هو وحرمه فورا موضوع الحديث ! وبعد أن لبثوا هنيهة ، انصرفوا .

لقد بت أمس أفكر فى القطن ، ومحصوله ، وسعره ، وأحسب هذا ، وأعد ذاك ! ولم تزل بى هذه الأفكار طول ليلى . وكنت أنتقد نفسى على هذه الإشتغال ، ولازلت أنتقدها مر الإنتقاد ، لأنها أصبحت لا شغل لها إلا هذه الموضوعات ، التى لا يفيد الفكر فيها . ويسوءنى أن الإشتغال بها ، على النحو الذى أشتغل به – دليل ضيق العقل والصدر . وشعورى بهذه النقائص يؤلمنى أشد الألم .

---

(٤٧١) قراءة تقريبية .

عزمت أن أسافر غدا إلى دمنهور لأنظر متى نقطف قطنها القطفة الأولى .

[ص١٧٧٢]

فى ١٣ منه

مضيت أمس ليلا قلقا ، فلم أنم إلا قليلا ، وصحيت كثيرا ، وأغلب فكرى فى القطن ، وحاصله ، وأسعاره . وقد أخذ محل « هيزلر »[٤٧٢] بزفته عينة منه ، وأفاد شفهيا بأن التصفية بلغت فى السكلاريدس ٩٦/ ١٠٠ وفى العفيفى ١٠٠/١٠٠ ، وانه ينتظر التثمين من المحل باسكندرية ، وعند وروده يبلغه إلينا .

فى يوم ١٦ منه

سافرت يوم ١٣ منه إلى دمنهور ، ورأيت الدودة الحمراء قد ظهرت فى بعض زراعتها ، والحالة العمومية - بوجه الإجمال - حسنة . وقررت الجنى يوم الاثنين القادم ١٧ منه .

ثم سافرت إلى مصر ، وقابلت فى القطار سعيد باشا ذو الفقار ، وقابلت فى مصر صدقى ، وشكرى باشا ، وبهى الدين فقط . وما من شىء يستحق الذكر فى جميع هذه المقابلات .

وقد عدت أمس صباحا ، ورأيت صدقى باشا وحرمه مدعوين عندنا . وقد حصل نوع من العتاب بيننا انتهى بحسن التفاهم على ما يظهر ! وأرجو أن يكون ذلك عن إخلاص ! وإن كان هذا الرجاء بعيد التحقق !

---

(٤٧٢) هكذا تقرأ .

وقد جرى أثناء العتاب ذكر العطشجية[٤٧٣] ، وحصل الإتفاق علـى أن كـلا من العـطشجيـة يختص بـوابـور ، وأن نعمـل شاشانى[٤٧٤] عما يستهلكه الوابور فى الساعة أو اليوم من الحطب ، حتى لا يحصل غبن لأحد الطرفين من سوء فعل عطشجى الآخر .

وذكرت له عبارة[٤٧٥] منع ناظره مرور مستأجرى من أرضه ، عقب العدول عن الدراوة بماكينته ، وقال فى هذه الحادثة إنه جرى فيها أمور لا أقولها ولكنى أطلب أن تسأل السباعى عنها !

قلت : إن كل ما جرى فيها عن يـدى[٤٧٦] ، ولا حاجـة بى لسؤال السباعى عن أمر أنا أعرفه شخصيا . والأمر الوحيد الذى تم بغير مباشرتى ، المخابرة الأخيرة بـين أصحاب المكينـة وناظـرى ، وأسوأ ما يمكن فرصه أن يكـون هذا النـاظر طلب منهم أمـرا ضد مصلحتى ، وهذا لا شأن لكم فيه .

ثم تم الأمر على التصافى ، وتغدينا ، وانصرف .

فى يوم ١٧ منه ،

أصبح الجو باردا ، وأشعر الآن فى هذه الساعة ببرد يشبه نوعا برد الشتاء ، وأخشى أن يؤثر ذلك على الجنية الثانية . والله يفعل ما يشاء .

---

(٤٧٣) العمال الذين يغذون الوابورات بالوقود المكون من الحطب .

(٤٧٤) بـالعاميـة « ششنى » ـ أى تفتيش ، وتقديـر لما يستهلكـه الوابـور من الحطب .

(٤٧٥) عبارة ، أى « مسألة » .

(٤٧٦) عن يدى ، أى باشرتها بنفسى .

فى ١٨ منه

لا شىء يستحق الإثبات ، ونحن مدعوون اليوم للغدا عند محمود باشا صدقى . وقد ورد علىَّ أمس من ملاحظ زراعة دسونس ما يفيد أن أجرة النفر لجنى القطن بلغت فى المجاورة أربعة قروش .

[ص ١٧٧٣]

فى ١١ منه

لايزال الجو باردا ، وقد تغطيت أمس ، ونمت نوماً هادئا . وصدقى وحرمه مدعوون لدينا على الغدا اليوم ، كما كنا بالأمس عندهم . ولاقينا(٤٧٧) من قلة الذوق الذى كان منهم ، فيما يختص بالأكل ، والحكايات التى يتفكهون بها .

وقد شاهدت من المحادثات التى جرت فى هذه المدة أنهم يكرهون عائلة سرهنك(٤٧٨) كرها شديدا ، ولا يطيقون - خصوصاً - أن يمدح نجله أمامهم !

وبعد أن كان اتفق معى على أن لا يبدأ فى الجنية الثانية حتى ننتهى نحن منها ، عاد فقال : إن عندنا جانبا من الأطيان يلزم جنيه قبلكم ، لكى نتمكن من زرعه برسيما بدرى(٤٧٩) . فلم أقل له

---

(٤٧٧) قراءة اجتهادية .

(٤٧٨) سرهنك هو عديل محمود صدقى باشا . وهذا يصور أن العلاقة بين أسر بنات مصطفى فهمى باشا كانت علاقة سيئة ، وأن العلاقة بين الشقيقات الثلاث قد تأثرت سلبا بالعلاقة بين الأزواج التى كان يسودها الحسد . ونلاحظ فى هذا الشأن أن المسئول عن ذلك محمود صدقى باشا كما يفهم من مذكرات سعد زغلول . وأن علاقة سعد زغلول بسرهنك كانت علاقة طيبة .

(٤٧٩) قراءة تقريبية . وفى الأصل : « بدريا » ، ويقصد : مبكرا .

شيئاً ! والأحسن فى معاشرة هؤلاء ، أن لا يقام لقولهم وزن ، ولا ينتظر منهم أن يصيبوا . فيلزم تحملهم على ما بهم . والسلام .

فى ٢٣ منه

عدت أمس بعد الظهر من اسكندرية ، بعد أن مكثت فيها ليلتى الجمعة والخميس . وقد لاقيت فيها عدلى باشا ، ورشدى باشا ، ومحمد باشا محمود . وسهرت ليلة السبت فى النادى ، وما قدرت أن أمتنع عن الورق منعا باتا[٤٨٠] ، وخسرت مبلغ ٣٦ جنيه . وكان لى هذا خير مغنم[٤٨١] ، لأنى رأيت أنه لا ينبغى لى بحال من الأحوال أن أدنو من الملاعب ، وأن هذا أحسن وسيلة ، وأفضل طريقة لترك هذه الرذيلة .

وقد فهمت من رشدى وعدلى ومن البرنس فؤاد ، الذى قابلته فى طريقى إلى إسكندرية ، أن السلطان مريض وأنه كان يخشى عليه فى الأيام الأخيرة ، وأن الحكماء يئسوا من شفائه ، وأنهم يتوقعون وفاته من ساعة لأخرى ، وأن رشدى باشا خابر ونجت بهذا الخصوص ، وكتب هذا لدولته ، وأخذ رأيها فى مشروع الوراثة ، الذى كان وضع بأمر السلطان .

وحاصله أن تكون السلطنة لأكبر أنجال السلطان الحالى ، فإن لم يكن فللأمير فؤاد ، فإن لم تكن فللأمير يوسف ، فإن لم يكن فللأمير عمر ، فإن لم يكن فللأرشد من ذرية عباس . وهم ينتظرون جواب حكومة لوندرة .

---

(٤٨٠) قراءة تقريبية .

(٤٨١) قراءة تقريبية ، ويقصد أن الخسارة أفادته عدم الدنو من الملاعب .

٢٥٤٩

وفهمت من رشدى أن السلطان لا يود أن يزوره الأمير فؤاد .

وفهمت من عدلى أنه لا يود أن يشتغل مع رشدى ، إذا كان يسلك مع فؤاد مسلكه مع السلطان ، من سبق رغبته ، والعمل على ارضاء شهواته بكل قوته ! لأن للبرنس فؤاد ميولا لا تتفق مع مصلحة البلاد ، فلو لم يجد من المقربين منه ما يقضى بتعديلها ، استمر فيها . وفى ذلك ضرر عظيم !

فأشرت عليه بالتأنى ، وقلت له : إنى أرى أن الأمير فؤاد يحترمك إحتراما عظيما ، وأظن أنه يميل اليك أكثر من رشدى ، فلا تعجل حتى نرى الظروف بما تأتى . وقد زرت محمد محمود .

واطلعت على مشروع أمين يحيى الذى قدمه الى ونجت . فرأيته مشروعا مبهما ، ليس فيه شىء معين ولا هو بالموفق(٤٨٢) . [ص ١٧٧٤] ورأيت هذا رأى عدلى فيه . وقد وجدت محمد محمود يرجو عدلى فى أن يعضد على عمر ، فانضممت اليه ، وأيدت رجاءه .

زرت زراعة دمنهور ، وأعجبتنى ، وأظن أن محصولها يكون هذا العام من ثلاثة ونصف إلى أربعة ، وإن لم يكن هذا رأى أغلب رجالها ، فإنهم يبالغون فيه . وأرجو أن يتحقق قولهم ، لا قولى !

وقد تكلم معى الأمير فؤاد بحرارة فى أنه عازم على أن يسعى فى تأسيس نقابة عامة ، صونا لمصالح الزراع . فحبذت اليه هذا المشروع ، وشجعته عليه . ولكن ألقى فى روعى أنه يُظهر الاهتمام به لكى يصطاد به ميول الأمة اليه ، لأنه بعيد عنها ، ويريد الآن التقرب منها .

---

(٤٨٢) قراءة ترجيحية .

فى ٢٤ منه

إنتشر اليوم ضباب كثيف فى الجو . ورحل أمس صدقى باشا مع عائلته ، بعد أن تغدوا عندنا . وكان أبش وجها ، وأشرح صدرا ، وأروح نفسا . غير أن أمرأته لم تأكل الا قليلا .

وقد قال : إن الفدان عندك يأتى بخمس قناطير[٤٨٣] !

قلت : لا أظن !

قال : فإن بلغ ذلك ؟

قلت : لك الهدية التى تريدها !

قال : كذلك . وانعقد النذر .

رأيت الأجدر بى أن أكون أيام العيد فى العزبة ، بعيدا عن الحركة التى تحدث فى مصر بسبب التغيير المنتظر . ولا أريد شيئا الا أن أكون مستريح الخاطر ، بعيداً عن القلاقل والمقلقات ، والتهم والشبهات . وستسافر حرمى غدا ، على أن تعود صباح العيد .

وإنى أُقدر الجنية الثانية للفدان الواحد ، بمائة وسبعين رطلا الى مائتين . وفى « الرجوع » بثلاثة . والله يزيدنا من فضله .

زارنى أمس معاون إدارة المركز ، والعمدة ، ولم أستفد منهما شيئا جديدا .

فى ٢٥ منه

إشترينا ٦٢ أردب قمح من زراعة قسم ثالث ، حيث طلب

---

(٤٨٣) صحتها « خمسة قناطير » . وما يراه القارىء فى غير هذا الموضع من مثل هذه الأخطاء موجود فى الأصل ، وقد تركناه عمدا ليعيش القارىء فى جو المذكرات .

الناظر ذلـك من إسماعيـل باشـا[٤٨٤] ، فقال لـه : خذوا بسعـر الأردب ٣٠٠ قرش فقال له : كذلك .

وبعثوا بعد ذلك يطلبون ثمنه ، فأمرت الناظر أن يـدفع لهم خمسين جنيه ، وقلت للست : يمكن أن تقولى الى أختك أن تؤجل باقى الثمن الى الاستلام . فترددت[٤٨٥] فى ذلك ، وأخيرا قبلت على شرط أن لا نشترى شيئا من أختيها . وأظن أن لها حقا فى ذلك .

ولقد أردت بهذا أن تفهم حقيقة مركزها لديهن ، فلا تشغـل نفسهـا بـأى منهن ، ولا تهتم بشئـونهن الا بمقـدار مـا يبـدو منهن نحوها .

[ص ١٧٧٥]

سافرت اليـوم حرمى الى مصـر ، لتزور قبـر والديهـا فى العيد الأكبر . وبقيت فى البيت وحدى مع الخدم . فأتنست بالوحدة . وقد أوصت بى الخادمة كابس[٤٨٦] ونبهتها أن تستعمل الأدوية التى تلزمنى مثـل ما كـانت تستعملها هى ، يعنى أن تقـوم مقـامهـا فى تمريضى . ومن ضمن هذه العلاجات دلك ظهرى وإليتى[٤٨٧] ، ففعلت الخادمة ذلك ، واعتنت أن تباشر ذلك بحضور ومساعـدة البنت (...)[٤٨٨] .

---

(٤٨٤) اسماعيل باشا سرهنك .

(٤٨٥) أى ترددت أختها ، كما يفهم من السياق .

(٤٨٦) قراءة تقريبية ، وفى هذا الحالة تكون هى فريدا كابس الألمانية (أنظر مقدمتنا للجزء الأول من المذكرات) .

(٤٨٧) كان سعد زغلول قد وقع من جواده على مقعده .

(٤٨٨) كلمة غير مقروءة .

٢٥٥٢

لما عدت من اسكندرية ، وجدتني حرمي متغير اللون ، محتقن الوجه . وتوهمت أني لعبت ، وأظهرت لي ارتيابها في حالتي . وأخيرا صرحت لي بأنها تشعر كأني لعبت ، وأنها رأت ذلك في المنام ، حيث رأت والدتها في الليلة التي سافرت فيها ، وقالت لها : إن سعد يلعب !

فدهشت لذلك الشعور ، وهذا المنام ! ولكني أكدت لها خطأ توهمها ، وان مارأته من أضغاث الأحلام .

وقلت في نفسي : إن العودة إلى اللعب أصبحت من المحرمات ، وإن الله سبحانه وتعالى يريد بهذه الإلهامات أن أخشاه ، وأتبع هداه .ولا وسيلة إلى ذلك الا باجتناب الأندية اللاعبة ، ومعاشرة الصالحين . وسيكون ذلك مبدئي بعناية الله الرحمن الرحيم

في ٢٦ منه

بقيت وحدي أمس ، ونمت نوماً متقطعا ، وأصبحت لا بالمنشرح ولا بالمنقبض . ولكني أكلت في الفطور كثيرا : ستة بيضات مقلية في السمن ، وقشطة ، وأم علي[٤٨٩] .

وأغلب فكري الآن محصور في القطن ومحصوله . وآخر تقدير لي أن الجَنْيَة الثانية قد يأتي منها إثنان أو أزيد قليلا ، وأن الرجوع يأتي

---

(٤٨٩) انني أدعو القارىء للتعجب من هذا الفطور الهائل ، الذي يتكون في غالبيته من مواد دهنية عالية كفيلة بقتل شاب ! بالإضافة إلى كمية الكولسترول الضخمة في ست بيضات ، لا يقدر على تناولها إلا أولو العزم . وأدعو الأطباء إلى تحليل هذه الظاهرة ، وهي أن جيل أوائل هذا القرن كان أكثر صحة وقوة من جيل أواخره !

بثلاث أو يزيد يسيرا.وكل هذا باعتبار ما هو متفتح الآن . أما إذا أذن الله بتفتيح الباقى ، أو أكثره ، فإن الزيادة فى النوعين تكون ببركة الله كثيرا . وأتوقع أن يزيد محصول قسم أول عن قسم ثانى نصف قنطار على الأقل ، لأن التفتيح بعد الجنية الأولى سائر سيرا حسنا . والله أعلم ، ولكل رزقه .(٤٩٠) .

إذا فعلت ما يوجب الارتياب فيك ، فلا تتأثر من الاحتراس منك !

[ص ١٧٧٦]

فى ٢٧ منه

هذا يوم العيد الأكبر ، أعاده الله على العالم بالسلام ، وعلى الأمة الاسلامية(٤٩١) بالتقدم وحسن الحال ، وعلينا بالصحة من الأسقام الجسمانية والمعنوية ، وبالتوفيق الى أحسن الأعمال .

---

(٤٩٠) لعل هذا الكلام عن الزرع والحصاد ، يوضح للقارىء أن هذه الطبقة من الباشوات كانت طبقة تقود الانتاج الزراعى فى البلاد ، وتباشر أموره بنفسها ، وتتحمل فى سبيل ذلك القلق والهم ، والمخاطرة ، وتكسب ثروتها بعرق جبينها ، ولم تكن مثل طبقات أخرى ظهرت فى عصر الانفتاح ، تكسب الملايين بأيسر الجهود ، كأصحاب شركات توظيف الأموال ، وتجار المخدرات ، وأصحاب العمارات ، ورجال أعمال يفلسون أنفسهم عمدا للتهرب من الضرائب . وإن كان من الانصاف أن نقول إن هذه الطبقة الأخيرة ، وإن كانت تمثل الشكل العام للطبقة الانفتاحية ، إلا أنه يوجد إلى جوارها قسم هام يمارس دور الطبقة البورجوازية القديم التى نشأ فيها سعد زغلول فى التقدم الزراعى والصناعى .

(٤٩١) نلاحظ أن سعد زغلول لم يقل : الأمة المصرية ، وإنما قال الأمة الإسلامية ، لأن المفهوم القومى للأمة المصرية لم يكن قد ظهر بعد ، وإنما تبلور هذا المفهوم فى ثورة ١٩١٩ وقبل ذلك كان مفهوم « الجامعة الاسلامية » هو السائد .

وبعد أن كتبت هذه الكلمات وقرأتها ، تذكرت أنه يجب إرسال تلغراف تهنئة إلى عظمة السلطان . فكتبته وأرسلته .

نعى المقطم أمس ابراهيم بيك راجى[٤٩٢] ، حيث توفى . فأرسلت تلغراف تعزية لأخيه ـ وإن لم أعرفه ـ وكان ذلك لكونى عضوا بالجمعية الشريعية . ولقد انهد بموته ركن من أركان الفساد !

وقد خرجت الى غيط القطن ، وطفت به قطعة قطعة تقريبا ، ولاح لى ـ بعد طول التأمل - أنه يأتى بقنطارين وبعض الأرطال ، وأن «الرجوع» يأتى بثلاثة قناطير ! وعلى الله حسن الختام !

وكان خروجى فى الساعة السابعة ، وعودتى فى الساعة ثمانية ونصف . واستغرق الطواف ساعة ونصف ، تبللت فيها ملابسى بقطر الندى ، لأنى كنت أسير بين شجيرات القطن .

وكان منظر القطن بهيجا جدا ، خصوصا إذا كان بين الأوراق الخضراء ، وكان نور الشمس يتخلله ، والندا يعلوه رذاذه ، فيحدث من ذلك منظر بهيج .

وما رأيت أحدا فى طريقى ، لا من المزارعين ، ولا من المجاورين ، لأن كلهم كانوا فى البلد يصلون . ولكن فى نهاية طوافى حضر خفيران .

---

(٤٩٢) إبراهيم بك راجى ، عينه الخديو عباس فى الجمعية التشريعية فى ٢٢ يناير ١٩١٤ ، عضوا عن الوجهاء والأعيان . وكان قد انتخب مندوبا فى الجمعية العمومية فى الهيئة النيابية الخامسة (أول فبراير ١٩٠٩ - ٣١ مارس ١٩١٢) . ثم حكم بعدم صحة انتخابه ، فانتخب بدله محمد الرمالى بك . وكان إبراهيم راجى من رجال الخديو عباس الذين ساعدوه على التدخل فى الانتخابات ، ومن هنا كان تعليق سعد زغلول فى المتن .

من عادة الأرياف أن يذبحوا للعيد يوم الوقفة ، ولكن مصر يوم النحر . وقد وجدت هذا الخلاف .

قرأت فى «مقطم» أمس كتابة لأحمد الألفى ، يستحسن فيها أن لا تزرع الأرض بعد الذرة برسيما،وأن (. . .)[٤٩٣] القطن ، وان يبذل الجهد فى جعل الشجرة ، فروع وأغصان غير هائج (. . .)[٤٩٣] . ولكنى ما عرفت كيف السبيل إلى جعل القطن ذا أغصان ، ومنعه من الهيجان ، وسأسأل عن ذلك فى « المقطم » .

فى ٢٨ منه

زرت أمس زراعة دمنهور ، فسررت منها ، ولكن الأنفار قليل . فنبهت أن يبذلوا كل جهد فى الحصول عليهم[٤٩٤] ولو بتعلية الأجور ، أو بالاتفاق مع السواقين . وشددت عليهم أن يواصلوا الأخبار .

وعدت مسرورا عن طريق زفتى ، فوجدت على الرصيف عربتين ، ركبتْ إحداهما ، ورفضت الأخرى أن تركبنى[٤٩٥] فألححت عليها أن تحملنى إلى موضع فيه [ص ١٧٧٧] العربات ، فأبى فألححت عليه ، فصمم على الرفض ، فركبت ، ورفعت صوتى وقلت ـ بصوت الآمر : سر ! واندهوا للعسكرى والمأمور وتوجه إلى المركز ! نخاف ، وسار ، فلم نجد المأمور ، فأمرته أن يسير الى بيته ، فسار ، ولما وجد محمد بالباب ، اضطرب

(٤٩٣) كلمة مطموسة بالحبر .

(٤٩٤) فى الأصل : عليها .

(٤٩٥) يقصد سعد زغلول أن العربة الأولى ركبها أحد ، ولذا أراد أن يركب العربة الثانية ، ولكن سائقها رفض !

العربجى وقال : سأذهب معكم ، فسررت من ذلك ، واستدعيت محمد ، وسرنا ، فقال ـ بعد أن ابتعدنا عن منزل المأمور ، وأصبحنا على طريق البحر الموصل الى هنا ـ: إنه متعهد الى المهندس أن[٤٩٦] ينقله ، ولابد أن يمر به ليخبره،فنهرته وقلت: إن عدت[٤٩٧] لابدمن حبسك . فخاف . ولاقى بعض زملائه ، فكلفهم أن يذهبوا الى المهندس بعربة لينقلوه الى القناطر . وسار بنا ، ولكنه أخذ يتمتم ، ويَدْعى على نفسه بالويل والثبور ، ويسب الخيل تارة ويخته تارة أخرى . وكان الخيل فى غاية من الضعف والإعياء ، وكانوا يسيرون ثم يقفون .

وكان الليل مقمراً ، والهواء عليلا ، والبحر هادئا ، والمنظر فى غاية الجمال وخفراء النيل متسلسلون ، ويقظون ، وبين كل رباط والآخر مسافة قليلة ، وفى كثير من أعوانهم أناس عـزبة وراهم ، فوضعوا ما استطاعوا نقله على الجسر[٤٩٨].وكنت أسلم عليهم ، فيردون ، وإذا كانوا يأكلون عزموا أن نأكل معهم .

وما زلنا نسير بغاية البطء[٤٩٩] حتى وصلنا فى الساعة ٩ ولم أرد أن أفعل به ضرراً ، وأمرت له بأربعين قرشا ، ثم عاد ليلا مع كون مثله كان فى غاية التعب .

وسنبدأ فى الجنية الثانية[٥٠٠] بعد الانتهاء من جنى «الرجوع» الذى نشرع فيه غدا .

---

(٤٩٦) قراءة اجتهادية .

(٤٩٧) فى الأصل : عودت .

(٤٩٨) قراءة تقريبية .

(٤٩٩) فى الأصل : البطىء .

(٥٠٠) قراءة اجتهادية لأن الحبر جف من القلم .

٢٥٥٧

تقابلت فى بنها مع عدلى ، وبقيت فى ديوانه إلى دمنهور . ورأيته غير مسرور من رشدىّ وخفته ، وشعرت منه أنه يطمع أن يكون رئيسا ، لما له من المكانة عند البرنس فؤاد . وقد قال : إن هذا البرنس عنده إقدام أكثر من أخيه ، ويقول قليلا ويفعل . فإذا كان محاطا بأهل العقل والرشد ، أمكنه أن ينفع .

وأشار إلى أنه غير محبوب من الإنكليز ، ولكنهم إذا عينوه فلا يكون الا تبعا للظروف . وهو يخشى عليه من تأثير أمين يحيى وزملائه .

فقلت : يشيعون أن الأفكار متجهة نحو عبد المنعم(٥٠١) ؟

قال : لا صحة لهذه الإشاعة ، ولكن منشؤها أنه حصلت مخابرة بين الإنكليز والخديوى السابق ، على أن يتنازل بإسمه واسم أنجاله عن دعوى الخديوية ، فى مقابلة ٢٥ خمسة وعشرين ألف جنيه فى السنة ، واشترط الإنكليز أن يعترف بسلطنة السلطان حسين ، فأبى عباس قبول هذا الشرط ،لأنه عده مهيناً له ،وأُخذرأى السلطان فى هذا الشرط ، فقال : إنه لا يهمه ! ولكن لم يبد رأيا قطعيا . ووقفت المسئلة عند هذا الحد .

فى ٢٩ منه ، ٣٠ منه

ابتدأتْ جنى «الرجوع» ، وانتهى . وقد جنى الفدان ثلاث قناطيرٍ الا ثلث ، لأن المجموع يقع - بما فيه وفر المخزن - ٣٨ قنطاراً .

---

(٥٠١) الأمير عبد المنعم هو ابن الخديو عباس حلمى .

[ص ١٧٧٨]

يوم أول اكطوبر

حصل جنى العفيفى ، وقد جنى الفدان فى المرة الثانية أزيد من قنطارين ونصف فيكون جنى فى المرتين خمس قناطير ، وستين رطل . وقد حضر محمد حتاتة ، وأبدى ملاحظات ، من جهة زراعة البرسيم وتعطيش الذرة ، لا أهمية لها .

أرسلت لى أوراق المعايدة التى وصلت الى مصر ، فوجدت من بينها تلغزافا من السير ونجت مترجما من الإنجليزية الى العربية بمعرفة سعيد بيك .

فاستغربت : كيف أنه أهمل إرساله الى يوم أمس ؟ وكيف أنه لم يرد عليه ؟ ولكن لا غرابة فى ذلك ، فقد عرفت فيه عدم الإهتمام بشىء يتعلق بنا ، وما يظهره أخيرا من الأدب والاحترام لم يكن الا ضربا من التكلف . وأرجو أن أكون مخطئا فيما أظن ، وأن يكون له عذر فى ذلك الإنصراف .

يوم ٢ منه

اليوم تسافر رتيبه وأنجالها وزوجها . وقد نفحتها الست بعشرة جنيه ، وثمن تذاكر السكة الحديد إلى المنصورة ، وبعض الأشياء .

وقد كان حضر زوجها يوم ٢٩ منه فى ذهبية[٥٠٢] يُسمونها كوتيبه أو كوتيه لحسين بيك خفاجه ، وهى فى غاية الإتقان والنظافة وحسن الترتيب . وقد تعشيا عندنا ، ورأيت الرجل وجيها ، له إلمام بكثير من الأشياء ، فصيح العبارة ، جميل الهيئة . وقيل لى : إن ذلك

---

(٥٠٢) ذهبية أى سفينة نيلية .

المركب هو الذى رسمه ، ووصفه ، وباشر صنعه وهو يشهد له بسلامة الذوق ، وحسن المعرفة . ورددت له الزيارة فى اليوم التالى صباحا . وله ميول وطنية .

يوم ٣ منه

زرت عزبة دسونس ، وسررت منها . وكان معى محمد حتاتة . وحدث أن بغلا يكره الخيل ويعضها ، تغلب على مالكيه وهجم على خيل العربة التى ركبناها من دمنهور ، ورفسها ، وكسر عربتها . ولكن جاء ذلك من خطأ العربجى ، فإنه وقف فى طريق البغل ، رغم انذار كل الحاضرين ، بما فيهم أنا ومحمد حتاتة . والغريب أنه يدعى بعد ذلك بأنه لم يكن يعلم !

ووجدت خلافا بين الملاحظ والكاتب من جهة ، وراغب من جهة أخرى ، فحسمته ، ولكنى رفت الكاتب لحمقه ، وعدم استقامة أخلاقه . وعينت حميد بدله مؤقتا ، وأرسلت اليوم مخابرة ليباشر الإستلام من أنور المذكور .

وتلاقيت فى الطريق بالبرنس كمال الدين ، وكان غاية فى الظرف . وفهمت منه أن والده متأخر ، وأنه يأبى كل الإباء مسنده(٥٠٣). وقال: لأنه لا يود أن يعمل(٥٠٣م) شيئا فى مسنده ، وإن يوم الصلح قريب ، ويصبح موضوع بحث فى أثنائه . فلم أشجعه على ذلك ، وافترقنا مختلفين إختلاف الأصدقاء .

---

(٥٠٣) يأبى مسنده ، أى يأبى منصبه .

(٥٠٣ م) فى الأصل : « لا يعمل » وهى سقطه قلم .

٣٥٦٠

[ص ١٧٧٩]
فى يوم ٤ منه

لم يحدث شيء خلاف حضور محمود صدقى إلى عزبته ، (...)[٥٠٤] كاتبه ، وقال هو : إنه غضب على ناظر زراعته لاستمراره فى جمع القطن ، خلافا للاتفاق ، وأمره بإبطال الجمع ، فحضر ناظره لناظرى ، وأخبره بذلك . فقال هذا : إننا لسنا محتاجين لأنفار الآن ، فلا توقفوا الجمع . وقلت مثل ذلك لصدقى ، وأن الغرض من ذلك الإتفاق كان منع المزاحمة ، ولكنها حصلت فعلا ، وغلت الأجور بسببها ، ولم يبق لنا الا يومان ثم تنتهى .

فركن ركون من لم يكن مخلصا فى تظاهره !

ثم دعوته أن يبقى معنا للعشاء ، فأبى إلا إذا أحضر الأكل الذى حمله معه من اسكندرية ! فأحضر ، وأكل معظم أكله منه ، أما نحن فامتنعنا أن نأكل منه إلا قليلا . وأجاب الدعوة الى الغداء غدا .

وقد كان يكذب عندما نتحدث فى القطن وثمن محصوله عندنا وتصادف أنى خرجت لنفاجأ به[٥٠٥] فحضر كشف وزن القطن ، فسلمته الست اليه ليقرأه ، فقرأ ، وكان عما جمع من حوض الثلث ، وقد بلغ الجنى من تسعة أفدنة منه خمسة وعشرين قنطارا تقريبا . فتلعثم ، وقال : هذه الجنية الأولى ! قلت : لا ، بل الجنية الثانية . ثم قرأ وقرأ ، وأعاد السؤال ثانيا ، فقلت : لم يكن عندى الآن الا الجنية الثانية !

---

(٥٠٤) كلمة غير مقروءة .

(٥٠٥) قراءة تقريبية للعبارة .

عندى الآن الا الجنية الثانية ! فإنكمد ، وقال : إن محصول القطن صعـد[٥٠٦] فى هذا العـام ، خصوصـا فى الصعيد ، فـإنه يـأتى (. . .)[٥٠٧] وسبعة قناطير ! فقلت : نعم ، كذلك يقولون .

ثم جـاء ذكر المـرتب الذى كـان حريمـاتنا يـدفعنه الى أولاد عمتهن ، مساعدة لهم . فقال : إن والدتهم لا تـريد ، بعـد أن ورثوا من عمتهم ما ورثوا ، أن تستمر على قبض هذا المـرتب ، إلا من حرمى ! فكان لذلك أسوأ أثر عند حليلتى .

وانتهت السهرة ببرود كما ابتدأت . وكان ينف طول الوقت ويعطس ، لأن به زكاما . ومن نوادره أن الزكام نزل به قبل أن يأتى من اسكندرية ، وزعم أنه أحس به بعد أن جلس عندنا وكان أحد النوافذ مفتوحا !

وزعم أن أمين يحيى أراد أن يزيل سوء مـا بينه وبـين الأمير فؤاد ، فأبى ، حيث كان تقابل معه فى منزل يحيى باشا ، وسلم صدقى[٥٠٩] على الأمير ببرود !

يوم ٥ ، ٦ اكطوبر و ٧ أيضا

لم يحدث فى هذه الأيام الثلاثة شىء يستحق الذكر ، سوى أننا نسـافر اليـوم ٧ اكطوبـر الى مصر ، لـلاقامـة فيها زمن الخـريف والشتاء . وقد كانت الست والخدم مسرورين جدا من المـدة التى قضيناها هنا ، وتمنوا لو أنها لا تنقضى .

---

(٥٠٦) قراءة تقريبية .

(٥٠٧) كلمة غير مقروءة .

(٥٠٩) أى محمود صدقى .

وسأزور اليوم زراعة دمنهور ، وأعـود منها إلى مصـر الليلة .
وقـد أنهيت الجنية الثـانية إلا من ثـلاثة أفـدنـة وكسـر فى حـوض (. . .)[٥١٠] ، وبلغ ما جنى لغاية يوم ٥ منـه ٣٣ رطلا و ٣٢٥ قنطارا بما فيه المخزن الموفر .

[ص ١٧٨٠]

منه

ط	قنطار	عفيفى	ط	قنطار	رجوع
٧٩	٣٩		٨٧[٥١١]	و٣٨	
٦٧	٢٤٦	البكر[٥١٢]			

ومما يذكر هنا أن أحمد صالح ناظر الزراعة ، قدر ، بعد الجنية الثانية ، الباقى بمائة وسبعين قنطارا ، منها أربعون من « الرجوع » ، والباقى من الأنواع الأخرى .

وقد جاءت النتيجة طبق ما قال ، وربما زادت زيادة طفيفة ، إذ لم يبق لتحقيق ظنه إلا ثلاث قناطير وكسور ، والباقى من جنى ثلاث فدادين وكسور ، فينتظر أن يأتى منها ستة قناطير فأكثر .

وقد كان أرسل أمس إلى ناظر محمود باشا ، بأن يضيف الأنفار الذين يجنون عنده على الذين يجنون عندنا ، حتى ننتهى من الجنى أمس ، وتكون جميع الأنفار عنده اليوم . فأبى نوعاً . وقد فعل ذلك حتى لا أتأخر عن السفر ، ولكنى لم أتأخر عنه لأن الباقى واهى !

---

(٥١٠) كلمة غير مقروءة ، وقد تكون التبين .
(٥١١) القراءة تقريبية لأن الرقم مطموس بالحبر ، وقد تكون ٧ .
(٥١٢) هكذا تقرأ ، وقد يقصد : السكلاريدس .



الكراسة التاسعة والعشرون

الجزء الثالث

الكراسة التاسعة والعشرون

الجزء الثالث

من ص ١٦٤٢ ـ ص ١٦٤٣

من يوم ٨ أكتوبر ١٩١٧

٨ أكتوبر ١٩١٧

المحتويات :

- مرض السلطان واعلان الأمير أحمد فؤاد بأنه سيعين سلطانا خلفا له .
- مقابلة سعد زغلول للمندوب السامى السير ريجنالد ونجت ، وحديث عن الحرب ، ورفض ونجت مفاتحة سعد زغلول له فى حالة مصر السيئة بمناسبة الكلام عن نهاية الحرب .

[ص ١٦٤٢]
٨ أكتوبر سنة ٩١٧

قد سافرنا ، ومكثنا بالعزبة لغاية أول أمس . ثم حضرت أمس بعد أن زرت زراعة دمنهور .

ولا حديث للناس الآن إلا عن مرض السلطان حسين وتعيين خلفه . وقد اتفقت الآراء على تعيين الأمير فؤاد . ويؤكدون أنه أعلن أمس بذلك . ورأيت أن أذهب اليوم للسؤال عن صحة السلطان ، فعلمت أن حالته صعبة .

وذهبت إلى ونجت ، فقال لى تشريفاته الشاب : إنه مشغول . فقلت : إنى لا أريد سوى السلام عليه ، والشكر له على تفضله بتهنئتى فى العيد . فقال : سأرتب لك جلسة . وبعد انصرافى ، قال لى فى التليفون : إن نائب الملك آسف لعدم مقابلتك ، ويريد أن يراك فى الساعة ١١ من هذا اليوم .

فقال لى : إنى مسرور من رؤياك ؛ وأحب أن أراك على الدوام . فشكرت له تلغرافه ، وأبلغته عذرى فى تأخير الرد . وسأل عن الست ، وسلم عليها .

وتكلم فى الحرب بأن حالتها عظيمة فى جانب الحلفاء ، وأنهم لابد فائزون ، وسينتقمون من الألمان على (. . .)(٥١٣) ، وتعديهم على غير المحاربين من النساء والأطفال . وقد كانوا صبروا على هذه الفظائع حتى كثرت ،

---

(٥١٣) كلمة غير مقروءة ، وقد تكون : « وحشيتهم » .

وضج الناس بها ، وفاتهم أنهم بأفعالهم هذه ألزمونا بأن لا نرقب فيهم إلا ولا ذمة ، ولا تضع السيف حتى نقتل تلك الروح العسكرية فيهم . وقال: إن الديموقراطية فى الروسيا ستدفعها إلى الأمام ، وتبعثها على الانتقام [**ص ١٦٤٣**] غير أن الثورة فيها أخرت النصر ، ولكنه سيتم حتما للحلفاء .

قلت : هذا لاشك فيه ، ولكن الروس قوم جاهلون ، فكيف انبثت فيهم هذه المبادىء بهذه السرعة الغريبة ؟

فقال : إنهم قوم شداد غلاظ ، متى أقدموا لا يحجمون ، ومتى اندفعوا لا يصدهم شىء . فهم كالخيل بغير لجام ، إذا انطلقت .

وقال : إن الألمان يجهلون صفات الأمم ، وهذا عيبهم الذى لابد أن يهلكهم .

ثم أردت أن أنقل الحديث إلى الضنك الذى ابتدأت البلاد تشعر به ، بمناسبة الكلام عن نهاية الحرب ، وتمنى قربها . فرأيته غير مرتاح لهذه المقالة ! فلم أشأ أن أتوسع فيها . وانصرفت شاكرا مشكورا .

قد تقابلت مع عدلى فى منزله ، ولكنى وجدته تعبا ، ولم نتكلم إلا قليلا . وصحبته إلى منزل رشدى باشا ، وانصرفت . ولم أرد أن أزوره لأنى عولت على اجتنابه بقدر الامكان .

ورأيت أمين يحيى فى النادى ، وكذلك اسماعيل صدقى ، وعلى كل منهم دلائل الإنشغال ، وعلامات الفكر ، حتى كانا لا يصغيان لكل ما يقال ، وينتظران قطع الكلام .

٢٥٦٨

وقد عدت مع شكرى باشا،ورددنا أثناء الطريق ما لاحظناه عليهما من انشغال البال .

من سفه الأحلام الإهتمام بالزائل ، والسعى خلف الخيال .



٤٥
الكراسة الثلاثون
الجزء الثالث

الكراسة الثلاثون

الجزء الثالث

من ص ـ ١٦٥٥ – ص ١٦٩٨

من يوم ٦ أكتوبر ١٩١٧

إلى يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١٧

المحتويات :

- وفاة السلطان حسين كامل وتشييع جنازته .
- تعيين أحمد فؤاد سلطانا بعد تنازل الأمير كمال الدين حسين عن حقه ، ومحاولة الحكومة البريطانية أن تسند هذا التعيين إلى اختيارها وليس إلى حق الوراثة .
- السلطان أحمد فؤاد يقرر صلاة الجمعة فى مسجد القلعة ، والسلطة العسكرية تعترض على ذلك .
- سعد يزور الأمير كمال الدين حسين ويقول إنه خرج من لدنه أقل اعجابا به !
- الاشاعات بزواج السلطان فؤاد بكريمة عبد الرحيم صبرى باشا ، نازلى .
- سعد ينتقد خطاب رشدى باشا إلى السلطان .

- السلطان فؤاد يريد تعيين أمين يحيى باشا كبيرا للأمناء مكان سعيد ذو الفقار باشا ، والانجليز يرفضون .
- مصلحة التموين تستولى على مقر الجمعية التشريعية بموافقة رئيس الجمعية ، واحتجاج سعد على ذلك .
- تباهى أمين يحيى باشا بعلاقته بالسلطان فؤاد ، واستياء سعد لذلك .
- سعد زغلول يرفض حضور صلاة الجمعة فى مسجد القلعة مع السلطان فؤاد ، ويعد ما يفعله السلطان رياء ومتاجرة بالعبادات .
- سعد يفكر فى البحث عن وظيفة مستشار فى الأوقاف بعد خسائره فى لعب الورق وبيع الأطيان ، ويعدل عن ذلك لمخالفتها للعهد الذى قطعه على نفسه عند انتخابه نائبا .
- صدور مرسوم سلطانى بمعافاة من يتطوع فى الجيش الانجليزى لمدة سنة من الخدمة العسكرية المصرية ، وسوء وقعه فى نفوس المصريين ، وتشاؤمهم من حكم السلطان أحمد فؤاد .
- شكوى سعد من أقربائه .
- سعد زغلول يطعن على علم التاريخ فى حديث مع عزيز خانكى .
- السلطان فؤاد يريد إخراج سعيد زغلول من وظيفة تشريفاتى فى السراى .
- حسين رشدى باشا يلمح لسعد زغلول بترشيحه لتولى وزارة الزراعة ، وسعد لا يعلق أهمية لأن حسين رشدى لا يقوى على تنفيذه !
- حسين رشدى يقدم للسلطان فؤاد كشفا بأسماء المرشحين للوزارة ، وفى مقدمتهم سعد زغلول واسماعيل صدقى .

٢٥٧٢

- ذيوع خبر ترشيح سعد زغلول للوزارة .
- دعوة السلطان فؤاد سعد زغلول للغداء ، وحديث طويل معه .
- انتخاب عدلى باشا رئيسا للنادى خلفا للأمير أحمد فؤاد .
- نفور سعد زغلول من فكرة تعيينه وزيرا .
- قصة إبراهيم فتحى باشا ورير الأوقاف .
- السلطان يطلب من سعد زغلول بواسطة أمين يحيى حضور صلاة الجمعة فى معيته فى جامع السيدة زينب .
- طعن أمين يحيى على الوزراء وتحامله على حسين رشدى باشا .
- استهجان سعد زغلول فكرة دعوة الجمعية التشريعية لتحلف يمين الطاعة والاخلاص للسلطان .
- اعتراض حرم سعد زغلول على ترشيحه للوزارة .
- سعد زغلول يصف تدهور مركز الوزارة فى عهد الحماية .
- اعتراض سعد على أمر السلطة العسكرية بمنع تصدير القطن إلا بترخيص من لجنة لهذا الغرض .
- سعد يحضر تمثيل رواية كارمن بواسطة فرقة منيرة المهدية ، وينتقد جمهور المشاهدين .
- قضية فصل مجلس الجامعة المصرية عبد العزيز فهمى .

[ص ١٦٥٥]

فى يوم ٩ أكطوبر ٩١٧

فى ظهر هذا اليوم توفى السلطان حسين كامل ، وكان قد رقى عرش السلطنة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٤ . وقد نعاه لى سعيد بك زغلول بالتلفون عقب الوفاة بربع ساعة ، فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وسرت إلى عابدين ، فوجدت فيها السر ونجت ، بأودة كبير الأمناء ، وبالأودة التى بجانبها : رشدى باشا ، ومحمود شكرى باشا ، وإبراهيم فتحى ، وتقلا صاحب جريدة الأهرام . وقابلنى فى الطرقة يوسف باشا وهبه ، والكل وجوم ، تعلو وجوههم قترة(٥١٥) الحزن ، ورشدى باشا يبكى ، والدموع تسيل من عينيه ، ويوسف باشا أخذ يشجعه ، ويقول له : لا تسلم نفسك إلى الحزن ، فعليك واجبات تؤديها !

وبعد قليل ، دعاه ونجت إليه ، فذهب ، وحضر حسين واصف ، وتسرب الحاضرون واحدا بعد واحد ، وانصرفت - كذلك - محوقلا(٥١٦) ومكبراً .

ورأيت حرمى قد عاد من عيادته ، ورأيت الكآبة تعلوها ، فأعطيتها الخبر ، وأخذت(٥١٧) أحدثها حتى هدأت ، ونظرت إلى الصور المعلقة فى جدار القاعة التى كنا بها ، وإذا بها صور كثير ممن

---

(٥١٣) قترة الحزن أى مسحة الحزن ، والقترة هى الغبار .

(٥١٦) أى يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥١٥) فى الأصل : فأخذت .

توفوا ، فقلت : ليس من تـوفى - الآن - بأعـز من هؤلاء ، فقد ذهبـوا من قبله وسيذهب غيـرهم ، ونحن كذلـك ، هكذا حـال الدنيا ، ولعنة الله علي من يركن إليها ، أو يغتر بها . ومادام الموت غاية الأحياء فيها ، فلا خير منها .

ولقد كان مظلوم باشا عندى قبيل نعى الوفاة بقليل ، وجرى ذكر الخلف ، فأخذ يشكو من المقربين منه مر الشكوى ، وذهب على وعد أنه يخبرنى بالخبر إذا تلقاه .

وعلمت - الآن - من حرمى ، أن البرنس كمال الدين ، نبه أن لا يلبس النسـاء السواد فى السـراى ، وأن المعزيـات يحضـرن لابسات ما يشأن ، وأن العائلة الأسيفة سترحل إلى هليوبوليس بعد الدفن ، والله مورث الأرض ومن عليها .

[ص ١٦٥٦]

إستغن عما شئت ، أو عمن شئت ، تكن نظيره .

الطمع مذلة ، والقناعة معزة .

فى يوم ١١ أكطوبر سنة ١٩١٧

إحتفل أمس بدفن السلطان حسين ، فاحتشد لتشييع جنازته خلق كثير من سائر الطبقات والأجناس والملل والنحل ، وكل آسف عليه . ولكن المشهد لم يكن مهيباً ، لأن المتفرجين كانـوا كثيرين جدا ، مُلئت بهم سطوح المنازل وشرفاتها ونوافذ غرفها ، وجوانب طرقها التى مرت الجنازة منها، وكانت أصواتهم وغوغاؤهم ترتفع

ارتفاعا هائلا ، ينمحى فيه وقار المشهد واحتشامه ، وكانوا قد أعدوا خيمة بجانب الرفاعى[٥١٨] ، جلس الناس فيها .

وحضر رشدى باشا ، مُوفداً من قبل البرنس كمال الدين ، يشكر المشيعين ، فصافح من صافح منهم شاكراً .

وقد نشرت الجرائد أول أمس صورة الإفادة ، التى بعث بها نائب الملك إلى الأمير أحمد فؤاد ، وحاصلها أن حكومة بريطانيا أسفت لوفاة أخيه ، ووجهت إليه هذا السند لكونه من عقبه ، وتثق بكونه يعمل فيه على قاعدة الصداقة التى جرى عليها سلفه ، وأثمرت الخير للبلاد .

وكذلك نشرت إفادة صادرة عن الأمير كمال الدين ، إلى عظمة والده ، فى يوم ٨ أكطوبر سنة ٩١٧ أى قبل وفاته بيوم ، حاصلها أنه تنازل عن جميع حقوقه فى وراثة السلطنة المصرية ، وهو مقتنع أنه يخدم بلاده ، فى حالته الحاضرة ، أكثر مما يمكن أن يخدمها فى حالة أخرى .

وقد وقع هذا الخطاب أجمل وقع عند الناس ، أكبروا شأنه ، وقالوا : لو لم يترك السلطان حسين أثرا فى البلاد ، سوى هذا الولد الصالح ، لكفاه فخرا ومجدا .

وقد أخبرنى عدلى أن الذى حرر هذا الخطاب للأمير، برونييت[٥١٩] مستشار وزارة الحقانية . وكذلك أخبرنى بأن نص الإفادة الصادرة من ونجت إلى الأمير فؤاد لم يكن كما ظهر

(٥١٨) أى : مسجد الرفاعى .

(٥١٩) Sir William Brunyate .

[ص ١٦٥٧] فى الجرائد ، بل كان يشمـل على أن الحكـومة الإنجليزية إختارت هذا الأمير أن يكون سلطانا ، فسعى عدلى فى تعديله بالنص المنشور ، ليكون تعيين هذا الأمير بحكم الوراثة ، لا بحكم الإنتخاب .

وقال لى عدلى : إن الأمير(٥٢٠) قال بأنه لا يقبل أن يتعين إلا إذا حصل هذا التعديل .

وقال أيضا : إنه رغب أن يشتمل الأمر الصادر منه إلى رشدى ، على عبارة تدل على رغبته فى توسيع الحكم الذاتى ، ولكنه لم يتم له ما أراد .

قلت : إذن يصـح لنا أن نـأمـل منـه الخـير ، ولكن النـاس مستـوحشـون منـه ، أغلبهم نـافـر ، ولكن أصحـابنـا سـريعـو التحول(٥٢١) . وللسياسة أحكام وأحوال .

فى الساعة سبعة ونصف من هذا اليوم ، أخبرنى أمـين باشـا يحيى ، بـأن عفيفى انفصل ، وتعـين مكانـه محمد بـاشا فهمى . فقلت : إبتداء حسن ! قال : وكذلك أراتين(٥٢٢) . قلت : إبتداء أحسن ! قال : إنى أبشرك بهذا الآن ، وسأبشـرك بغيره قـريباً . قلت : وفق الله الأمير لما فيه الخير بهمتك . وانصرف من التلفون .

---

(٥٢٠) أى الأمير فؤاد .

(٥٢١) أى الأمراء يتحوّلون بسرعة عندما يصبحون ملوكا . وقد تحقق قول سعد زغلول ، لأن الملك فؤاد أثبت أنه عدو لدود للديموقراطية وأنه حليف مخلص للاحتلال .

(٥٢٢) هكذا تقرأ .

٢٥٧٨

وقد ذهبنا إلى عابدين فى نحو الساعة تسعة وأربعين ، فوجدنا بها العلماء ، والقضاة ، وأعضاء الجمعية التشريعية ، وكثيرا من الموظفين ، غير أن الكل لم يكونوا كثيرين كثرتهم فى الاحتفال بصعود السلطان حسين على العرش ، ولا فرحين .

وقد صفونا فى مدخل السراى ، فوقف أولا الأمراء ، ثم العلماء ، ثم رئيس الجمعية ، ووكيلها ، ثم المستشارون ، ووكلاء الوزارات ، ثم ضباط الجيش .

وبعد عشر دقائق من الميعاد المعين - أى فى نحو الساعة ١٠ , ١١ ، وفد السلطان ، وعلى يساره رشدى باشا ، وتبعه بقية الوزراء فى عربة أخرى ، فصافح الحاضرين على ذلك الترتيب ، يدا بيد ، وما كان متنبها . ثم صعد خلفه الأمراء ، ثم جرت التشريفات ، على هذا الترتيب أيضا .

ولكن العميد ، أو نائب الملك ، توسط بين العلماء والجمعية التشريعية ، وقد كان يسلم على كل واحد من الأعضاء ، وأذكر له إسم كل من تقدم ، وقد كان صوتى خافتا ، وأحيانا أخلط فى الاسم .

[ص ١٦٥٨]

ثم خرجنا ، وانطلقنا إلى مصر الجديدة ، حيث كتبنا أسماءنا فى قصر المغفور له السلطان حسين ، وعدنا . وكنت مع كل من[٥٢٣] فتح الله باشا بركات ، وقلينى باشا ، وإبراهيم سعيد باشا ، وعدت

(٥٢١) أضفنا « من » .

إلى منزلى . وفى الساعة ٣ ونصف زارنى أمين يحيى باشا ، وكنت نائما ، فترك ورقة الزيارة وانصرف .

فى يوم ١٢

نشرت جرائد اليوم خبر انعام الملك(٥٢٤) على السلطان ، بنيشان الحمّام(٥٢٥) ، وصدور أمر السلطان بتلقيب قرينة السلطان حسين « بعظمة السلطانة ملك » ، وكل من الأمير كمال الدين ، وحرمه ، وكريمة السلطان فؤاد ، وكريمات السلطان حسين بلقب « صاحب السمو السلطانى » .

ونشرت خبر استعفاء عفيفى باشا ، وتعيين محمد فهمى باشا مكانه ، واستعفاء أراتين بيك من سكرتارية السلطان .

وروى إلى سعيد أن السلطان أحمد فؤاد أعلن محمود فخرى ، بأنه لا ينوى تغييرا فى رجال المعية . ويقول الذين يتتبعون حركاته : إنه يعامل من حوله من مستخدمى سلفه معاملة لطف ومجاملة .

وقد زار دار الحماية ، ثم الأمير كمال الدين ، وفى نيته أن يزور - اليوم - عظمة السلطانة ملك ، بلا أبهة ، ولا موكب . وقيل إن صاحب السمو السلطانى ، الأمير كمال الدين ، سيهدى إليه خمسة أوتومبيلات ، تركها والده .

وقد تغدى الوزراء على مائدته أمس . ولم أستحسن هذا ، لأن

---

(٥٢٢) أى ملك انجلترا .

(٥٢٣) نيشان الحمّام Grand Cross of the Bath أو نيشان صليب الحمّام السامى .

هؤلاء الوزراء كانوا وزراء لأخيه ، والغدا من الأعمال الشخصية ، ولا ينبغى أن يباشر فى اليوم التالى لوفاة سيدهم ، ولكن هكذا حصل .

وقد رأيت اليوم فى النادى أمين يحيى ، فقال لى : إن عظمة السلطان دعى إلى ذلك الغدا (. . .)[٥٢٦] بيك ، الياور الإنكليزى ، فاعتذر أولا بأنه لم يكن لابسا ، فأصدر الأمر إليه بأن يلبس لباسه ! فقال : إن عنده شغلا ! ولم يحضر للغدا ! فغضب عظمته من ذلك ، وأمر أن لا يبقى فى خدمته .

[ص ١٦٥٩]

ورشدى باشا يشتغل الآن فى تنفيذ هذا الأمر ، ولعل هذا الياور رفض الاشتراك فى الغدا تأثرا على السلطان الراحل ، وشعورا بعدم اللياقة أن يأكل على مائدة سيد جديد[٥٢٧] فى اليوم التالى لوفاته .

وأخبرنى الباشا المشار إليه ، بأن عظمته لم يصل الجمعة اليوم ، لأنه أراد أن يصلى أول صلاة فى جامع القلعة ! ولكنه وجد السلطة العسكرية تعارض فى استعمال هذا المسجد فى الأوقات الحاضرة ، لأن المنطقة التى هو فيها منطقة حرب ، فشدد السلطان ، وأبى إلا أن تنفذ إرادته ، فانصاع المعارضون . وسيصلى فيه الجمعة الآتية .

ولكنى ما فهمت إصرار عظمته على هذا ؟ وبيوت الله كثيرة !

---

(٥٢٦) اسم غير مقروء .

(٥٢٧) فى الأصل : سيد باشا ، وهى زلة قلم ، والأقرب للصحة ما كتبناه فى المتن .

وأفضل له أن يصلى فى بقعة يسهل على المصلين الاجتماع فيها ، ويعتبرها الكافة أفضل بقعة . ولكن لكلٍ فكر .

وأخبرنى الباشا بأن إثنين من الوزراء خارجان ، ولم يقل عنهما ، ولكن الناس عينوهما بحلمى وفتحى(٥٢٨) ، وما هذا إلا تقهقر !

زرت أمس الأمير كمال الدين ، وخرجت من لدنه أقل إعجاباً به من دخولى عنده ، لأنى فهمت أنه متنازل عن العرش الذى يؤول إليه من أبيه ، ولكنه ليس متنازلاً عنه إذا آل إليه من طريق آخر ! فقد قال لى :

إذا انقرضت عائلة محمد على ، ولم يبق منها إلا هو ، فإنه يطالب بعرش مصر ، لأن جده اكتسبه عن الحسام(٥٢٩) . وغاية ما فهمت من هذا ، أنه مادام العرش فى العائلة العلوية ، فانه يفضل أن يكون أميرا على أن يكون سلطانا ، ولكنه إذا دار الأمر فيه بينه وبين أجنبى اختار نفسه على الأخير الأجنبى !

ومما قلل إعجابى به أنه قال : إنه لا وطن له ، ولا يعرف إلا أنه مسلم فقط(٥٣٠) . وإنه يحب مصر ، ولكنه يكرهها لأن موقعها الجغرافى يحتم أن لا تكون لنفسها ، ولابد أن تكون تابعة لدولة أخرى ! وإنه يفضل الانكليز على غيرهم .

وقد قال لى : إن خطاب التنازل حرره برونيت ، ونقّح فيه ،

---

(٥٢٦) يقصد : أحمد حلمى وزير الزراعة ، وإبراهيم فتحى باشا وزير الأوقاف

(٥٢٩) هكذا تقرأ ، والمعنى ـ اذا صح ـ أنه اكتسبه بالسيف والحرب .

(٥٣٠) أى أنه ينتمى لفكرة الجامعة الاسلامية ، ولا ينتمى للفكر القومى

وإن المسودات التى سبقته محفوظة عنـده ليوم مـا ، لأن فيها خط ونحت وغيره . وما وجدته متأثرا على أبيه ، وما فهمته حق الفهم !

[ص ١٦٦٠]
فى يوم ١٣ ، و١٤ أكطوبر سنة ٩١٧

تغدى يوم ١٣ يعقوب أرتين ورشدى باشا مع السلطان ، وتأثر الناس من كون أول من أكَّله يعقـوب أرتين ! وشـاع فى الدوائـر النسائية أن عظمته سيتأهل بكريمة عبد الرحيم باشا صبرى ، مدير المنوفية . ونقل هذه الإشاعة صالح باشا ثابت ، عن الخواجة أدولف قطاوى . كما روتها الأميرة عزيزة عن صاحبة السمو السلطانة فوقية كريمة السلطان . ويقولون إن عظمته رغب تعيين أمين بـاشا يحيى مكان سعيد ذى الفقار(٥٣١) ، فقيل له إن هذه الـوظيفة سيـاسية يشغلها رجل تدرب عليها من الصغر ، والمرشح لها قليل الإختبار ! وكذلك أراد تغيير فتحى وحلمى ، فلم يُقبل منه ذلك .

قـابلت عدلى ، وقـرأت لـه خـطاب رشـدى إلى السلطان ، وقلت : إن فيه إدعاء ، وليس فيه كلام رجـل الدولـة . وأنحيت باللائمة على الحكومة ، التى لم تبرهن على ميلهـا للشورى ، ولـو باستشارة ذوى الرأى فى مهام الأمور ، غير رسمى ! وأظهرت عجبى من كون أمم الأرض تشتغل بمجالسها النيابية إلا مصر !

وحضر هذا وذاك أمين باشا يحيى .

وفى يوم ١٤ منه إنعقد مجلس إدارة الجمعية(٥٣٢) ، وابن الفقيد

---

(٥٣١) سعيد ذو الفقار باشا ، كبير الأمناء .

(٥٣٢) يقصد الجمعية الخيرية الاسلامية ، انظر حاشيتنا رقم ٣٦٥ فى الجزء الثالث من مذكرات سعد زغلول .

فيه سمو رئيسها[٥٣٣] ، وارتفعت الجلسة حدادا عليه ، وذكر أن سمو نجله تبرع للجمعية على روحه بمبلغ ألف جنيه ، ورئيسها بمبلغ ستمائة جنيه . ودعا[٥٣٤] الأعضاء لأن يتبرع كل منهم . فأجابوا ، وأجلوا تعيين المبالغ لخلوة كل منهم بنفسه .

وذهبت إلى النادى فى الساعة ٧ ، وجرى ذكر إشاعة زواج السلطان بكريمة عبد الرحيم[٥٣٥] أو فؤاد الأرناؤطى ، فكذب عدلى ويحيى هذه الإشاعة ، وقال عدلى : لا ينبغى لجماعة اليهود أن يتلاعبوا بأسرار السلطان ، لأنهم إذا كانوا أصدقاء به من قبل من غير تكليف ، فارتقاؤه إلى عرش السلطنة ، يلزمهم بكثير من التحفظ فى شأنه ، لأنه لا ينبغى فى جانب السلطان ما كان ينبغى فى جانب غيره . وطلب من يحيى أن يفاتح السلطان فى ذلك ، فامتنع يحيى ، بحجة نزاقة[٥٣٦] المسئلة .

[ص ١٦٦١]

وانصرفت على ذلك ، وقال لى عدلى - ضمن ما قال - إن زواج السلطان أمر حكومى ، فلا ينبغى مباشرته من غير أن يكون للحكومة شأن فيه .

وقد سمعت من سعيد بك أن السلطان رفت ستة أنفار من

---

(٥٣٣) كان رئيس الجمعية هو الأمير يوسف كمال ، وقبله الأمير حسين كامل .

(٥٣٤) فى الأصل : دعى .

(٥٣٥) أى عبد الرحيم باشا صبرى .

(٥٣٦) النزق الخفة والطيش .

الخدم ، كلهم أقارب سفرجى باشا ، فاستصغرت هذا العمل ، على كبر ذلك المقام ! وتطيرت من كون هذا يكون فاتحة أعمال سلطان ! واستدللت منه أنه ممنوع من مطاردة الكبار ، فاتجهت عاطفة الظلم فيه إلى مطاردة الصغار !

ولقد رأيت من عدلى تنازلا لم أكن أعهده فيه ! وهشاشة وإقبالا على أمين يحيى لم أشعر بهما من قبل ! وتمدحا بمناقب السلطان لم أسمعه منه ! وربما سمعت منه غيره ! أو عكسه ! والله مقلب الأحوال !

وقد جرى ذكر رشدى ، فقلت : إنه سأل عنى أمس بالتلفون ، ولما قيل له إنى نائم ، قال : إنى كنت أريد زيارته ، ويظهر أنه اكتفى بإظهار هذه الإرادة عن تنفيذها ! قال عدلى إنه قال له : إن سعدا[٥٣٧] نافر منى ، لأنه لم يزرنى مع قرب الدار ! قلت : خشيت قلة أدب خدمه !

وذكر لى بعضا من أخلاق رشدى ، وسوء معاملته ، كأن يقول لزملائه عند انصرافهم : الآن أترك لكم حرية الإنصراف !

والظاهر أن عدلى يريد أن يلعب به ، ويأخذ مكانه ، وأمين يحيى من وسائل هذه الغاية ! والله أعلم !

١٥ أكطوبر

إحتفل اليوم باستقبال المحمل ، تحت رئاسة السلطان ، وحضر

(٥٣٧) فى الأصل : سعد .

الإحتفـال خلق كثير من سـائر الـطبقات ، ومن الـذين لم يعتادوا الحضور . وكان يظهر على السلطان شيء من الجفاء يشمله ، وقليل من التواضع . وتكلم مع الأمير كمال الدين ، ثم مع الشيخ أبـو الفضل شيخ الجامع . ونظر إلىَّ من بعيد مبتسما وقد كنت جالسا فى الصف الثانى على يساره . وانفض الاحتفال بالاحتشام .

وتـوجهت مع بقيـة أعضاء الجمعيـة الخيريـة الإسـلاميـة إلى عابدين ، لكتابة أسماءنا تعزية . وتلاقينا[٥٣٨] [ص ١٦٦٢] فقال : إنك هجرتنى فى وقت الحاجة ، لأن حالتى تقضى أن أكون محاطاً بأصدقائى لأن يشجعونى .

قلت : إنى أحجمت عن زيارتك لاعتقادى بأنك مشغول !

قـال : إننـا إخـوان ، ولا تـظن أنـه يفـرق شىء بيننـا ، فلا تتخيل،[٥٣٩] وكن لى أخاً ، كما أنا لك ..

قلت : كذلك !

ثم سـألنى عن الكتابـة التى تبـودلت[٥٤٠] فى مـوضـوع نعى السلطان الراحل ، وتشكيل الوزارة ؟

قلت : عظيمة ، ولكن جوابك بتشكيل الوزارة ، كان جواب المتأثر الزاهد فى الشىء[٥٤١] .

---

(٥٣٨) أى تلاقى سعد زغلول مع حسين رشدى باشا .

(٥٣٩) قراءة تقريبية .

(٥٤٠) فى الأصل : تبادلت .

(٥٤١) كان حسين رشدى باشا قد تخلى فى خطاب تشكيل وزارته عن وزارة الداخلية التى كان يتولاها ، وأسندها إلى عدلى يكن باشا ، واحتفظ لنفسه برياسة مجلس الوزراء .

قال : نعم ، لأنى كتبته وأنا فى أشد حالات التأثر . وما كنت أريد البقاء ، ولذلك لم أزد كثيرا(٥٤٢) ، ولكنى وجدت فى السلطان الجديد ما أعجبنى شكله وموضوعه ، ولم يبد(٥٤٣) منه لغاية الآن إلا كل شعور شريف وعمل صالح .

قلت : خيرا! ذلك ما كنا نبغى ! وقلت فى نفسى : ذلك ما قدرته وحسبته من قبل ، وكررت هذا لعدلى ، فأتى على ما فى نيته .

وقد علمت أن مصلحة التموين أخذت مكان الجمعية التشريعية ! فتأثرت من ذلك وسألت رشدى ، فقال : انه افتكر فى ذلك ، وكتب به إلى رئيس الجمعية ، فوافق !

قلت : لم يكن يخطر ببالى أن مكان الجمعية يؤخذ ، فى الوقت الذى صرح فيه السلطان بأنه سيشترك فى الحكم مع نواب الأمة !

وأخذت هذه المسئلة مكاناً من فكرى ، وخطر لى تارةً أن أشكو منها إلى السلطان ، وتارة إلى ونجت .

وقد اجتمعت فى النادى مع عبد العزيز فهمى ، وشعراوى ، ولطفى السيد ، وكان شكرى باشا حاضرا ، فقلت : إن أخذ مكان الجمعية إهانة لا يليق أن تقابل بالسكوت ، ويخطر ببالى أن نشكو أمرنا إلى ولاة الأمور ، فإن لم يرضونا تنازلنا عن المرتبات لأنه لا يليق بكرامتنا أن نتناولها بعد ذلك !

فقالوا : رأى صائب ، وشعور حى .

---

(٥٤٢) أى لم يزد فى الخطاب ، وقد تقرأ : لم أرد تغييرا .
(٥٤٣) فى الأصل : يبدو .

وقال عبد العزيز : ولكنى أشعر بشىء فى هذا الموضوع ، لا أقدر أن أعبر عنه ، وربما أمكنك أن تشرحه ، وهو أنى لا أريد أن أعدِّل تلك السلطات ولا أفعل ما يؤخذ منه إقرارى عليها .

قلت : ولكننا أقررنا .

قال : إنى ما أقررت ! قلت : أقررت بحضورك [ص ١٦٦٣] التوليّات[٥٤٥] وخطابتك بين أيدى السلطان الراحل !

قال مكره !

قلت : كلنا ذلك الرجل .

وبعد أخذ ورد ، استقر الرأى على تأخير المسئلة إلى ما بعد غد ، للبت فيها .

وقد تصدق الأمير كمال الدين على روح أبيه إلى الجمعية الخيرية الاسلامية ، بمبلغ ألف جنيه ، وإلى غيرها من الجمعيات الخيرية بمبالغ خيرية . وتصدق الأمير يوسف[٥٤٦] بستمائة جنيه ، وعظمة السلطان بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه .

وقد زرنا الأمير كمال الدين فى قصره ، ولم نحظ منه بحديث يكتب .

وقال رشدى باشا : إن عظمة السلطان طلب منه صادق رفعت لأن[٥٤٧] يكون سكرتيرا له ، فاعتذر ثلاث مرات ، ومع ذلك قد

---

(٥٤٥) أى : تولى السلطان حسين وتولى السلطان فؤاد .

(٥٤٦) الأمير يوسف كمال ، رئيس الجمعية .

(٥٤٧) فى الأصل : أن .

وشى بعض الناس لدى عظمته ، بأنى أريد تعيين صادق ليكون لى رقيبا(٥٤٨) فى السراى ، فكان ذلك برهاناً على براءتى عنده .

قلت : إن هذا الواشى غشيم ، ولابد أن يكون ليس مصرياً.

وبعد ذلك قال عدلى لى - مداعبا -: أتى هذا إلى رشدى وهو يقول إن السلطان لم يخبره ؟.

ولم أستحسن من رشدى حكاية المسئلة على هذا الوجه .

فى ١٧ منه

توجهنا أمس ، بصفة أعضاء الجامعة، وكتبنا أسماءنا فى سجل التشريفات.وكذلك فعلنا لدى الأمير كمال الدين ، وعظمة السلطانة ملك .

وقد جدد رشدى باشا ذكرى مسئلة صادق رفعت فى المكانين الأولين ، وقال لصدقى : إنه تأكد من براءته ومَن يكون الواشى ! فقلت له : إن تكرار إعتذارك عن ترك صادق ليس بدليل قطعى على براءتك ، لاحتمال أن تكون أوعزت من الباطن بتعيينه ، وتظاهرت فى الظاهر برفضه !

ثم قال فى منزل الأمير كمال الدين : إن السلطان أعلنه بـأن ما بينهما من الود قوى جداً ، لا يمكن لشعرة من الدسائس أن تنفذ منه . قلت : ينبغى أن تعلن ذلك لجماعة الدساسين حتى يكفوا عن دسهم ، ثم قال : إن الدسيسة منشؤها من حلوان ! قلت : إن كان كذلك ، فيكون [ص ١٦٦٤] حسن صبرى هو المنشأ !

---

(٥٤٨) فى الأصل : رقيب .

فأمن على ذلك كل من رشدى وثروت ولطفى بك السيد . وقيل إنه يخدم بذلك حشمت . فقال رشدى : إن هذا يستحيل عليه الدخول فى الحكومة ، مادام هو موجود فيها ، حتى وبعد و. رده !

ويعلم الله أنى كنت أشعر ، من تكرار رشدى الكلام فى مسألة صادق ، شعورا بعيدا بأنه كان يقصد إنساناً حاضراً ! ويدل على ذلك قولى له : ينبغى أن تقول ذلك للدساسين ، حتى يكفوا عن الدس !

ولكنى ما كنت أعرف أنى أحد الثلاثة الذين كان يعنيهم بالقول ! حتى قابلت عدلى - أمس - فى النادى ، وأخبرنى أنى أنا من ضمنهم ، ومحمد سعيد ، وصدقى اسماعيل(٥٤٩) ، فعجبت من ذلك ، واستغربت من حالة رشدى ، الذى يعلن لى الأخاء ، وفى الوقت نفسه يضمر لى مثل هذه التهمة !

ورأيت أن أفاتحه فى ذلك ، فمررت بداره فى نحو الساعة الثامنة ، فلم أجده بها ، فتركت له خبرا بأنى أريد أن أقابله عند حضوره ، وأنه - إذا شاء - أخبرنى بذلك بالتلفون . ولكن لم يرد منه خبر الليلة البارحة ، ولا اليوم إلى الساعة الثامنة ونصف . وقد بت ليلى قلقا من ذلك ، ولكنى صممت على أن لا أفاتحه فى هذا الشأن ، وأن أعتبره مضى من الآن ، والسلام .

وقد أخبرنى عدلى - فى النادى - أنه أخبر رشدى بأنه أخبرنى بما ألقى إلى رشدى ضدى ، فقال له : هذا ، ولعلك أخبرته بأنى استبعدت هذه الدسيسة عليه ؟ قال له : نعم فعلت .

---

(٥٤٩) لعله يقصد : اسماعيل صدقى .

فقلت لعدلى – وكان عبد الخالق[٥٥٠] حاضرا – : إن رشدى اعترته خفة وطيش ، لأنه قبل أن يتكلم فى منزل كمال الدين فى هذه المسئلة ببضع دقائق ، كان يعلن إخاءه لى : ويقول : إننا إخوان يلزم كل واحد منا أن يُعين الآخر ، ويسليه وقت الشدة – فكيف يعلن ذلك ويضمر لى مثل هذه التهمة ؟ . . . الخ ما علقته سابقا على هذه .

فقال كل منهما : لا تؤاخذ رشدى لأن له حالات غريبة ، لا يؤاخذ عليها .

وقد رأيت أمين يحيى فى النادى ، وقد أخذ يختال فى مشيته ويعجب بنظرته ، [**ص ١٦٦٥**] وينظر إلى هذا بما يبعث فيه الأمل ، وإلى ذاك بما يضعف فيه الرجاء ! ويخص الأقربين[٥٥١] بابتسامه ، وغيرهم بازدراءه ! ويسأل عن آثار أعمال عظمة السلطان ، سؤال من أوحى بها ، وهدى إليها ! وتبرق أسارير وجهه ، عندما يسمع استحسانها ، وينقبض عندما يشعر بغير ذلك ! ويقول عند الإستحسان : هذا ما يجب علينا ، ولابد أن نخدم عظمة هذا السلطان بكل ما فى وسعنا ، لأنه يود الخير لبلاده ، ومستعد لأن ينيلها الغاية من التقدم والسعادة !

ونشر المقطم أن عزت شريف[٥٥٢] تعين سكرتير لعظمة السلطان ! ولكن العارفين يكذبون ذلك !

---

(٥٥٠) يقصد : عبد الخالق ثروت .

(٥٥١) قراءة اجتهادية .

(٥٥٢) قراءة اجتهادية .

يوم ١٨ أكطوبر أول محرم سنة ١٣٣٦

مع كون المعية أعلنت الحداد أربعين يوما ، فإنها عادت فأعلنت أن عظمة السلطان يقابل المهنئين برأس السنة ، في هذا اليوم ! فأصبحت سراى عابدين غاصة بهم ، واحتشد للتهانى خلق كثير . ولكن التشريفات كانت مشوشة من جهة توزيع الناس على القاعات ، فقد اختلط الحابل بالنابل فيها ، وقد تأخر مظلوم باشا(٥٥٣) بعض دقائق .

وأخيرا دخلنا ، وسلمنا باليد عند دخولنا ، ثم حيينا(٥٥٤) عند خروجنا . وكان عظمته متأثرا مأخوذاً ، فقال بصوت مبحوح : أنا شاكر منزلتكم ، وإنشاء الله نرعى أعمالكم قريباً . فدعا(٥٥٦) له مظلوم باشا بالعز والتأييد ، وقام ، فانصرفنا مسلمين كما قدمنا .

وقد كنت قبل التشرف دخلت على قاعة الشورى ، وسلمت على الحاضرين – وكانوا كثيرين – واحدا فواحداً ، وقلت : كل عام والقطن يبشر بخير ! فقاموا جميعا ، وسلمت عليهم واحدا فواحداً ، حتى أباظة باشا ! وكان التأثير حسنا .

[ص ١٦٦٦]

وقد ترك لى ورقة الزيارة جناب نائب الملك ، ورجال معيته، وعددهم سبعة .

---

(٥٥٠) أحمد مظلوم باشا ، رئيس الجمعية التشريعية .

(٥٥١) قراءة اجتهادية من السياق ، وقد تقرأ : تمنينا .

(٥٥٦) فى الأصل :فدعى .

تقدم لى حسين باشا أبو حسين[٥٥٧] ، وطلب أن يتوسط فى بيع قطنى ، فدفعت إليه ورقة إلى كـل من ناظـر الزراعتـين بأن يسلما حاملها عينة من القطن ، وهو كلف بذلك عزيز دبوس الذى يشتغل مع أدولف قطاوى .

وزارنى نجل أخنوخ فانوس[٥٥٨] ، وتكلم فى القطن ، واتحاد التجار على بخس أثمانه . فرأيته ضليعا فيه .

وعلمت منه ، ومن إسماعيل صدقى باشا ، أن لجنة الصادرات فى إسكندرية ، وهى مؤلفة من تجار أجانب - لا مندوب للحكومة فيها - لها إمتيازات من الحكومة تسىء استعمالها ضد المزراعين.فهى

---

(٥٥٧) حسين باشا أبو حسين من بلدة كفر ربيع ، كان معاونا بمديرية المنوفية ، وحاكم خط بمركز تلا ، وناظر قسم تلا ، ومأمور ضبطية عموم مديرية المنوفية ، ومفتشا لزراعة اسماعيل باشا بجهة أشمون منوفية ، ثم عضوا بمجلس النواب عن مديرية المنوفية فى عهد الخديو توفيق ، ثم عضوا فى قومسيون الجنايات ، وعين فى القومسيون الادارى ، وعينه الخديو عباس حلمى مفتشا فى أشغال خاصته ، وأنعم عليه بالنيشان العثمانى .

(إلياس زخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧) .

(٥٥٨) أخنوخ فانـوس ، من بلدة أبنوب ، ولـد سنة ١٨٥٤ ، وسـافر إلى بيروت فى ١٨٧٥ وحصل على شهادة البكالوريـوس من كليتهـا ، وعاد إلى مصر لتنتخبـه بلدة أبنوب نـائبا عنهـا سنـة ١٨٨٣ ، وانتخب أيضـا عضـوا للجمعيـة العمومية ، وامتهن مهنة المحاماة لدى المحاكم الأهلية ١٨٨٤ ، واتخذ مكتبا له فى أسيوط سنة ١٨٨٩ .

(إلياس زخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر (القاهرة ١٨٩٧) .

٢٥٩٣٠

التى تعين رتبة القطن ، وثمنه ، فإذا كان المطلوب الصعيدى ، خفضت ثمنه ، وإذا كان المطلوب غيره فعلت به كذلك ، وأدنت رتبته . وأنه يلزم أن يكون للأشمونى كونتراتات حتى يضعف هذا التحكم ، وأن المزارعين يحجمون عن بيع أقطانهم ، لأن غلاء الحبوب ساعدهم على دفع ديونهم ، وأن قطن أميركا فى الجنوب أصابه برد ، فأتلفه ، وأنقص صنفه ، وأن الحكومة الإنكليزية جيشت[٥٥٩] عددا عظيما من مراكب الشحن ، ولابد أن القطن يشحن . وان القطن آرخص هنا من ليفربول ، وأن تاجرا سماه يدعى نجاتى ، اشترى مرة بزيادة ريالين ، حتى رفع السوق ، فقام التجار عليه ، وأحدثوا ضجة ، ومنعوا اصدار ما اشتراه ، رغم الرخصة التى كانت بيده بالشحن ! وجاء المنع من السلطة العسكرية ، بعد أن كان وضع بالرصيف قطنه ، وهيأه للشحن !

يوم ١٩ منه ٢ محرم سنة[٥٦٠]

اليوم يصلى عظمة السلطان أول صلاة جمعة فى مسجد القلعة ، وقد وزعت وزارة الأوقاف تذاكر دعوة لحضور هذه الصلاة ، ولكنى نويت أن لا أحضرها تبعاً للعادة ، وبعداً عن الرياء [ص ١٦٦٧] والمتاجرة بالعبادات .

وقد تغدى على المائدة السلطانية أمس أحمد مدحت باشا يكن .

وسألنى اسماعيل صدقى باشا عن تأثير المقابلات أمس ؟ فقلت : حسن ! فقال : إن عظمة السلطان ألقى جملة لطيفة

---

(٥٥٩) قد تكون : جلبت .

(٥٦٠) هكذا فى الأصل بدون تاريخ .

لأعضاء الجمعية التشريعية ! قلت نعم ، قال : إنى سأراكم قريبا تعملون ! وقد أكد لى بعض رجال القضاء - وأيد تأكيدهم جورنال المقطم - أنه قال لهم : إنى قبلت هذا المسند إعتمادا على مساعدتكم ، فكونوا معى يداً واحدة على ترقية بلادنا التى أرغب لها التقدم والنجاح .

ولكنه(٥٦١) قال مثل ذلك للأعيان والعمد ! فدل هذا على أنه قال لكل قوم ما كان ينبغى أن يقوله للآخرين ! وأن كلمته للجمعية التشريعية لم تكن صادرة عن حقيقته !

وقد قلت لصدقى : إنى كنت أريد أن أقول كلمة ، ولكن الرئيس سبقنى، وبحضوره يكون قولى تعدياً . ولكنى حسنا فعلت ، لأنه لا يلزم أن يصفق النائب لكل وعد ، خصوصاً إذا كانت الحوادث تدل على أنه وعد لا وفاء له ! وأن القصد منه إستمالة وقتية !

تتردد بفكرى خواطر بخصوص السعى فى وظيفة . فتارة يخطر ببالى أن أفاتح ونجت فى شأنها ، وأخرى عظمة السلطان ، وأخرى رشدى ، وأخرى غيرهم من المقربين لهم .

ولكنى لا أحمد من نفسى هذه الخواطر ، فإنها تدل على ضعفها ، واضطرابها وميلاً إلى إذلالها ، ومخالفة العهد الذى كتبته أمام الله والناس وعليها .

ويزيد فى لومها وتعنيفها أنها الآن غير محتاجة إلى المال ، فعندها بحمد الله منه ما يكفيها . أما الجاه فهو خيال فى خيال ! فالأحسن

---

(٥٥٨) أضفنا « ولكنه » لأن العبارة تقتضيها

الإنصراف عن هذه الخواطر ، وتوطيد النفس على البعد عن هذه الصغائر ، والرضا بالحاضر . والله المستعان .

[ص ١٦٦٨]

يوم ٢٠ منه

اعترانى البارحة نوع من الإسهال ، أقلقنى آخر الليل ، وأخذت فى الصباح شربة ، ولا أزال أشعر بغازات تتردد فى أحشائى ، كأن تحاول الخروج ولا تخرج !

وقد كنت عازماً على السفر اليوم إلى دمنهور ، ولكن وردت إشارة تلفونية من قبل رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، الأمير يوسف(٥٦٢) بأن نكون فى عابدين الساعة ١١ إلا ربع ، بالردنجوت ، فأخرت السفر .

وذهبت إلى عابدين ، فوجدت الأمر قاصراً على كتابة الأسماء ! ولم يحضر هذا الأمير إلا قبل الساعة ١ ، فاعترضت على الأمير بالاجتماع للاكتتاب باللباس الرسمى ! واستاء الأمير لهذا الاعتراض ، وانفض الجمع .

حضر عندى عدلى باشا فى هذا اليوم ، ورأيته متألماً من انصراف عظمة السلطان عنه . فإنه لم يخل(٥٦٣) به من يوم جلوسه إلا مرةً واحدةً ! وأيضاً(٥٦٤) من خطة أمين يحيى باشا وتظاهره بأن كل

---

(٥٦٢) الأمير يوسف كمال .

(٥٦٣) فى الأصل : يخلو .

(٥٦٤) أضفنا « أيضا » لتوضيح العبارة .

ما يعمله عظمته إنما هو بإرشاده ! ومن رشدى باشا وحرصه على إرضاء القوى بكل وسيلة .

وقد ذكرت له مجملاً من تاريخه ، وما فيه من ضعف ، وحرص على إرضاء القوى .

وفهمت منه أن المانيا تبحث عن منح سوريا نوعا من الإستقلال ، وتولية عباس باشا واليا عليها .

يوم ٢١ منه

زرت زراعة دمنهور ، وقد أعطانى عبد الملك حنا السمسار ، نيابة عن مرسى ، مبلغ ٨٥٠ قرش عن القنطار العفيفى ، فسمحت له بذلك . واتفقنا على أن يحضر إلى النادى يوم الثلاثاء الساعة ١١ صباحا لدفع العربون .

وقد رأيتهم استأنفوا الجنى للمرة الثانية . وعشمى أن نتحصل ، من مجموع الأطيان الباقية ، على أربعين قنطارا .

وقد كان يصحبنى محمد بك حتاتة ، وصدقت على بيع القصب بمبلغ ثمانين جنيه . ورتبت الزراعة على الوجه الآتى : القمح يزرع فى ٢٦ فدن التى بحرى العزبة ، وفى موضع العفيفى وما يليه غربا منه فى ٢٢ فدان ، والقطن محل الذرة الذى بحرى السكة الزراعية ، والفول فيما يلى القصب بمقدار ٢٣ فدان تقريبا ، وثمانية أفدنة شعير ، وأربعة أفدنة حلبة .

[ص ١٦٦٩]

زار عظمة السلطان الأزهر ، ونفح أهله مبلغ ألف جنيه .

نشرت الجرائد مرسوماً سلطانياً بمعافاة من يتطوع فى الجيش

الإنكليزى لمدة سنة من الخدمة العسكرية المصرية . وقد وقع هذا الأمر أسوأ وقع عند الناس ، وتشاءموا به من حكم عظمة السلطان ، لأنهم عدوه أسوأ فاتحة لأعماله .

فى يوم الخميس ٢٠ سبتمبر سنة ٩١٧ ، حضر اسماعيل باشا سرهنك فى منزلنا بالعزبة بمسجد وصيف . وكنت سافرت يومئذ إلى دمنهور ، ثم اسكندرية . وخاطبته الست ، كما خاطبه الناظر ، بشأن شراء إثنين وستين أردباً من غلته للتقاوى . فقال للأخير : الأردب بثلاثمائة قرش . فقبل ذلك .

وقابلته فى قطار المساء ذاهباً إلى إسكندرية ، فسألته عن مسئلة الغلال ، وقال : قد تم الأمر فيها مع الناظر ، وتنفيذاً لذلك كتب ناظر الزراعة كتابة بالشراء عن المقدار المذكور ، بالسعر المذكور .

وعقب ذلك طلب ناظره الثمن ، فعرض عليه ناظر زراعتنا خمسين جنيهاً كعربون ، فلم يقبل ، وقال : إما كل الثمن أولا عربون ! واتفق أن حضرت الست هنا فى عيد الأضحى ، وعرضت على أختها أن تبقى الثمن بعد استلام الغلة .

وقد ورد إلىَّ خطاب من ناظر زراعتنا يوم السبت ١٩ أكطوبر ، بأن إسماعيل باشا سرهنك حضر يوم ١٦ ، وقال لناظر زراعته ، عندما استأذنه فى تسليم الغلال لزراعتنا : إن أسعارها ارتفعت !

فاستغربت من ذلك ، وخابرَتْ الست أختها بالتلفون ، وذكّرتها بذلك الإتفاق ، فقالت : إننا لا نريد العدول عنه ، وبعد أن استشارت زوجها ، قالت : ولكننا نريد أن تستلموها ، وتدفعوا الثمن . ولما كان البنك قدقفل ، واليوم التالى يوم أحد ، استمهلتها إلى اليوم ، وأرسلت مع الخادم مبلغ ١٨٦ جنيه ثمن الإثنين وستين

أردب . فكتب وصلا باستلامها ، ولكنه ذكر فيها أنها ثمن ستين أردباً ! فأعدت الوصل إليه لتصحيحه ، فأعاد ثمن الأردبين ، بدعوى أنه لم يبق إلا هذا المقدار فتأثرت من هذه المعاملة .

[ص ١٦٧٠]

يوم ٢٢ (أكتوبر ١٩١٧)[٥٦٥]

حضرت مساء اليوم مع عدلى باشا محاضرة ، ألقاها مدير شركة الترمواى بمصر (. . .)[٥٦٦] تحت رئاسة موسيو « نوس »[٥٦٧] ، فى قاعة كونتننتال أوتيل ، فى مايلزم عمله فى بلجيكا بعد الحرب ، بالنسبة للصناعة والتجارة والتعويضات . وقد فاض المحاضر فى هذه الموضوعات ، وذهب فى كثير من الأمور الى مشاكلة ألمانيا فى التدابير التى اتخذتها فى هذه الحالة .

وبعد أن انتهينا من المحاضرة فى الساعة ١١ ، عدنا الى النادى ، وتحادثنا الى الساعة ١٢ ثم عدت ، فوجدت حرمى غير نائمة ، متوهمة أنى لعبت ! فهدأت روعها ، وطمأنتها ، ونمت ولكنى لم أنم طول ليلنا ، لأن القلق استولى على كل منا ، ولاندرى لماذا؟ .

وقد أشرت الى عدلى عن سوء وقع أمر التجنيد فى نفوس الناس ، وان الأولى كان تأخيره ! فقال : هكذا كان رأيه ، ولكن عظمته أراد ذلك !

---

(٥٦٥) غير موجودة فى الأصل .

(٥٦٦) كلمة غير مقروءة .

(٥٦٧) هنرى نوس ، أصبح رئيس اتحاد الصناعات المصرى ، وهو يهودى .

تغدى مع عظمته اليوم (. . .)[٥٦٨] رولو .

فى يوم ٢٧ منه

لم يحدث فى خلال المدة ما بين ٢٢ و٢٧ ما يستحق الذكر ، سوى كونى بعت القطن العفيفى من زراعة دمنهور ، بسعر ٨٤٥ قرش القنطار . وبلغ مقداره ، بما فيه الإيسكارتو ، ٥١ قنطار وبعض أرطال . واستلمه التاجر فعلا أمس ، ودفع الثمن جميعه .

وقد زرت زراعة مسجد وصيف أول أمس ، وبت فيها ليلة ، ثم عدت أمس . والحالة فيها راضية .

وقد توفيت أمس عائشة خطيبة بهى الدين ، وتشيع اليوم جنازتها بعد الظهر .

فى يوم ٢٨ منه

شيعت الجنازة أمس ، ولم يمشى فيها خلق كثير . وعزيتهم أمس . وكان المعزون كثيرين ، [ص ١٦٧١] وكانت خطة عاطف خطبة استخفاف . ولم ألبث إلا قليلا . وعزيت محمود فهمى فى والدته للجوار وسابقة المعرفة فى المصلحة .

وقد بت ليلى أفكر فى معاملة الأقربين ، وانتهيت إلى أن أضع نفسى فوق سفاسفهم ، وأوسع صدرى لصبياناتهم ، وأستخف بهذياناتهم ، ولا أجاريهم[٥٦٩] فيما يعملون .

---

(٥٦٨) اسم غير مقروء .

(٥٦٩) فى الأصل : أجارهم .

فى يوم ٣٠ منه

تفاهمت أمس مع فتح الله وإبنه ، وخُتم التفاهم بالتصافى ، وتلطفت فى القول كما تلطف . وحضر مع أخيه وحتاتة بك ، وتعشينا معاً . وزار فتح الله الست ، ولم يزرها عاطف . وزرت حرمه اليوم ، وتلطفت معها . وحضرت هى بعد الظهر ، وجاملتها ، وستعود غدا .

ولم يحدث ما يستحق الإثبات من الحوادث العامة ، سوى أن الحكومة قيدت البيع إلى أجل فى القطن ، بقيد ، وهو أن لا يزيد الميعاد عن سبعة أشهر . والسبب الظاهر منع التهور فى النهاية(٥٧١) ، والباطن ، التأثير فيما يقولون على أسعار الأقطان . وقد اشتغلت ببيع الأطيان فى دمنهور ، وشراء غيرها . وعُرض على كثير منها ، والموافق قليل .

فى ٣١ منه

من الحمق محاولة حمل اللئيم على الإخلاص ! ومن سفه الرأى البحث عن جذب النفوس الدنيئة بغير وسائل التخويف والترضية .

وضيع النفس يحاول رفعها بالتعالى على عاليها ، والتكبر عليه ، خصوصا عند عدم الحاجة إليه .

[ص ١٦٧٢]

إذا لم يمكنك أن تفارق فنافق !

---

(٥٧١) قراءة اجتهادية .

إذا كان لابد من معـاشرة اللؤمـاء ، فلابـد من الصبر عـلى أذاهم .

وما أصدق من قال : ومن نكد الدنيا على الحُر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد .

لا ينفع صدق يموه[٥٧٢] بباطل .

أسوأ الناس قوم لا يقدرون أن يتعاشروا مع عدم وجود صوالح مشتركة بينهم تقتضى المزاحمة والمنـافسة ، كمن ليس بينهم عـلاقة صناعة أو تجارة أو زراعة أو وظيفة حكومية أو غير حكومية ، وكل ما بينهم هى علاقة القرابة . وليس أدل على فساد خلق من محاولة وضيع[٥٧٣] والخروج على من أسدى[٥٧٤] الصنيعة إليه ، ومحاولة إنكار صنعه ، والتنكر إلى معروفه .

وقد ابتلانى الله بأناس من هذا القبيل ، لا جامعة بينى وبينهم إلا القـرابة والنسب ، ولا نسبـة بينهم من هذه الـرابطة إلا نسبـة المحسن بمن أحسن إليـه . هؤلاء لم يجـدوا وسيلة لشكـرى عـلى الإحسان إليهم إلا الزامى أن أعترف لهم بالتفوق علىَّ ، والتـرفع عنى ، وأن أقابل أساءتهم بإحسان ، وخطأهم بالاحترام .

---

(٥٧٢) فى الأصل : لا يحوه ، وهى سقطة قلم .

وقد كتب سعد زغلول بعد ذلك العبارات الآتية وشطبها وهى :

« من ضيق العقل أن لا تتمكن من حسن معاشرة . . » .

« من دلائـل الحمق وقلة التربيـة والأدب ، أن تبـاغض قـوم ليس بينهم إلا العلاقات الأدبية ولا تجمعهم إلا جامعة القرابة أو الجوار » .

(٥٧٣) قراءة اجتهادية .

(٥٧٤) فى الأصل : مسدى .

فى ٢ نوفمبر.

عدت اليوم من مسجد وصيف ، وقابلت - فى عودتى - الأستاذ عزيز خانكى، وطعنت له فى علم التاريخ ! وأن الحرب دلت على بطلانه ، وأنه يجب على العاقل الا[٥٧٥] يصدق روايته ، إلا اذا كان متفقا عليها من جميع الرواة ، على اختلاف أجناسهم ، وتباين مذاهبهم ، وتنوع [ص ١٦٧٣] مصالحهم وأغراضهم . ويلزم الحذر خصوصا من الروايات الرسمية ، لأنها أصبحت محلاً للشبهة أكثر من غيرها ، إلا إذا كانت مشتملة على ما يخالف مصلحة مصدرها[٥٧٦] .

فى ٥ نوفمبر سنة ٩١٧

تبادلت الزيارة بينى وبين رشدى ، وآخرها كان أمس ، حيث زرته فى الغروب ، وزارنى هو بعد الساعة ١٠ ، ومكث لغاية الساعة ٢ وبضع دقائق . وقد قال إنه حضر ليحادثنى فى خصوص سعيد[٥٧٧] ، لأن عظمة السلطان كان يريد إخراجه فيمن يريد

---

(٥٧٥) فى الأصل : أن ، ولكن السياق غير ذلك .

(٥٧٦) السبب فى تناول سعد زغلول علم التاريخ فى حديثه مع عزيز خانكى ، أن عزيز خانكى مؤرخ له اكثر من ٢٩ كتاب ، أهمها . . ترك وأتاتوريك » و« المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية : ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها » ، و« المحاماة قديما وحديثا » ، و« التشريع والقضاء قبل انشاء المحاكم الأهلية » ، و« الملكية العقارية فى مصر » ، و« نفحات تاريخية » .

وعزيز خانكى فى الأصل محام بالنقض والابرام .

(٥٧٤) يقصد : سعيد زغلول ، ابن شقيقة سعد ستهم . وكان يعمل تشريفاتيا فى السراى بعد تولى حسين كامل السلطنة . وكان سعد زغلول يملى بعض مذكراته على سعيد - كما قدمنا .

فصلهم ، ولكنه عاد أخيرا إلى إستبقائه مؤقتاً .

فهو[٥٧٨] يريد أن يكون[٥٧٩] فى الإدارة : إنى أحاول أن أجد له محلا فى قلم سكرتارية مجلس الوزراء .

قلت : لا بأس ، وأشكرك على هذه العناية . وأخبرك بأن هذا الشاب كان فى نيته أن يخرج من المعية قبل وفاة السلطان حسين، مع ما كان مغمورا به من حسن تعطفاته ! لأنه يشعر دائما بأنه غريب عن الوسط الذى يعيش فيه . فلما حصل التغيير ، ازدادت رغبته فى الخروج ، ولكنى نبهت عليه أن لا يمل ولا يضجر لأننا لا نريد أن ننفر من السلطان ، بل يلزمنا أن نبقى فى خدمته[٥٨٠] حتى يملها . ثم تكلمت مع ثروت باشا ، فوجد من الصعب عليه أن يعينه فى وظيفة يكون مرتبها أزيد من ١٥ جنيه . وإنى أفضل له القضاء[٥٨١] ، إذا تيسر ، بمرتب لا يكون له منه إهانة . فإن لم يتيسر ، ففى الإدارة - كما افتكرت أنت ! وكررت شكرى .

ثم عاتبته على سوء ظنه بى ، ومواجهتى بما يلقى الشبهة علىَّ فى مسئلة صادق رفعت . فتنصل منها ، وأغلظ الإيمان ، بأنه لم يترك أثرا فى نفسه ، ولم يقصدنى ، ولكنه قصد أن تشاع المسئلة فى الخارج (. . .)[٥٨٢] وإسماعيل صدقى بعدى .

---

(٥٧٨) أى حسين رشدى باشا .

(٥٧٩) أى سعيد زغلول .

(٥٨٠) فى الأصل : فى خدمتنا ، وهى زلة قلم .

(٥٨١) كان سعيد زغلول قد درس الحقوق واشتغل فى النيابة .

(٥٨٢) بياض فى الأصل ، ولكن يوجد أثر لكلمة كتبها سعد زغلول بقلم جف منه الحبر ، ولذلك لم تظهر .

وفهمت منه أنه رشح للوزارة أناسا أنا فى مقدمتهم . وأشار إلى وزارة الزراعة .

[ص ١٦٧٤]

فقلت : إن مركز الوزير فيها أضحى صعباً ، لأن رجالها تعودوا من وزيرها الاستسلام ، وأن لا يعمل شيئاً ! هذا ، ويمكن أن ينشأ لك من مثلى تعب عظيم !

فقال : ولكن هذا التعب لازم للمصلحة العامة ، وأكون متضامناً معك .

ثم فهمت منه أن الأوقاف ربما لا يتغير وزيرها ، وإذا تغير فلا أكون فيها !

فهمت هذا – من بعد – كما فهمت أيضا أن السلطان لا يميل كل الميل لى :

أولا : من حادثة سعيد[٥٨٣] .

وثانيا : من قوله وتكراره القول[٥٨٤] ، بأن السلطان له أفكار خاصة فى الأشخاص ! يعنى أنه يخطىء فى تقديرهم ! وكرر ذلك ، وفهمت من ذلك أنى مقصود بهذا التلميح .

وفهمت أيضا بأن صدقى لايحل محل شكرى. ثم قال إن الناس حذرون[٥٨٥] من السلطان، يعنى أنهم لايعرفون أفكاره ولا ميوله .

---

(٥٨٣) يقصد . من رغبة السلطان فى اخراج سعيد زغلول من خدمته .

(٥٨٤) يقصد قول حسين رشدى باشا .

(٥٨٥) قراءة تقريبية .

وفهمت منه أن سعيد ذو الفقار(٥٨٦) لا يتغير ، وأن أمين يحيى لا يتعين فى وظيفة ، لأنه أعلن أنه يفضل أن يكون حرا على أن يكون مقيداً فى وظيفة .

وكرر هذه الجملة ، كأنه استعملها ضده ، ومنعه بها من الوظيفة التى ربما كان متطلعاً لها .

وفهمت منه أنه استمال السلطان إلى مبادئه من ميله إلى الاستقلال النوعى للبلاد . وأنه تكلم مع مونتاجو ، وزير الهند ، بشىء من ذلك . وأن السلطان أشار به إليه ، وقال له : إن رشدى يشرح لك الموضوع شرحاً وافياً .

وفهمت منه أن السلطان راضٍ عنه ، وواثق به .

وقد(٥٨٧) أيدت ظنه فيه بما حباه من الإنعام على خادميه ، لأن فى هذا الانعام الصغير دلالة على الإحترام الكبير . وقد أفهمته أنى أقلعت عن اللعب ، لأنه كاد يفضى بى إلى الإضمحلال ، ويلحق بالنفس [ص ١٦٧٥] الهزال ، حتى حملتها على البحث عن وظيفة مستشار فى الأوقاف ، وعن بيع الأطيان بأبخس الأثمان .

قلت : وإنى أحمد الله الآن على الخروج من هذه المحنة ، ووفاء الدين ، ويسر الأحوال .

وتكلمنا عن حشمت(٥٨٨) وتزويره ، ومعاونته له فى التوقى من عاقبة التزوير .

---

(٥٨٣) سعيد ذو الفقار باشا ، كبير الأمناء .

(٥٨٤) فى الأصل : « وأيدت » .

(٥٨٥) أحمد حشمت باشا ، الذى كان وكيلا لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وقدتقلب فى وظائف النيابة ، وعين مديرا لجرجا ، ثم مديرا لأسيوط ،

وفهمت منه أنه أجاب جراهم ، على كتاب بعث به إليه ، بأن المصريين مستعدون أن يساعدوا الأمة الانكليزية إذا ساعدتهم على الإستقلال . وأن جراهم أجابه بأن هذه مسئلة لا يمكن حلها إلا بعد إنتهاء الحرب .

وفيما يختص بى ، يلزمنى أن لا أعلق أهمية على الترشيح الذى أبداه ، لأنه لا يقوى على تنفيذه ، وأمامه صعوبات من السلطان ، ومن الإنكليز - خصوصا من رجال الوزارات .

فى يوم ٨ منه

زرت أمس زراعة دمنهور . ولم يسرنى ما نتج من الذرة التى كانت مزروعة أمام الإستراحة ، لقلتها ، ولسوء حالة[٥٨٩] الادارة لاختلافها ووقوع الخلف بين الوالين أمرها .

وعدت ، ولقيت فى طريقى عبد الله النحاس ، والخطيب بسيونى ، وفتح الله بركات .

ثم سهرت عند رشدى من الساعة ٩ تسعة ، لغاية الساعة ثلاثة إلا ثلث ! وقد تنقلنا فى الحديث من موضوع إلى موضوع : فتكلمنا عن الحب ، والغرام ، والسياسة ، والإدارة ، والوزارة .

وفهمت منه أن عظمة السلطان ، بعد أن نوى فصل سعيد[٥٩٠] ، استبقاه مؤقتا رعاية لخاطرى . وأنه قدم لعظمته كشفا

ثم مديرا للدقهلية ، وناظرا للمالية فى ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ ، ثم ناظرا للمعارف فى فبراير ١٩١٠ عقب اغتيال بطرس غالى .

(٥٨٩) فى الأصل : « لسوحالة » بدلا من « لسوء حالة » .

(٥٨٧) سعيد زغلول .

بأسماء المرشحين للوزارة ، فى مقدمتهم أنا وإسماعيل صدقى من بعدى . وأنه لا خوف من ونجت لأنه على غاية الإتحاد معه ، وأنه لم يفاتحه فى الأمر[٥٩١] ، ولكنه كفيل به . وأنه لابد أن يشى بى الواشون لدى عظمته ، فيقولون : إنه معاند . وإنه قال لعظمته : إنه يفضلنى على غيرى وإن كان يتعب معى ، لأنى [ص ١٦٧٦] أقوّى الوزارة ، وأنفع سياسته .

وقلت له : لكن يتحتم عليه أن يستعين بونجت وزملائه ! فقال : إن عدلى وعبد الخالق[٥٩٢] معك طبعاً ، وكذلك ونجت لا يكره ذلك . وسأعمل جهدى .

وقال لى : إن إسماعيل صدقى طلب منه أن يكف يده عن بهية[٥٩٣] ، وأنه دافع عنه لدى السلطان . كما إنه يدافع - اليوم - عن إبراهيم فتحى ، لأنه لا يعتقد إرتكابه للرشوة التى يتهمونه بها ، وحكى لى واقعة المصرف[٥٩٤] على طريقة تدل على أنه لم يكن محيطاً بها تمام الإحاطة ! وإنه مملوء من حلمى[٥٩٥] ، لبلادته وكسله ، ويريد تغييره إن أصرَّ السلطان على تغيير فتحى ، ويفضل أن يكون فى الزراعة ، لأنه ينفع فيها أكثر بكثير من حلمى . وإنه كتب إلى إبراهيم حليم ، مدير البحيرة ، بأنه اتفق مع وزير المعارف على

---

(٥٩١) أى فى القضية المصرية .

(٥٩٢) عبد الخالق ثروت ، وزير الحقانية .

(٥٩٣) هكذا تقرأ . وقد تقرأ « جهته » وأن كانت الأولى أقرب شكلا ومعنى لأن حسين رشدى كان يريد تعيين اسماعيل صدقى وزيرا ، وبالتالى فلم يكن معقولا أن يطلب الأخير منه أن يكف يده عن جهته .ولا يعلم من هى بهية ؟

(٥٩٤) أقرأ ص ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ من المذكرات .

(٥٩٥) يقصد أحمد حلمى باشا ، وزير الزراعة .

استرداد على بك عمر ، ويقتضى - حينئذ - أن يعرض على مجلس المديرية فصله .

وحكى لى قصة مأمور اتهم ببعض الأمور ، وتَعينَّ محمد بك زكى للتحقيق، فتحامل عليه[٥٩٦] وقدم تقريراً بإدانته ، ولكنه هو فحص أوراق التحقيق بنفسه ، وتبين له براءته ، فقرر ذلك ، وأمر بأن يُصرف له مرتبه من تاريخ إيقافه ، فكتب جواب بأن التهمة وإن كانت ثابتة عليه ، لكنه يرى هو أن يصرف له مرتبه ! فختم هذا الخطاب من غير التفات ! ولكن المالية عارضت فى صرف المرتب واحتجت بما تصدَّر به هذا الخطاب ، فأقام عليها القيامة ، وانتهى الأمر بأن سحب كل طرف خطابه ، وصُرف مرتب المتهم له ، ولم يفعل شيئاً فيمن استمضاه ذلك الخطاب المخالف للحقيقة والصواب .

يوم ٩ نوفمبر

مرض عظمة السلطان من ثلاثة أو أربعة أيام ، وعدته أمس فلم أره ، ولكن حسنٍ صبرى بك التشريفاتى بعث بعيادتى إليه مع الأغا ، فعاد هذا ناقلاً شكر عظمته وسلامه .

ولم تنشر الجرائد خبر مرضه ، مع أن التشريفات أبطلت الجلسات التى كان موعوداً بها ، والاحتفالات التى كان منوياً عليها .

---

(٥٩٦) أى : تحامل المحقق على المأمور المتهم .

٢٦٠٩

[ص ١٦٧٧]

ويلقَى فى روعى أن ذلك الترشيح[٥٩٨] ، لم يكن ترشيحا بالمعنى الحقيقى ، بل هو عرض أسماء على ولى الأمر ، ليختار منها ما يوافقه ، وربما وقع اختياره على مفضل لها . ولقد أذاع خبر ترشيحى أولاً أحمد عبد اللطيف ، على أنه علم به من غير رشدى ، وأكده بأن رشدى يُسَرُّ كثيراً بالطبع إذا تعينت .

والأولى بى أن لا أنتظر شيئاً ، لأن أغلب الظروف ضد تعيينى ، ولأن العمل مع الانجليز يكون صعباً ، ومع عظمة السلطان ربما يكون أصعب . ولكن رشدى يؤكد بأنه ليس لعظمته أغراض دنيئة . فأكدت له : بناءً على ذلك ، يكون الاتفاق معه أسهل ما يكون .

وقد علمتنى التجارب أن لا أعتمد على رشدى فى أصغر الأمور ، فلا ينبغى الإعتماد عليه فى أكابرها ! والمهم أن لا أجعل لهذه المسئلة مكانا من قلبى ، وأن أتركها للظروف تُسيِّرها ، وأن لا أفعل فيها شيئاً مما يتوهم أنه يساعد على فعلها أو يعاكس نجاحها .

على أنى لمت أمس نفسى فى ما أبدت من الرخاوة أمام هذا الترشيح ! وشبهت هذا الإسترخاء باسترخائها سابقاً أمام لعب الورق ، ولم يكن لأن تقلع عنه إلا بعد أن اكتوت بناره عدة مرات ، وكادت هذه النار تصيب العظام .

---

(٥٩٨) أى ترشيح حسين رشدى سعدا للوزارة .

٢٦١٠ -

زرت أمس عاطف[٥٩٩] ، لأنه قيل بأنه كان مريضاً ، فوجدته قد شُفى ، وخرج من يومين . وجلست مع حرمه برهة وجيزة وكان صدقى ينتظرنى بالباب .

فى ١٣ منه

يوم أول أمس جاءنى خبر بالتلفون ، يسأل عما إذا كنت موجوداً بالمنزل ؟ ولما تأكّد القائل ، وهو سعيد ذو الفقار[٦٠٠] ، وجودى ، قال : إنه سيرد إلىّ خطاب من المعية . وقد ورد وكان عبارة عن دعوة إلى تناول الغداء أمس على المائدة السلطانية الساعة ١٢,٤٠[٦٠١] .

[ص ١٦٧٨]

فوصلتها الساعة ١٢ ، ووجدت بالقاعة التى قبل قاعة سعيد باشا ذى الفقار ، الوزراء ، فلم أعطف عليهم[٦٠٢] – ورآنى منهم عدلى – ظناً أنهم يستوفون مناقشة كانوا ابتدأوها عند انعقاد مجلسهم .

ووجدت سعيد ذو الفقار فى قاعته ، وجلست معه إلى الساعة ١٢½ ، ثم أصعدنى صادق وهبة إلى الطبقة الثانية ، فأجلسنى فى

---

(٥٩٩) عاطف بركات . ابن اخت سعد زغلول ، وشقيق فتح الله بركات .

(٦٠٠) سعيد ذو الفقار باشا ، كبير الأمناء .

(٦٠١) فى الأصل : ١٢,٤ وقد عدلنا ٤ إلى ٤٠ لأنه الأقرب للعقل ، فلا يعقل أن يتحدد موعد الغداء الساعة ١٢ وأربع دقائق .

(٦٠٢) أى لم أتجه إليهم .

بهوها ذو الفقار بجانبه على كرسى . وبعد قليل حضر رجال المعية ، فاصطفوا ، واصطف سعيد فى أولهم . ولما أقبل السلطان من غرفته ، أشار إلىّ ذو الفقار أن أتقدم للسلام عليه ، فتقدمت ، فسلم باشاً هاشاً ، وقال : إزيك يا سعادة الباشا ، تفضل ! فمشيت خلفه إلى قاعة الطعام ، فأجلسنى على يمينه ، ثم قال : لا أجد هنا (. . .)[٦٠٣] مع أنه كان يلزم إحضاره ، والحق فى ذلك على سعيد باشا ذو الفقار ! فشكرت لعظمته حسن هذه الإلتفاته ، وقلت : إنى فى مأمن هنا من الضرر .

ثم قال : إنك تشتغل كثيرا ؟ قلت : نعم يا مولانا لأجل جنى القطن .

فقال : جنيت كثيرا ؟

قلت : خمسة وكسور فى الغربية ، وأربعة وكسور فى البحيرة .

فقال : أحسن ما يكون . ثم تكلم عن تقدير وزارة الزراعة ؟

فقلت : إنه على غير أساس ، لأنى كنت أمر بغيط القطن مرتين كل يوم ، وفى كل مرة أقدر تقديراً لا يتفق مع ما قبله ولا ما بعده !

وجرنا هذا الحديث إلى الكلام على تحكم هذه الوزارة ، فقلت : إنها حددت أربع كيلات تقاوى لكل فدان !

قال عظمته : إن هذا التقدير عظيم !

قلت : ولكن الأرض تختلف يا مولاى باختلاف الموقع والطبيعة ، ولو أن هذا الإختلاف فى الأراضى التى يملكها إنسان واحد ، لكان الأمر يُحمّل بعضه بعضاً .

---

(٦٠٣) كلمة غير مقروءة .

واستشهدت بما وقع لعلى باشا شعراوى من أنه طلب لزراعته ألف أردب ، ولزراعة محمد باشا سلطان ألف وأربعمائة ، فلم يسمح له بكل ما طلب ، بل أنقصوه الربع عن كل مقدار ! فقال لهم : لماذا هذا التنقيص ؟ وما الذى تخشونه ؟ قالوا : نخشى أن يلقى الباقى [ص ١٦٧٩] فى الترعة ! فقال لهم : السلام عليكم ! وانصرف .

وحكاية يوسف النحاس ، حيث طلب منهم ثلاثمائة أردب ، فأنقصوه إلى مائة خمسة وسبعين ! ولما سألهم فى ذلك ؟ قالوا : نخشى أن تتاجر بالباقى ! فقال : كم تظنون أربح من هذا الباقى ؟ مهما بلغ ربحى منه لا يتجاوز ريالين ! إنى أدفع لكم هذا الربح من الآن ، لتعطوه إلى الصليب الأحمر ، أو لجمعية خيرية ، ووفروا لى(٦٠٤) ما طلبت منكم . فلم يقنعهم ذلك منه .

ثم جاء ذكر الجمعية والتزاماتها ، فقال : إن رشدى باشا يخرج فى كثير من الأحيان عنها . قلت : نعم ، إنه لا يتحرز كثيراً .

ثم انتهى الأكل على هذا النمط من الحديث ، وكان البشر سائداً . وقد سار إلى مكتبه ، واستبقانى ، وهو يقول : إن الحرية نعمة من نعم الله ، وقد حرمتها ! إذ لا أستطيع المشى إلا بين هذه الجدران ! ثم جاءت القهوة ، فقال لساقيها : هل أحضرت قهوة الباشا سادة ؟ قال : نعم .

ثم قال : إنى باذل غاية جهدى فى خدمة أمتى ، ولا غاية لى إلا تقدمها ! وقد وطدت النفس على أن آخذ بيدها إلى سبيل السعادة ، مهما حمّلنى ذلك من الأتعاب .

---

(٦٠٤) قراءة اجتهادية .

وإنى مسرور من الغمل مع السير ونجت ، لأنه محب للخير جداً ، وقد قلت له : إنى سأعمل على مبدأ الصراحة التامة ، والثقة الكاملة ، والصدق ، فلا أخفى شيئاً يجب إبداؤه ، ولا أبدى شيئا يجب كتمانه ، ولا أشك فيها تقول ولا فيا تعمل ، ولا أقول إلا حقا ، ولى عليك مثل ذلك : أن لا أعارض فيها تقبله السياسة الإنكليزية العليا ، ولكن لا يمكننى أن أتساهل فى الإدارة الداخلية ، وإن الانكليز فى قطب ، والمصريين فى قطب آخر ، وأنا أجمع بينهما ، وأوفق بين مصالح الطرفين وكل موظف لا يحب الرئيس(٦٠٥) يجب إبعاده ، وكل مجتهد يجب أن يوفى نصيبه . وكل مخالف يحق عليه كلمة العقاب . واتفقت معه على ذلك . وقد قلت شيئاً من هذا إلى السير مونتاجو وزير الهند ، حتى عبرت أمامه بعبارة استسمحته فى إيرادها ، لا بتذالها ، فكررها مبالغة فى الموافقة على معناها [ص ١٦٨٠] قلت : إنى أعمل على ترقية بلادى واسعادها ، وإذا اعترضنى صعب حاولت تذليله ، وإذا خطرت أية ريبة منى ، فإنى لا أبالى Je m'en fiche(٦٠٦) فقال : وإنى أؤكد لك أنه إذا تسرب لأذهان حكومتى شىء من الشك فى سيرتى ، فإنى كذلك Je m'en fiche ولقد قلت لبعض المديرين الذين رأيتهم : إنى أريد أن تبذلوا غاية جهدكم فى القيام بواجباتكم ، ولا تذلوا بالضعة أنفسكم ، بل كونوا أعزة عاملين مجتهدين ، وإنى أحترم العامل منكم إلا إذا تدنى وسَفُل،وأرقية ، إلا إذا صعر خده ونزل . وستحصل تغييرات تعجبك ، ولكن لا يمكننى أن أنفذ كل هذه

---

(٦٠٥) هكذا تقرأ .

(٦٠٦) كتبها سعد زغلول فى الأصل Je m'enfishe أى كما تنطق – وهذا خطأ املائى وان كانت الجملة عامية فى الأصل ولا مكان لها فى القاموس .

المقاصد ، وأصل إلى تلك الغايات بدون اتحادكم ومعاونتكم ، وارتباط بعضنا ببعض ارتباطاً حقيقياً .

قلت : ما أصدق تلك المبادىء ! وما أجملها ! وما أكثر نفعها ! وما أشد البناء الذى يقام على أساسها ! إن كل العقلاء يوافقون عليها ، ويعملون على تحقيقها . وإنى أضع نفسى ، وكل ما يتعلق بى ، تحت تصرف مولاى فى خدمتها ، وضعا صادرا عن نية صادقة ، وإخلاصا لشخصكم الكريم ، وللوطن العزيز ، واننا نرجو أن يكون فى البناء الذى تشيدونه قوة[٦٠٧] تحمل ما يلزم للبنائين من مواد البناء . فشكر ، وشكرت ، وقام ، وانصرفت .

وفى الساعة ٥ بعد الظهر ، كنت بالنادى ، واجتمعت اللجنة الإدارية ، ولم يبين فى جدول الأعمال موضوع إجتماعها ، بل قيل فيه مسائل مختلفة ! [ص ١٦٨١] فلاحظت على هذا الإبهام قبل الإنعقاد ! وما صادفت جواباً شافياً !

وكان الحاضرون عدلى ومرزباخ وروبيررولو[٦٠٨] وثروت ، وشكرى باشا وأرتين باشا[٦٠٩] وسعد زغلول وز.ى واسماعيل صدقى .

قالوا : لغياب الرئيس ، يرأس الجلسة أكبرهم سناً ، وهو فينى ! ثم قالت بعض الأصوات : سعد ! ثم قالت بعض الأصوات الأصغر سناً ! وما كاد هذا الصوت يسمع ، حتى قام إسماعيل صدقى وجلس مكان الرئيس ! ثم نهض ، وقال ما ترجمة مضمونه :

---

(٦٠٧) قراءة اجتهادية

(٦٠٨) هكذا تقرأ .

(٦٠٩) قراءة تقريبية .

اجتمعنا اليوم لإنتخاب رئيس لنا وذلك بسبب أن رئيسه السابق ، صاحب العظمة الأمير الجليل ، رقى عرش السلطنة ، بعد أن تولاه[٦١٠] عدة سنين بهمة عالية ، وحكمة غالية ، وعزيمة صادقة ، ومهارة فائقة ، حتى أعلى ذكره ، ورفع قدره . . الخ ما صاغ من جميل المدح والثناء . ثم ترحم على السلطان الفقيد ، وعرض انتخاب عدلى باشا بالتهليل ، لكونه جمع من المحاسن ما تفرق فى سواه . فهللنا جميعاً .

وتولى الرئاسة عدلى فقال : إنى ممنون من حسن ثقتكم ، وإنى أعتمد فى نجاحى عليكم أكثر مما أعتمد على استحقاقى . وأثنى على الرئيس السابق ثناء جميلاً ، ولم يذكر المائت بشىء[٦١١] ، وجلس .

وقد فهمت أن هذه مناورة دبرت بين عدلى وصدقى ، الغرض منها التقرب بهذه المقالات ، والترشح للرئاسة والوزارة بهذه المظاهرات . فوجمت بدهشة !

وأخيراً عرض علينا حساب الشهر ، فأقررناه ، من بعد ما لاحظت أنه كان يلزم توزيعه على الأعضاء . ولما وجدت بين المخزونات فحماً ، أشرت بعدم إستعماله ، واستبداله بالغاز ، فتحول الأمر فيه على اللجنة الداخلية . وتوقف النظر فى استعفاء أرتين باشا لمقابلته . وانفضت الجلسة .

وجلس معنا عدلى بعدها قليلاً ، وشرعت فى ذكر مقابلة السلطان ، فلم يصغ إليها ، فعدلت عنها بعد أن دخلت فيها . وأخيراً تفرجت على اللاعبين !

---

(٦١٠) أى تولى رئاسة النادى .

(٦١١) قراءة اجتهادية ، ويكون المقصود السلطان الراحل .

ثم نزلت ، فوجدت رشدى باشا ، وثروت ، وعدلى ، وأمين يحيى . فقال رشدى [ص ١٦٨٢] لثروت عند انصرافه : لفق[٦١٢] ! وقد كنت فهمت من الأخير أنه سيلفق الأمر بتعيين سعيد زغلول تلفيقاً ، فقلت : فهمت وأشكرك . ثم تفاكهنا ببعض الأحاديث .

ودعانى عدلى وصدقى للعشا ، فقلت : إن دعوتكما هذه الليلة ليست حارة مثل سابقتها !

وكنت أعنى[٦١٣] بها الدعوة التى قام بها كل من عدلى وصدقى فى الليلة السابقة ، حيث شددا علىّ فى البقاء معهما فى العشاء ، وسألانى عما وقع فى مسئلة شراء الحكومة لسكة حديد الواحات ، التى غضب منها المستشار المالى ؟ فقصصت عليهما ما أتذكر منها ، وقلت : إنها مكتوبة فى مذكراتى ودعوتهما لأن يحضرا معى إلى المنزل لاقرأها لهما فيه[٦١٤] . وقد كان ثبت من أقوالهما أن رشدى ذكر أمام عظمة السلطان أنه عارض بطريقة لطيفة فى هذا الشراء ، حيث لخص مضمونها تلخيصاً يثبت غبن الحكومة فى شرائها[٦١٥]

وضحكت معهما فى ذلك ، ودخل معنا رشدى فيه ، وأمين يحيى . وقصصت قصة تلك الدعوة على رشدى ، ورأيت عدلى

---

(٦١٢) هكذا تقرأ . وكان حسين رشدى باشا قد وعد سعد زغلول بأن يحاول أن يجد لسعيد زغلول محلا فى قلم سكرتارية مجلس الوزراء ،ولعل هذه الكلمة تعنى : تدبير مكان بطريقة ما

(٦١٣) أضفنا : « وكنت » لسلاسة العبارة .

(٦١٤) فى الأصل : فيهما .

(٦١٥) كتب سعد زغلول هذه الفقرة فى هامش الكراسة للتوضيح .

يعتريه شيء من الوهم كأنه خشى أن أكشف عن سبب تلك الدعوة .

ثم دعاني رشدي للركوب معه ، فقلت : إن الدعوة تؤجل لليلة القادمة ، وانصرفت مع رشدي .

وعند صعودنا فى أتومبيله ، قدمت عربة مدام فيفر(٦١٦) ، فقال لها : سيرى الهوينا ، إنى ذاهب أغير ملابسى وأدركك ! وانطلق الأوتو(٦١٧) بنا ، فقال : إن زيارتك للسلطان اليوم ، أفادتك كثيراً ، لأنها أزالت الشك فيك منه ، وقبل ترشيحك . وقد استبعدت اسماعيل صدقى وحشمت ، حيث قلت له(٦١٨) : إنه لا يمكن أن يكون وزيرا مادمت رئيسا . قال:ستبقى رئيسا على الدوام ، ويدوم(٦١٩) حشمت بعيداً .

قال(٦٢٠) : وقد رأيت أن أركب معك لأسرّك الآن بأن عظمة السلطان معك ، ولكنه كان متردداً من قبل،وما فكرت بفتحى ودافعت عنه لأحفظه ، بل لكى لا يخرج مدحورا ، ولا يحرمه السلطان من الإنعطاف عليه كمن يكون مرذولا لا يستحق السلام ، وما أخر فصله إلا لعدم الإتفاق على خلفه أما الآن فلا علة للتأخير .

وبعد أن وقف « الأوتو » بنا أمام(٦٢١) منزلى ، انصرف للسهرة

---

(٦١٦) هكذا تقرأ .
(٦١٧) يقصد بالأوتو ، الأوتوموبيل .
(٦١٨) أى : للسلطان فؤاد .
(٦١٩) يقصد : يبقى ، أو يستمر .
(٦٢٠) أى : رشدى .
(٦٢١) فى الأصل : بجهة أمام ، وقد حذفنا « بجهة » .

والعشا عند موسيونوس(٦٢٢) .

وإذا أدرك فى الطريق مدام فيفر ، إجتمع بها فى أوتوموبيله اجتماعياً لذيذاً - كما فهمت من تبادل النظرات والعبارات !· والله أعلم !

[ص ١٦٨٣]

وقد بت ليلى مشغول الفكر ، قلق الخاطر . فلم أنم إلا قليلا ، وكان فكرى محصوراً فى هذه المسئلة ، وماذا يكون من أمرها . وحدث لى من الاضطرابات والإنفعالات ما حدث عند ترشيحى لهذا المسند من عامين ، واشتد طمعى فى نجاحها ، واشتدت مخافتى من خيبتها . وكنت ألوم نفسى على هذا الخوف وهذا الطمع ، ولكنه الميل لا يعلل ، والشهوة تقضى عندما يوجد المقتضى . مع أن مثلى يلزمه أن يراجع على الدوام عقله ، ولا يترك نفسه لهواه .

وقد جربت الوزارة ، فما رأيت فى طيها خيرا ، بل قلّت راحتى ، وكثر تعبى ، وتقدم مرضى ، ولازمنى كثير من الهموم ، وتردد على كثير من الأوهام ، فما كان يهنأ لى بال فى سفر ، ولا حضر، ولا يصفو لى عيش فى إقبال أو إدبار ، بل كنت فى الأول أخشى الثانى ، وفى الثانى غائبه (٦٢٣) ، وأخشى أن أكون مضرب مثل هلباوى بيك ، وهو أن المرأة عند الوضع تقاسى أشد الآلام ، ثم لا يمنعها ذلك أن تشتهى الحمل بعد قليل من الأيام !

---

(٦٢٢) هنرى نوس .
(٦٢٣) أى ما يختبىء فيه .

فى ١٤ منه

دعانى أمس إسماعيل صدقى باشا لتناول العشاء فى النادى ، فلبيت الدعوة ، وحضر العشا عدلى وأمين يحيى ، وكان الحديث فى موضوعات شتى لا أهمية لها .

وبعد ذلك أردت الإنصراف ، وركب معى عدلى ، وخرجنا لاستنشاق الهواء فى الجزيرة ، إذ كان الهواء حارا فى النادى .

وفى أثناء الطريق سألنى عن الحديث الذى دار بينى وبين السلطان ، فقلت له مجمله . فقال :

منذ بضعة أيام سألنى السلطان رأيى فيمن يليق أن يكونوا وزراء ، إذا حصل تغيير فى الوزارة ؟ فذكرت إسمك ، وذكرت إسم صدقى . فقال : ولكن سعد ظهر لأولئك الناس[٦٢٤] بمظهر المعارضة ، فنتركه ! ونترك إسماعيل صدقى ، الذى وإن كنت [ص ١٦٨٤] أريد أن أنفعه ، فلا أميل لأن يكون فى الوزارة الآن ، لأن فى ذلك انتقاداً من الرأى العام .

ثم فاتحنى رشدى فى الموضوع ، واتفقنا على ثلاثة أسماء : سعد ، صدقى ، عبد العزيز[٦٢٥] . قال[٦٢٦] : وما كنت أود أن يذكر إسم هذا الثالث ، ولكن لا أدرى كيف اندس بين الأسماء ؟ وقدَّم رشدى هذا الكشف لعظمة السلطان .

ثم إن عظمته فاتحنى فى المسئلة بعد ذلك ، فرأيته أميل إليك من

(٦٢١) يقصد بأولئك الناس : الانجليز .

(٦٢٢) يقصد : عبد العزيز فهمى .

(٦٢٦) أى عدلى باشا .

٢٦٢٠.

الأول ! وأخبرنى رشدى اليوم أن مقابلتك له بالأمس أثرت تـأثير حسناً .

والمسئلة واقفة عند هذا الحد ، وسأقابل السلطان غداً ، ولابد أن يحادثنى فى هذا الشأن ، وإنى فى غاية الحيرة لعدم وجود الكفاية من اللائقين .

وأخذنا نبحث عنهم ، وأخيراً ، بعد ذكر كثير من الأسماء ، إنه لا يوجد سوى ثلاثة أسماء ، وهم أولئك ، وغيرهم لا يصلح .

قص على قصة مصرف إبراهيم فتحى كما يأتى قال : « للأوقاف ألف فدان محتاجة للصرف ، فقدم وزير الأوقاف فى نوفمبر سنة ٩١٦ مذكرة للمجلس الأعلى[٦٢٧] بصرف اعتماد مقداره ألف وخمسمائة جنيه لإنشاء مصرف لهذه الأطيان ، من غير أن تشتمل هذه المذكرة على بيان موقع المصرف ، والأراضى التى يمر فيها : إن كانت للأوقاف أو غيره ، والتعويض اللازم فى الحالة الثانية . فصدق المجلس على هذا الاعتماد .

ثم قدم مذكرة أخرى ، فى يناير ٩١٧ ، بأن المصرف يلزم أن يمر فى أرض عبد الرحمن جاد الله ، بحيث ينشأ مجراه إنشاء فى مساحة[٦٢٨] منها ، وفى المساحة[٦٢٩] الباقية يكفى توسيع المصرف الموجود بمقدار معلوم ، وما يلزم للإنشاء التوسيع من أطيان جاد الله يعطى أمامه[٦٣٠] بدله من أطيانه إلى جاد الله بحسب ما يقدره

---

(٦٢٧) أى : للمجلس الأعلى للأوقاف .

(٦٢٨) ، (٦٢٩) تقرأ : « مسافة » ، وهى بمعنى واحد مع « مساحة » فى التعبير الدارج .

(٦٣٠) هكذا تقرأ ، والمعنى : فى مقابله .

٢٦٢١
أهل الخبرة بقيمة كل من الأطيان الجارى التبادل فيها ، [ص١٦٨٥] وأن أهل الخبرة قدروا قيمة أطيان جاد الله بمبلغ ١٣٠ جنيه فى البعض والبعض بمبلغ ١٦٥ جنيه ، وأطيان الأوقاف بمبلغ ٧٠ جنيه ، مع أن جاد الله كان يطلب لأطيانه ١٨٠ جنيه . وهناك قطعة من الأطيان انشطرت ، بسبب مرور المصرف ، عن بقيتها ، ولا أدرى إن كانت من أرض الوقف أو من أرض جاد الله ، ولكن الأغلب أنها من الأولى ، وهى التى تعينت للبدل . فمجلس الأوقاف صدق على ذلك .

ثم تقدمت مذكرة ثالثة بأن المصرف الذى أنشىء فى أطيان جاد الله يكون له هو ، ولأطيان إبراهيم فتحى وشركائه حق مرور المياه فيه ، وعليهم الإشتراك فى تطهيره سنوياً ، وذلك لأن جاد الله متعهد لهؤلاء الشركاء بذلك . فالمجلس قرر أن توزع قيمة المصرف إنشاءً وتطهيراً على جميع المنتفعين . وقد ذكرت له اسم عبد الفتاح يحيى فاستحسنه كمن يريد أن يذكره .

فى ١٧ منه

فى يوم الخميس ١٥ منه ، دعانى أمين يحيى للعشاء معه فى النادى ، ورجانى فى أن أصلى الجمعة فى غده عنده بجامع السيدة زينب ، حيث يؤديها السلطان فيه . فقلت : إن ذلك غير مناسب لأن الناس يتأولونه . فاقتنع .

ثم ذهب فى السهرة لدى السلطان ، وعاد فأكد رجاءه الأول فى حضور الصلاة تأكيداً فهمت منه أن ذلك كان بأمر السلطان .

وفى الساعة ١١ من صبيحة الجمعة حضر عندى ، وركبت معه إلى المسجد الزينبى ، وكان أغلب المصلين من الرسميين ، ما بين وزراء

ووكلاء وزارات ، ورؤساء مصالح ، وعلماء ورجال المعية والخاصة السلطانية . ولم يكن المسجد غاصاً ، بل كانت الجهة الغربية منه خالية تقريباً . وكان القائمون(٦٣١) على الدعاء للسلطان بأصوات قليلة وضعيفة . وكان يصلى بجانب السلطان فى صف العلماء محمود باشا شكرى ، ورئيس الوزراء وزملاؤه(٦٣٢) فى الصف الثانى [ص ١٦٨٦] وقد صفق كثير من الحاضرين للسلطان عند خروجه من المسجد .

وعدت مع أمين يحيى إلى النادى ، ثم إلى المنزل ، حيث تغدينا معاً . ومكث عندى إلى الساعة الثامنة ، وهو يكثر الكلام جداً عن نفسه ، وعن تنزهه عن الغاية والغرض ، وعن علاقته بالسلطان كثرة تمل السامع وتكده ، وتنفر طبعه ، ويريد أن يوهم بأن له يدا فى كل ما يبدو من خير أو إصلاح ، وعلما بكل ما يجرى من الأمور بعيدا عنه أو قريباً منه .

ويطعن على رشدى كثيرا ، ويصف عدلى بالذكاء وسلامة الذوق وسعة الإقدار وفتور الهمة(٦٣٣) والهرب من المسئولية ، وعبد الخالق باشا بالثعلبة ! وحلمى بالبلادة ! وإسماعيل سرى بعداوة المصريين ! ورشدى بالضعف وعدم الإخلاص للسلطان ! ويصف إسماعيل صدقى بالنزاهة من كل هذه العيوب ، والتحلى تقريباً بجميع ما تفرق فى غيره من محامد الصفات !

---

(٦٣١) فى الأصل : « القايمين » .

(٦٣٢) فى الأصل : وزملائه .

(٦٣٣) قراءة تقريبية

ويتغنى بعظمة السلطان ، وسعة مداركه ، وسمو مبادئه . ويفتخر بأنه يلقى إليه جميع الكلم الغوالى ، وما يعجب الناس منه من الأقوال الجليلة فى المقامات المتخلفة .

ولقدفهمت منه فى كل هذه اللغّة (٦٣٤) أنه متحامل على رشدى لأنه لا يميل إلى صدقى ، ولأنه نقل سيف النصر من مديرية الفيوم إلى مديرية الجيزة لكى يتمكن من السعى ضده فى القضية المرفوعة بين عائلة راغب ، ومن عبد الخالق ثروت لأنه لا يساعده فى هذه القضية ، ومن شكرى باشا لهذا السبب ، ولأنه يتهمه بأنه يؤ يد خصومه ، وبأنه ، بواسطة نسيبه كامل تيمور ، توصل إلى اقتناء أطيان بالفيوم تخص حرمة تدعى عديلة ، حرم شخص يدعى صالح باشا ، وأنه أعار إسمه إلى نسيبه كامل تيمور حتى يخفى ممتلكاته . وعنده مذكرة بوقائع هذه المسئلة قرأها علىّ ، وما وعيت من مفصلاتها إلا يسيرا ولكن يستنتج منها تداخل عبد الخالق ثروت وشكرى فى مسائل لا تليق بكرامة أنفسهما ولا بمقامهما . والله أعلم بحقيقة ذلك .

وفهمت منه أيضاً أن عظمة السلطان مستاء من كون رشدى لا يساعده على تنفيذ رغباته . كما فهمت منه أن عظمة السلطان يميل إلى أن أكون فى الوزارة .

[ص ١٦٨٧]

فى يوم ١٥ السابق ذكره ، انصرفت من النادى مع عدلى فى الساعة ١٢ ، فأفهمنى أن السلطان أصبح اليوم يميل إلىّ ، وأنه

---

(٦٣٤) قراءة اجتهادية .

مستاء من رشدى لدفاعه عن فتحى، وتقديمه التقارير بهذا الدفاع ، وأنه يخشى من مخالفتى لآرائه .

فقال له عدلى : إنه مادام عظمته لا غاية له إلا الخير ، فلا محل للمعارضة . ولقد كان يصعب على الأكفاء الدخول فى هذه الإدارة تحت سلطان الخديوى ، لأن له غايات أخرى ، حتى إنى التزمت بعدم البقاء فيها إتقاء هذه الغايات .

قال عظمته : إنى ربما أردت عزل بعض الموظفين لفساد سيرتهم ، فلم يرق له ذلك لعلاقة بينه وبينهم ، قال : إنه فى مثل هذه الظروف هو مكلف طبعاً بإثبات صحة رأيه بالأدلة والبراهين . قال : نعم مثل هذه التقارير ! - مشيرا إلى التقارير التى قدمها رشدى دفاعاً عن فتحى .

ثم قال[٦٣٥] : إنى عرضت عليه عبد الفتاح يحيى ، فقال[٦٣٦] : إنه خطر بباله ، ولكنه يراه الآن صغيرا ، ولابد أن ينتظر ويترقى تدريجيا ، ولا يؤول ترقيته الآن إلا بسبب تقرب أخيه .

ثم قال[٦٣٧] : إن البعض ألقى فى وهم عظمته أن تدعى الجمعية التشريعية لأن تحلف له يمين الطاعة والإخلاص ، فقال له رشدى : إن أغلب أعضائها ساقطون ، ولا يساعد القانون على تحليفهم ، ولا على اجتماعهم . ولكنى رأيتها حجة ضعيفة فيما نراه .

---

(٦٣٥) أى : قال عدلى باشا .

(٦٣٦) أى : قال السلطان .

(٦٣٧) أى : قال عدلى باشا .

قلت : إن عقد الجمعية للحلف ثم فضها غير مناسب ، واستمرارها على الإنعقاد غير ميسور . قال : ذلك رأيى ورأى إخوانى : يوسف وهبه ، وثروت !

ورجانى أن لا أخبر بالمسئلة أحداً . ثم انصرفنا .

تردد صدقى علىّ أمس عدة مرات ، استشفاقاً للأخبار . فلم أخبره بشىء . وأحسست منه ذلك حرمى .

وتعلو وجه فتح الله وأخيه الكآبة ، ولا أعلم لهذا العارض سببا !

إشاعة تعيينى فى الأوقاف فاشية ، وسيزيد فى إنتشارها صلاة أمس ، ومرافقة أمين يحيى لى .

زرت أمس رشدى باشا ، وشكرته على عنايته بمسئلة سعيد[٦٣٨] . وفهمت منه أن فتحى باشا طلب منه عزل أباظة[٦٣٩] لأنه يقدح فيه ، وهو مستخدم ظهورات[٦٤٠] [ص ١٦٨٨] فأذنه لأنه لا يمكنه أن يفعل غير ذلك .

وقال : إن ترشيحك عند السلطان ثابت . ولما قلت له : أظن أنك استغربت صلاتى ؟ قال لى : بالعكس ، قد أحسنت صنعاً ، لأن ذلك يسر عظمته . قلت : بل بناء على رغبته .

وقد حضر محمد على بيك المحامى أمس ، وفهمت منه أن فتحى باشا معقد من الإنجليز ! وأظن أن هذا صحيح ، لأن فى

---

(٦٣٨) أى سعيد زغلول .

(٦٣٩) يقصد : عبد الحميد أباظة .

(٦٤٠) ظهورات أى على غير درجة وظيفية .

رشدى ضعفاً لا يقوى معه على معارضة إرادة السلطان لو لم يكن مرتكزاً على قوة .

ويلوح لى أن الإنكليز لا يريـدون التغيير ، لأنـه كان أسهـل عليهم أن يقبلوه بعد الوفاة ، ولأنهم يريدون أن يفهموا عظمته – من أول الأمر – أنه لا شأن له فى سياسة المُلك ، وأنه لا ينبغى أن تطلق يده فى الأعمال . ولهذه الإعتبارات ، هم يحفظون حتى من كانوا يريدون بالأمس إضاعته ! وهم يفعلون ذلك خصوصاً إذا علموا أن صدقى له يد فى المساعى المبذولة لعزل فتحى ، إذ لا يريـدون أن تكون الإدارة عرضة لدسائس ذوى المطامع والأغراض .

فى يوم ١٨

رفت إبراهيم فتحى عبد الحميد أباظة من وظيفته بالأوقاف ، إعتباراً من ١٠ ديسمبر ، لأنه ظهورات كما بينته سابقاً . وعدَّ الناس هذا العزل انتصاراً للوزير ، وتأييداً لمركزه . وقالوا : إن ونجت ، لما أحسَّ بأن لصدقى يداً فى الطعن على فتحى ، خاطب السلطان فى شأنه واستبقائه .

وهذه الرواية ، وإن لم أسمع بها من قبل ، توافق ما استنتجته أمس .

حضر عندى أمين يحيى أمس ، وأخبرنى بأن عظمة السلطان أصبح يميل إلى تعيينى ، وإنه يسأل الله أن يوفقه إلى نجاح المسعى .

قلت : إن كـان المراد من تعيينى نفـع شخصى ، فلا أود أن يتم ! وإن كان المراد به النفع العام ، فإنى مستعد للخدمة .

[ص ١٦٨٩]

ولقد شرع يقول لى : إن الإنكليز لم يكونوا راضين عنك ، وإن تعيينك من عظمة السلطان .

قلت له : إنه لم يكن ضدى من الإنكليز إلا كتشنر وسيسل . وعند خروجى من الحكومة قلت لكتشنر : إن كل ما أغضب الخديو منى تقرر هنا . والعلاقات بينى وبين ونجت حسنة من قديم ، فلا أظنه يعارض .

قال : إن طبيعته مجاملة ، ولكن المجاملة شىء ، والسياسه شىء آخر! ثم طلب أن أقسم أن أخدم بالصدق والإخلاص ! قلت : إن ذلك لا حاجة للقسم عليه . لأن هذا من طبعى ومن مبادئى ، ومادام عظمة السلطان يحب الحق ، ومصلحة البلاد ، والصراحة فى القول ، والإخلاص فى العمل ، فلا أحب إلىّ من التفانى فى خدمة هذه المبادىء فى شخصه الكريم .

قال : وإننا نتحالف أن نكون يداً واحدة على تنفيذها .

قلت : إنى حليف لكل من يعمل عليها مثلى .

ولقد فهمت منه أنه يريد - أولاً - إقناعى بأن له دخلا فى ترشيحى . وثانيا ، أنه يريد أن أقدم له مثل هذه الخدمة فى المستقبل ، وأن يكون من حول السلطان دائرة هو مركزها من الإخلاص ، الخ .

وهو رجل معجب بنفسه ، فخور جداً بشأنه ، ولوعُ بمصاحبة الأعلين ، شغوف بمعاشرة ذوى المقامات الرفيعة ، محدود الفكر ،

قليل البضاعة ، فقير[٦٤١] المعلومات . يسألك ، ثم لا يصغى إلى جوابك ! ويسترشدك ، ولا يسمع إرشادك ! ويدعى أنه يعرف الأمر ، وهو يجهله ! ويسمح لنفسه أن يعلّمك ما حقه أن يتعلم منك ! ولا يفتأ يوهمك بعلو منزلته عند السلطان ، ونزاهته عن كل غرض ، وأنه لا يبغى وظيفة ولا مركزا رسميا ، ولكنه يبغى[٦٤٢] [ص ١٦٩٠] مقاماً علياً يسمح له أن يروح ويغدو من غير أن يتعرض لنقد ناقد ، ولا لوم لائم .

وقدفهمت أن رشدى عرض عليه بعض الوظائف ، فأباها وقال : إنه لا يريد إلا عنوان شرف ككبير الأمناء ، ورئيس الديوان ، ولكن عظمته لم يقبل ذلك ، لأنه لم يسبق له أن اشتغل هذه الوظائف . وهو ناقم على رشدى يطعن فيه طعناً شديداً كلما سنحت الفرصة .

زرت (. . .)[٦٤٣] أمس مع عدلى ، وكان الوزراء هناك ، وقليل جدا من العلماء - وذلك لمناسبة أنها ليلة الأربعين من وفاة السلطان حسين . ولم يكن هناك نجله الأمير كمال الدين ، ولا أحد من العائلة السلطانية !

وقد سألنى رأيى أمين يحيى فيما ينبغى صنعه بفتحى ، فقلت : إن الأحسن البدء بفصله لعدم الثقة فيه ، ثم النظر فيما يتهم به من المسائل الخافية إن كانت ثابتة ، لأنه مادام لابد من فصله فلا معنى

---

(٦٤١) قراءة تقريبية .

(٦٤٢) فى الأصل ولكنه يبغى ولكنه يروم ، وكلاهما بمعنى واحد ، وقد اكتفيا بالأولى فى المتن .

(٦٤٣) اسم غير مقروء وقد يكون : « العتيقى » ، أو العتاقة ـ والمعنى : سرادق العزاء .

للتحقيق معه وانتظار نتيجة التحقيقات .

وقد وجدت هذه الفكرة اقتناعا[٦٤٤] ، وأبداها للسلطان فاستحسنها ، وبعد أن كان أمر شكرى باشا بأن يخابر رشدى فى تعيين لجنة لتحقيق تلك التهم ، كلف رشدى أن يفاتح ونجت فى فصل فتحى وحلمى[٦٤٥] وبعد ذلك ينظر فيها إذا كان هناك مجال لاتخاذ اجراءات أخرى .

سألنى عدلى رأيى فى تحليف أعضاء الجمعية التشريعية يمين الطاعة للسلطان ، وقال[٦٤٦] : لا أدرى من أدخل هذه الفكرة فى عقله بحجة أن ذلك يرفع فى أوروبا من شأنه ؟

فقلت : لا معنى لجمعها لهذه اليمين ثم فضها عقب ذلك . فقال : هذا رأيى ، ورأى وهبة باشا ، وثروت ، ولكن رشدى يقول : إن القانون لا يساعد [ص ١٦٩١] على اجتماع الجمعية ، لسقوط ثلثى أعضائها .

فى ١٩ منه

أخبرنى أمين يحيى أمس بأن رشدى يبدى شيئا من التحفظ فى نتيجة مخابرته مع ونجت فى شأن الوزيرين . وبعد العشاء قال - نقلا عن السلطان - : إنه تم الاتفاق على الفصل ، والمساعى مبذولة لاتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك .

---

(٦٤٤) كلمة إقتناعا غير موجودة فى الأصل ، وقد أضفناها لأن الجملة كانت ناقصة .

(٦٤٥) أحمد حلمى باشا وزير الزراعة .

(٦٤٦) فى الأصل : قال .

٢٦٣٠

ولكن عبارته فى هذا الشأن كانت ركيكة خفيفة .

ثم قال : إن رشدى لا يريد صدقى ، مع أنه أحسن المرشحين .

قال : ولكن رشدى يتوهم أنه لازم ضرورى (٦٤٧) فيتدلل ويتيه ، (٦٤٨) على أنه ليس من هو كذلك فى العالم . وكرر هذا عدة مرات !

أما عدلى فلم يكن يعلم شيئاً .

قال : ورشدى يرشح مكان صدقى عبد العزيز فهمى ، وتوفيق رفعت . وإذا صح حذرى فالإنكليز مؤيدون لإبراهيم فتحى لا لسبب سوى السبب الذى قدمناه ، ومن يعش ير .

حضر عندى الشيخ عبد الكريم سلمان ، وسألنى عما إذا كنت حقيقة سأتعين وزيراً ؟

قلت : إنها لم تعرض على لغاية الآن ، وما سعيت ، ولن أسعى لها . فإذا عُرضت على ، نظرت فى الأمر بما يناسبه .

قال : ولكن الهلباوى أخبره بأنى أسعى لها !

قلت : لا حقيقة لذلك !

والظاهر من هذا الشيخ ، بل الصديق ، أنه غير مستحسن !

وسمعت وشعرت بتهكمه على الصلاة من على شعراوى وحافظ إبراهيم وصدقى . ولكن لا يلزم الإهتمام بهذه السفاسف .

---

(٦٤٧) قراءة اجتهادية .

(٦٤٨) قراءة اجتهادية .

[ص ١٦٩٢]

فى ٢٠ منه

أخبرنى أمس صدقى بك ، نقلا عن محمودبيك طوير ، أن ثروت مكلف بمراجعة التهم الموجهة على فتحى[٦٥٠] ، وهو مشغول الآن ببحثها . وأيد لى ذلك عدلى . وهذا يدل على صحة حِذْرى[٦٥١] ، ولا أخال أن ثروت يدين فتحى ، لأنهما كانا صديقين ، ولأنه قيل أن أخا ثروت الذى طعن على فتحى كان غضب عليه أخوه ، فأصلح بينهما فتحى .

وأخبرنى رفقى باشا – نقلا عن عزت شكرى – أن مركز رشدى متزعزع عند السلطان ، لأنه لا ينفذ لعظمته رأياً ، ولا يحقق له رغبة ، وإنه ضائق منه ذرعاً .

ولكن عدلى يقول : إنه لم ير على السلطان شيئاً من ذلك . وقد لمحت على عدلى أمس وأول أمس شيئاً من التحفظ ! والله أعلم !

دارت بينى وبين حرمى مناقشة فى موضوع ما يتناقله الناس من ترشيحى للوزارة ، حيث رأيتها لا تستحسن هذا الترشيح ، لسقوط منزلة الوزارة عند الناس ، وتلوث الوزراء بسوء السيرة عند الناس ، ولكونها تخشى تغير الأحوال ، وأن يلحقنى شىء من الأذى !

ولقد قلت لها : إنه لا يضرنى أن أكون وردة بين الأشواك ، ونقطة بيضاء فى ذلك السواد ، بل هو أنفع لى . ولا خوف من تبدل الأحوال ، وإنى فى الوزارة أقدر على كثير من النفع ، ولكن فى غيرها لا أنفع إلا نفسى .

---

(٦٥٠) يقصد إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف .

(٦٥١) أى : تكهنى .

ومازلت بها حتى مالت ، ولكن ميلها لم يكن تاماً ، فهى تعود إلى النفور كلما خليت وشأنها .

ولقد أصبح ميلى إلى هذا المنصب ضعيفاً ، بسبب ما أجده من ذلك النفور ، حتى فى أقرب الناس إلىّ ، وأحبهم لخيرى ، وبسبب كونه يلزمنى بالعمل مع قوم لا تتفق مبادئهم مع مبادئى ، ولا ميلى مع ميولهم ، ويُضطرنى إلى معاملة أناس لا أثق بهم ، ولا يثقون بى ، ولا أركن إليهم ولا يركنون إلى ، ولا تخلو أحاديثهم فى هذه الأيام مما أكره ، ولا حديثى معهم مما يكرهون . وعظمة السلطان حديث العهد بالملك والادارة ، مقتنع بأنه خبير بهما ، وفيه ميل للاستبداد بذاته [ص ١٦٩٣] ومن حوله من لا يهتم إلا لغايته ، ولا يعمل إلا لمنفعته .

ثم إن معاملة الوزراء - الذين أرى نموذجاً منها فى معاملة فتحى باشا لا تتفق مع علو مراكزهم ورفعة شأنهم ، فإنهم يعاملونه كبقية الموظفين ، يجرى التحقيق ضد أعمالهم وهم لا يشعرون ، ويُسعى فى تغييرهم لمجرد الشهوة ، أو تبعا لدسائس بعض المقربين ! نعم إنها جاءت[٦٥٢] فى هذه الدفعة من لا حرمة له فى شخصه ، ولا قيمة فى نفسه ، ولكن ما جاز عليه يجوز عليه غيره !

فالأحسن أن لا يتعرض الكريم لمثل هذه الضعة،ولا عزيز النفس لمثل هذه الإهانات[٦٥٣] !

لعبت أمس البوكر ، وتعشيت فى النادى ، وبقيت فيه إلى ما بعد الساعة الواحدة ، وبعد أن خسرت كسبت ٤٤ جنيه !

---

(٦٥٢) قراءة تقريبية .

(٦٥٣) هذه الفقرة من سعد زغلول عن تدهور مركز الوزارة والوزراء .

فحمدت النتيجة ، ولكنى أسفت جدا لما عملت ، لأنها بداية قد تجرنى إلى غاية سيئة ، فيلزم أن لا أعود ، وإلا كنت - لا محالة - خاسرا[٦٥٤] ، والعياذ بالله .

إستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان : حكمة بالغة ، ووصية نافعة ، ونصيحة غالية . فاستمع لها ، واعمل بها تبلغ مرادك ، وتحصل لك الثقة من جميع إخوانك .

فى ٢١ منه

أصدرت السلطة العسكرية أمس أمراً بمنع تصدير القطن ، إلا برخصة من لجنة أقامتها لهذا الغرض ! وقد قال رئيس الوزراء ، فى حديث أذاعه عنه صاحب المقطم فى جريدته : إن الغرض من هذا المنع عدم ايصال شيىء من القطن إلى الأعداء !

وقد اعترضت عليه ، وكنا نشيع جنازة المرحوم إبراهيم نجيب باشا ، بأن هذا الغرض كان يمكن إدراكه بإيجاب هذه[٦٥٥] الرخصة على قومندات السفن التى تشحن قطنا . ولكن إلزام التجار بها غير مفهوم !

فأجاب بما لم أفهمه تماماً ! ورأيت منه الرغبة الشديدة فى أن يقتنع الناس بصحة تعليله، ويعتبروا ذلك غير ضار بهم[٦٥٦] .

---

(٦٥٤) فى الأصل : خاسر .

(٦٥٥) قراءة تقريبية لأنها مطموسة بالحبر . ويقصد سعد زغلول أنه بدلا من أن تلزم الحكومة (التجار) بالحصول على رخصة من اللجنة التى أقامتها لهذا الغرض بعدم تصدير القطن إلى بلاد الأعداء ، فإن تلزم قباطنة السفن التى ستنقل شحنة القطن بعدم توصيل القطن إلى بلاد الأعداء .

(٦٥٦) قراءة اجتهادية .

أسمع قائلا يقول : إن القطن فى البورصة لم يتأثر بهذا المنع ، فاستبشر من هذا الخبر ! وألفت نظرى إليه !

ثم افتخر بإخراج الأرز من التسعيرة ، فقلت : إن هذا الاخراج أصبح عديم [ص ١٦٩٤] الفائدة ، مادام إصداره ممنوعا !

وقد شممت منه رائحة الهرب من الحديث فى موضوع التغيير المنتظر ، أو ما يتعلق به فلم أرد أن ألح به !

توفى أول أمس إبراهيم نجيب باشا ، وكيل وزارة الداخلية سابقاً ، ثم محافظة مصر ، ثم مدير الأوقاف ، وقد شيعت جنازته ، ومشى فيها خلق كثير ، كلهم من أرباب الحيثيات فى مصر . ولكن لم يكن هناك تأسف عليه من كثير من المشيعين !

وعند دخولى الخيمة ، واجهت فى طريقى محمد بيك فهمى ، وكيل محافظة مصر ، وأخاه محمود فلم يتحركا ! ثم حضر عدلى ، فلم يجد له محلاً ! فدعوته إلى جانبى ، فحضر .

ثم قدم رشدى ، فقامت لقدومه الصفوف !

ولم يلتفت أحد إلى فتحى[٦٥٧] ! وكانت بذلته ضاربة للخضرة، ورباط رقبته كان أخضر باهتاوهيئته كانت هيئة المسافر ، لا المعزى !

وكل يوم يمضى يتأيد ظنى بأن الإنكليز يؤيدونه - أى فتحى - لا ثقة به ، ولكن حتى لا يتوهم السلطان أن له سلطاناً ، وأنه يمكنه أن يعزل ويولى !

---

(٦٥٧) يقصد : إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف .

هكذا ظنى ، وتأكيد كثير من العقلاء .

أشمئز كثيرا عندما أتحادث مع الوزراء ، وأرى فيهم ضعفاً عن العمل ، أو ميلاً للأعداء(٦٥٩) وترويجاً لسياستهم وإدارتهم .

وأحسن من نيل الوزارة للفتى ... حياة تريه مصرع(٦٦٠) الوزراء .

فى ٢٢ منه

زارنى أمس أمين باشا يحيى ووالده ، ولم يمكثا إلا قليلا ، ومحمود باشا شكرى ، وفاتحنى فى مسئلة معاشه ، وحاصلها أنه كان استبدل معاشه ، ثم توظف بوظيفة رئيس الديوان [ص ١٦٩٥] السلطانى ، فقُطع منه ما يوازى مقدار مرتبه فى المعاش . وهو يزعم أن لا حق للحكومة فى ذلك ، مع أن قاعدة التوظف التى قررها القانون أن لا يجمع بين معاش وماهية،وحكم المساواة(٦٦١) فى تطبيق هذه القاعدة يستلزم أن يقطع لمن استبدل معاشه وعاد إلى الخدمة مقدار مرتبه فى المعاش ، ولكن الرجل ضيق العقل من جهه ، وفائدته تمنعه من فهم الحقيقة من جهة أخرى ! وقد عرضت عليه أن أتكلم فى شأنه مع رشدى ، الذى رأيته يهتم بشأنه ، فبعد أن ركن إلى ذلك ، طلب منى أن لا أتكلم ! فوافقت .

وقد قابلت أمين باشا يحيى فى النادى، بعد العشاء ، وكان رأى عظمة السلطان فقال(٦٦٢) إنه أقنعه بأنى من أخلص الناس إليه ،

---

(٦٥٩) يقصد بالأعداء : الانجليز .

(٦٦٠) قراء ترجيحية .

(٦٦١) قراءة تقريبية .

(٦٦٢) جملة مشطوبة على النحو الآتى : « إن عظمته مقتنع الآن تمام الاقتناع بفائدة وجودك فى الوزارة » .

وأصدقهم ولاء ، وأن وجودى فى الوزارة نافع جداً . فاقتنع بذلك ، وقرره فى نفسه ، وعند أول فرصة يتم المراد .

قال : ولكن إسماعيل صدقى ليس من الميسور إدخاله فى الوزارة الآن ، لوجود صعوبات كثيرة أمامه .

وقد كنت أسمع كلامه فى شأنى وأنا متقزز ، ولولا أننى كنت فى الظلام ، لقرأ فى وجهى علامات الاشمئزاز .

فشكرته ببرود ، وتعجبت من إخفاق سعيه فى صدقى !

ثم قال لى : إن عظمته لا يعرف أن المسئلة تحولت على ثروت ، وانه مشغول بدراستها ، وأن ونجت مسافر فى فترة والأمر موقوف على عودته .

ولكنى أرى أن فى الأمر سراً ستكشفه الأيام .

ثم ألح إلحاحاً شديداً علىَّ فى حضور صلاة الجمعة القادمة ، إجابة لرغبة عظمته ، لأنه يجب أن تلتف الناس حوله .

فى ٢٣

قابلت أمس فى النادى مظلوم باشا[٦٦٤] ، واتفقت معه على أن نذهب اليوم للصلاة فى مسجد الإمام الشافعى . وفعلت ذلك إتقاء لمصاحبة أمين يحيى !

حضر أمس الهلباوى بيك ، وتبرأ من كونه قال إلى الشيخ عبد الكريم سلمان : [**ص ١٦٩٦**] إنى أسعى للوزارة تبرؤاً، ولكن

(٦٦٤) رئيس الجمعية التشريعية .

ودلنى تهدج صوته فى إلقائه ، وإضطرابه فى البداية[٦٦٥] على صحة ما نسب إليه ، خصوصا وأن ناقل الخبر لم أعهد فيه الكذب . ومع ذلك قد أريته أنى صدقته ، وقبلت إيضاحه .

قلت : إن الوزارة من المناصب السامية ، والسعى إليها فى ذاته ليس بعيب ، ولكنى مع ذلك لم أسع ، ولن أسعى ! أما إذا عرضت على ، وكانت شروطها مقبولة ، فلا أفهم سبباً لرفضها .

وما يضير إخوانى من وجودى فيها ؟ إنهم يحق لهم أن يتضرروا إذا كانوا يشكون فى ذمتى ، ولا يثقون باخلاصى .

وطالما نصحت إخوانى ، الذين رفعهم الجد[٦٦٦] إلى وظائف عالية أن لايفارقوها ، لأنهم ينفعون أكثر من غيرهم . وما فائدة الأمة ، التى لا رأى لها فى انتخاب وزرائها ، من أن تلزم الصادقين[٦٦٧] من أبنائها بالبعد عنها ، مع أن ضرر اختيار غير الصالح واقع عليها دون غيرها . إنى لا أعد ذلك إلا ضرباً من الحمق !

ومازلت أتكلم بهذا ، أو ما فى معناه ، حتى رجانى الكف عنه ، لأنه مكسوف منه .

وقد رأيته يرى رأيى فى أن الإنكليز لابد وأن يكونوا هم الذين لا يريدون الآن إخراج فتحى ، حتى لا يتوهم السلطان أن له سلطاناً على الحكومة . وروى عن عرفان[٦٦٨] أن استورس قادم من لوندره .

---

(٦٦٦) قراءة تقريبية .

(٦٦٧) وقد تقرأ : العارفين

(٦٦٨) هكذا تقرأ .

والأحسن أن يبعد الإنسان عن مواقع التهم ، وأن لا يتعرض للشبهات .

ولقد أديت اليوم صلاة الجمعة فى مسجد الإمام الشافعى ، وكان المصلون الرسميون مثلهم فى الجمعة السابقة ، وغيرهم كانوا قليلين . وكانت الخطبة باردة ، سخيفة ، وسخيفاً أسلوبها وإلقاؤها .

وقد زار السلطان كثيراً من قبور العائلة بعد الصلاة ، وكان يهرول هرولة ، والناس من خلفه يركضون ركضاً . وكان واجماً لا يكلم أحدا ، ولم يسلم على أحد باليد عند الإنصراف كعادته ، بل بالإشارة . ولم يكن فى الحفلة من علامات الوقار سوى السكون والسكوت .

[ص ١٦٩٧]

وكنت ذهبت إلى الصلاة مع مظلوم باشا ، وعدت معه . وقال لى – أثناء ذلك:– ألا تسعى هذه الأيام لتنال فى الوزارة مركزاً ؟ لأنهم يقولون إن مركز وزير الأوقاف يخلو قريباً ، وأنت أليق به من سواك ؟

فقلت : ليس من واجبى السعى ! فإذا هم افتكروا فى من تلقاء أنفسهم فعلوا ، وإلا فلا معنى للسعى .

قال : إن رشدى صديقك ، فلماذا لا يفعل شيئا ؟ إنى مستعد لأن أفاتحه ، ولأن أفاتح حتى السلطان نفسه !

قلت : ليس رشدى محتاجاً للكلام . قال : أتكلم مع السلطان ! ولكن لا يليق الكلام معه قبل خلو المكان ، وربما خلى وأنا غائب ولا أدرك الوقت اللازم .

قلت : يفعل الله ما يشاء ، وإنى الآن مرتاح مسرور من حالتى .

قال : هذا لفائدة المصلحة العامة .

ثم تغدينا معاً، وكان معنا صدقى بيك[٦٦٩] وسعيد بيك[٦٧٠] وقد رأيت وجه فتحى باشا محتقناً ، ويعلوه الكدر حتى تملكنى[٦٧١] السرور . وما رأيت أمين يحيى أمس ، ولا اليوم .

وقد زارنى اليوم أحمد بيك عبد اللطيف ، وحسين بيك خفاجى ، وعلى بيك عمر ، وصالح باشا ثابت ، وعبد الله أباظة بيك ، وبهى الدين بركات ، ومحمد بيك[٦٧٢] صدقى ، وأطلعنى على بيك عمر على حرز خطابات من مدير البحيرة ، كلها تدل على سخافة هذا المدير ، وتحامله على مدير التعليم بقلة عقل وخفة ، لا تليقان بإنسان ، فضلا عن موظف علىّ الشأن .

فى ٢٤ منه

دعانى أمس اسماعيل صدقى إلى تياترو برانتانيا ، لحضور تمثيل رواية كارمن ، بواسطة جوق منيرة المهدية ، ودعا[٦٧٣] معى عدلى باشا وثروت باشا . وحضر أخيرا أخوه عزت بيك .

---

(٦٦٩) محمد صدقى بك ، شقيق محمود صدقى باشا وعديل سعد زغلول .

(٦٧٠) سعيد زغلول .

(٦٧١) قراءة تقريبية .

(٦٧٢) بيك مكررة فى الأصل .

(٦٧٣) فى الأصل : دعى .

وقد كان التياترو على سعته ، غاصا بالمتفرجين ، والألواج مملوءة جدا ، ولكن أغلبهم كانوا [**ص ١٦٩٨**] من الطبقة الوسطى والدنيا(٦٧٤) .

ومنيرة المهدية فنانة فى الثلاثين من عمرها ، خمرية اللون ، رشيقة القد ، مليحة الوجه ، خفيفة الروح ، رخيمة الصوت ، وطويلة النفس ، وتمثيلها لا بأس به ، كما لا بأس ببعض أفراد الممثلين معها .

وقد رأيت التمثيل تقدم عن ذى قبل كثيراً ، ولكن الشعب لم يتهذب بعد ! ولم يترب فيه(٦٧٥) ذوق هذه المشاهد ، فهو يصفق لما يجب السكوت عنده ، ويسكت لما يجب له التصفيق ، ويضحك عندما يلزم البكاء ، ويسكت بعضه بعضاً ، فيكون الإسكات أدعى للجلبة من التشويش .

وقد لبثت إلى ما قبل الفصل الأخير وانصرفت مع عدلى ، وبقى صدقى وثروت بعد أن خرجا معنا ، بحجة أنهما يريدان السير على الأقدام ، ولكن يظهر من حالتهما أنهما كانا يريدان أمراً آخر !

ولقد تحدث الناس بوليمة صنعها زوج منيرة المذكورة لثروت باشا ، وبعض القضاة والمحامين ، وانتقدوا الوزير انتقاداً مراً سمعنا من الهلباوى شيئا منه كما أشرنا إليه سابقاً .

ولقد قيل إلى ثروت : إن سرى باشا(٦٧٦) يقول إن منيرة هذه

---

(٦٧٤) فى الأصل : والدونيا .

(٦٧٥) فى الأصل : فيها .

(٦٧٦) اسماعيل سرى باشا ، وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية .

ليست حميـدة السيرة ! فـاكفهر وجهـه ، واحتقن وعلاه الكـدر ، وقـال : عـلى ذلـك سيـرفض الإذن فى التمثيـل فى الأوبـرا[٦٧٧] السلطانية ؟

فى ٢٥ منه

انعقدت أمس جلسة بالجامعة ، وبحث فيها قضية عبد العزيز فهمى ، الذى كان سكرتيراً بها وانفصل . فتبين أن الجامعة فصلته اقتصاداً !

وبعد الاطلاع على واقعة حاله ، رأيت مع إخوانى أن يقال فى الـدفاع : إن الشبهـات فى الإهمال والتـلاعب بـأمـوال الجـامعـة وإدارتها ، كانت قامت بأذهان أعضائها منذ انفصاله ، ولكنها لم ترد أن تبنى عليها فصله ، رأفة بحاله . ولكن هذا الإشتباه أدى بها إلى فحص أعماله[٦٧٨] ، فتبين لها . . الخ .

وقد تنحى عن الدفاع فى هذه القضية مرقص بيـك فهمى ، مستشارها ، ولم يقبل ذلك عبد العزيز بيك فهمى بحجة كونه يعلم القضية . ولكن حجته غير مقبولة - كما قلت له .

والظاهر أن تنحيه[٦٧٩] ، لأن الدفاع يجر إلى كشف القناع عن خلل إدارة الجامعة ، أيام كان البرنس فؤاد رئيسا عليها !

---

(٦٧٧) فى الأصل : الأوبره .

(٦٧٨) فى الأصل : أداها .

(٦٧٩) أى : تنحى مرقص بك فهمى ، لأن عبارة « تنحى عن الدفاع » تعود إليه ولا تعود إلى عبد العزيز بك فهمى ، الذى لم يقبل ذلك الدفاع . وكان الأمير أحمد فؤاد قد ترك رئاسة الجامعة عام ١٩١٣ ، وخلفه حسين رشدى باشا .

ثبت بمصادر ومراجع التحقيق

أحمد تيمور : الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلمية (القاهرة ١٩٥٠) .

أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثانى ، القسم الأول والقسم الثانى (مطبعة مصر ١٩٣٦) .

أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثالث ، عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣ (القاهرة ، دار مجلتى للطبع والنشر) .

أحمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، الجزء الأول .
(القاهرة ، مطبعة شفيق باشا ١٩٢٦) .

أحمد صادق موسى : تاريخ الدين المصرى العام المالى والسياسى . ٣١٣
(المطبعة الفخرية ١٩٤٤) .

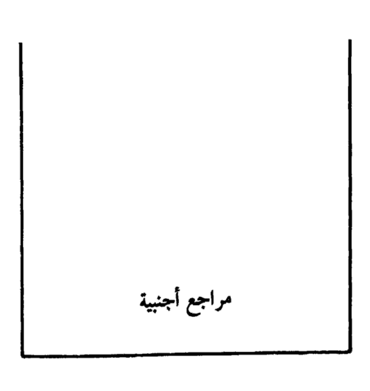
الياس زخورة : مرآة فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، ٣ أجزاء (المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧) .

أمين مصطفى عبد الله : تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث .
(مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٤) .

أمين سامى باشا : التعليم فى مصر فى سنتى ١٩١٤ و ١٩١٥ (مطبعة المعارف ١٩١٧) .

زكى صالح ومحمود مرسى : البعثات التعليمية فى القرن التاسع عشر ، الجزء الثانى (القاهرة ١٩٦٣) .
طلعت اسماعيل رمضان : الادارة المصرية فى فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ ــ ١٩٢٢ (دار المعارف ١٩٨٣) .
عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ، الجزء الأول (مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦) .
عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، رمز الاخلاص والتضحية (القاهرة ، البابى الحلبى ١٩٤١)
عبد العظيم رمضان : الدكتور : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ــ ١٩٣٦ ، (القاهرة ، هيئة الكتاب ١٩٦٨) .
عبد العظيم رمضان : الدكتو : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ ــ ١٩٥٨ مجلدان (بيروت ، ١٩٧٣) .
عبد العظيم رمضان : الدكتور : الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ ــ ١٩٣٦) (هيئة الكتاب ١٩٧٧) .
عبد العظيم رمضان : مذكرات سعد زغلول ، الجزء الأول ، والثانى ، والثالث ، والرابع والخامس (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢)
عبد المنعم الجميعى : الجامعة المصرية القديمة ، قيامها ودورها فى المجتمع ١٩٠٨ ــ ١٩٢٥ .
عبد الوهاب بكر ، الدكتور : البوليس المصرى ١٨٠٥ ـ ١٩٢٢ ، الجزء الثانى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ١٩٧٧) .
فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩) .
قليبى فهمى باشا : مذكرات قليبى فهمى باشا ، المجلد الأول (١٩٤٣)
محسن محمد : سعد زغلول ، مولد ثورة (القاهرة : مكتبة غريب ١٩٨٣)
محمد ابراهيم الجزيرى : آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب ، الجزء الأول (دار الكتب المصرية ١٩٢٧) .

محـمـد ابـراهـيم الجزيرى : سعد زغلول (كتاب اليوم)
محمد سيد الكيلانى : السلطان حسين كامل ١٩١٤ ـ ١٩١٧ ، الطبعة الأولى ١٩٦٣ (القاهرة : دار العرب للبستانى بالفجالة)
محمد توفيق خفاجى : أضواء على تاريخ التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة (وزارة التربية والتعليم ١٩٦٢)
محمد خليل صبحى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر ، الجزء الرابع والسادس (دار الكتب ١٩٣٩) .
محمد خيرى حربى والسيد محمد العزازى : تطور التربية والتعليم فى مصر فى القرن العشرين (وزارة التربية والتعليم ١٩٥٨) .
محمد على علوية : ذكريات اجتماعية وسياسية (المركز العربى للبحث والنشر ١٩٨٢) .
محمد فريد : أوراق محمد فريد ، المجلد الأول ، مذكراتى بعد الهجرة ، (هيئة الكتاب ١٩٠٤ ـ ١٩١٩ (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٧٨)
الموسوعة العربية الميسرة ، جزءان (بيروت ، دار نهضة لبنان) .
المنجد فى اللغة والاعلام (بيروت ، دار الشرق ١٩٨٦) .



Chirol, Sir Valentine, The Egyptian Problem, (London, Macmillan 1920)

Lloyd, Lord G, Egypt Since Cromer, Vol. I (London, Macmillan 1933)

The University Encyclopedia (London 1985)

٢٦٤٩

الكشافات (*)

(*) قام بإعداد هذه الكشافات الأستاذ سامى عزيز فرج بمساعدة السيدات ايزيس راغب واستر غالى وماجدة سليم

١ ـ كشاف الاعلام

- ب -

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

٢٦٥٧

٢ ـ كشاف الهيئات

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

٣ ـ كشاف البلاد والأماكن

٤ ـ كشاف الحوادث

٢٦٧.

٥ـ كشاف الدوريات

من أهم أعمال المؤلف

١ ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٣٦)
(القاهرة : دار الكاتب العربى ١٩٦٨)
٢ ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٤٨) ـ مجلدان .
(بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .
٣ ــ الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر ، من ثورة يوليو الى ازمة مارس ١٩٥٤ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .
٤ ــ عبد الناصر وأزمة مارس .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .
٥ ــ الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ ــ ١٩٣٦)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧)
٦ ــ صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ ـ ١٩٥٢) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .
٧ ــ الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ ــ الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) .
٩ ــ المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ ــ ١٩٧٩) .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .
١٠ ــ الاخوان المسلمون والتنظيم السرى .
(القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .
١١ ــ الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .
١٢ ــ حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .
١٣ ــ مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر .
(القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .
١٤ ــ تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان)
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .
١٥ ــ الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ، وحركات المقاومة .
(القاهرة : دار المعارف) .
١٦ ــ مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .
١٧ ــ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .
١٨ ــ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
١٩ ــ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .
٢٠ ــ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق الجزء الثانى .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .
٢٢ ـ مصر فى عصر السادات الجزء الثانى .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .
٢٣ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .
٢٤ ـ الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى
(القاهرة ١٩٩٠) .
٢٥ ـ حرب الخليج فى محكمة التاريخ .
(القاهرة : الزهراء ـ ١٩٩٠) .
٢٦ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٧٩
(القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .
٢٧ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .
٢٨ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .
٢٩ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .
٣٠ ـ أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٣) .
٣١ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق، الجزء السادس
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

مع اخرين :

١ ـ مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق
(القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د . رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

١ ـ تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٨٢) تأليف جون مارلو .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦) .

٢٦٧٥

الفهرس

٢٦٧٦

- سعد يعلن أنه اختار العزلة ، وينقد الحياة العامة فى مونولوج طويل .
- مرض السلطان حسين ، وتعليق سعد زغلول على موته المحتمل .
- حديث بين يونانى وسعد عن العلاقة بين اليونان والصرب أثناء الحرب .
- حديث رشدى مع سعد عن مرض السلطان ، وعن الوزراء وخلافاتهم .
- مقابلة سعد مع البرنس أحمد فؤاد .
- محاسبة سعد نفسه على لعب الورق .
- خبر تعيين السير ريجنالد ونجت مندوبا ساميا فى مصر وسرور سعد لهذا الخبر
- تردد سعد بين مسجد وصيف ودمنهور لمباشرة زراعاته .
- رأى سعد فى المنفلوطى وحافظ عوض .

● **الكراسة ٢٩ جـ ١ .... ٩١**

محتويات الكراسة :

- سعد زغلول يرفض الاشتراك فى استقبال السير مكماهون عند عودته إلى القاهرة من مصيفه .
- ترشيح هينز مستشارا للداخلية مكان جراهام .
- انتقاد سعد زغلول لجنة تكريم جراهام ومراسيم وداعه .
- سوء العلاقات بين محمد محمود باشا والمستشار المالى .
- نفى خادمين خصوصيين للسلطان بأمر السلطة العسكرية البريطانية ، وتفتيش سراى رأس التين فى غياب السلطان .
- رشدى باشا يبلغ سعد زغلول أن إسماعيل سرى باشا ويوسف وهبة باشا كانا يعارضان فى تعيينه وزيرا للأوقاف .
- ضرب نقود باسم السلطان حسين بإذن الحكومة البريطانية .
- سقوط السلطان حسين من اهتمام الرأى العام .
- وزير الداخلية يأمر المديرين بالاكتتاب لإنشاء أثر خيرى تمجيدا لاسم كتشنر ! والتبرع للصليب الأحمر .
- سعد زغلول يشترى آثاثا بعشر جنيهات لتأثيث استراحته بدسونس ، ويلوم نفسه لإسرافه !
- سعد زغلول وخلافات عائلته .
- الحكومة تعمل على تسوية ديون الأمير أحمد فؤاد توطئة تعيينه ولى عهد
- السلطان حسين يفصل عددا كبيرا من موظفيه .
- انتقاد سعد زغلول فتح الله بركات باشا

- توتر العلاقات بين قصر الدوبارة وعابدين .
- إشاعة مبايعة السلطان حسين بالخلافة .
- برقية ونجت باشا لسعد زغلول ورداً على تهنئته .
- التكهنات فى مصر بشأن استبدال ونجت باشا بمكماهون .
- اشاعة تجنيد الانجليز جيشا من المصريين للاشتراك فى الحرب .
- سعد زغلول يكتب بعد مقابلته لمكماهون ! « صغر الرجل فى عينى » !
- سعد زغلول يرفض فى حديث مع فارس نمر باشا مساعدة مصر انجلترا بجيش .
- تعيين السير لى ستاك حاكما عاما للسودان وسردارا للجيش المصرى .
- الغارات الجوية الألمانية على القاهرة ، وشك سعد زغلول فى أنها غارات بريطانية !
- حديث سعد زغلول مع حسين رشدى باشا .
- حسين رشدى باشا يؤكد فى حديث مع سعد باشا قصة إرسال قوة مصرية ، ويقول أن حكومته عارضت فى ذلك .
- قلق سعد زغلول لاضطراب بورصة القطن .
- مسألة تعيين محمد حتاتة عمدة ، واعتراض جراهام على تعيينه .
- مشكلة قطن دسونس .

محتويات الكراسة :

- سعد زغلول يستعرض حالته الأقتصادية ابتداء من ١٠ نوفمبر ١٩١٦ حتى ١٤ ديسمبر ١٩١٦ ، ونتيجة مضاربته فى القطن .

محتويات الكراسة :

- انتهاء مشكلة قطن دسونس
- مقابلة سعد للسلطان حسين يوم ٤ ديسمبر ١٩١٦
- سعد ولعب الورق ، ومحاربته نفسه للكف عنه .
- سقوط الحكومة الانجليزية برياسة أسكويث ، وتكليف لويد جورج بتأليف الحكومة الجديدة .

٢٦٧٨
- زواج عاطف بركات من ابنة على هاشم أخت زوجته السابقة ، وغضب سعد زغلول .
- استهانة حسين رشدى باشا بالسلطان حسين .
- مغادرة مكماهون مصر .
- سعد يكتسب أن منزلته أعلى من منزلة الوزراء .
- الأوامر باستقبال السير ريجنالد ونجت بالردنجوت .
- حديث الصلح بين المتحاربين .
- نصائح سعد زغلول لمن يقرأ مذكراته من بعده .
- استقبال ونجت يوم ٢٧ ديسمبر ١٩١٦ ، ومظاهر استقباله .
- مقابلة سعد زغلول لونجت باشا فى دار الحماية .
- محاسبة سعد زغلول لنفسه على لعب الورق .
- شراء سعد زغلول عجلة بقر بسبعة جنيهات ونصف !
- حديث الناس عن ابراهيم فتحى باشا وزير الأوقاف وطعنهم فى ذمته .
- ونجت يزور بطريريك الأقباط ولا يزور شيخ الاسلام .
- زوجة سعد زغلول تهدده بالانفصال إذا لم يكف عن لعب الورق .
- زيارة ونجت للجمعية التشريعية ، وطلب سعد زغلول اليه توسيع اختصاصها .
- رأى سعد فى السير ونجت
- سفر سعد زغلول إلى عزبة مسجد وصيف يوم ٢٠ مايو ١٩١٧ لقضاء فصل الصيف .

○ الكراسة ٣١ جـ ٢ .... ١٨٧

محتويات الكراسة :

هذه الكراسة تسجل المذكرات التى كتبها سعد زغلول فى عزبة مسجد وصيف .
- سعد يلعن نفسه كلما تذكر لعبة الورق !
- سعد يتوقع أنه إذا انتهت الحرب بانتصار أحد الفريقين فلن يكون لمصر نصيب فى الاستقلال .
- تبرع السلطان حسين بسراى الاسماعيلية ، لتكون كنيسة كبرى ، واستياء المسلمين لهذا التبرع .
- سوء علاقات سعد زغلول بعديله محمود صدقى باشا ، وروايات سعد عنها .
- ديون سعد زغلول .

ـ صدور قرار السلطة العسكرية بتحديد عدد صفحات الصحف وأثمانها .
ـ زيارة اسماعيل أفندى محمد مأمور مركز زفتى لسعد زغلول فى عزبته .
ـ الحكم على فيليبيدوس بالسجن خمس سنين .
ـ الحكم فى قضية تعذيب البحيرة ، وأضطراب الأمن فيها .
ـ عودة سعد زغلول الى الاهتمام بدراسة اللغة الألمانية .
ـ حسين رشدى باشا يضع مشروع اتفاق بين مصر وبريطانيا حول المسألة المصرية على أساس الحماية ، وسعد زغلول يرفضه
ـ مناقشات سعد زغلول مع حسين رشدى باشا وعدلى باشا حول مشروع الاتفاق .
ـ اعتقاد سعد زغلول بأن مشروع حسين رشدى باشا الغرض منه عدم عودة مصر إلى حكم الأتراك بعد الحرب .
ـ سعد زغلول يفكر فى الزواج سرا .
ـ سعد زغلول يطلب من أحمد لطفى السيد اعداد مشروع اتفاق مع الانجليز .
ـ تعيين ابراهيم حليم مديرا للبحيرة مكان محمد محمود باشا .
ـ المشروع الذى وضعه أحمد لطفى السيد للاتفاق مع انجلترا ، بديلا لمشروع حسين رشدى باشا .
ـ أمر قائد جيش الاحتلال بعدم التعامل فى بذرة أقطان سنة ١٩١٧ .
ـ مشروع أمين يحيى باشا للاتفاق مع انجلترا .
ـ سقوط سعد زغلول عن جواده .
ـ سعد زغلول يعنف نفسه عندما لاحظ أنها بدأت تحسد الغير !
ـ هموم سعد زغلول بسبب محصول القطن .
ـ مرض السلطان حسين واعداد حكومة رشدى مشروع الوراثة ، وعدلى باشا يخشى أن يسلك حسين رشدى مع الأمير أحمد فؤاد مسلكه مع السلطان من العمل على ارضاء شهواته .
ـ سعد يطلع على مشروع أمين يحيى باشا ، ويعترض عليه .
ـ مقابلة مع الأمير أحمد فؤاد .
ـ رأى عدلى باشا فى الأمير أحمد فؤاد .
ـ مخابرة الانجليز مع الخديو المخلوع عباس حلمى على أن يتنازل باسمه وباسم أولاده عن دعوى الخديوية فى مقابل ٢٥ ألف جنيه فى السنة ، واعترافه بسلطنة السلطان حسين ، ورفضه ذلك .
ـ تصريح البرنس كمال الدين حسين لسعد زغلول برفضه السلطة بعد وفاة والده .

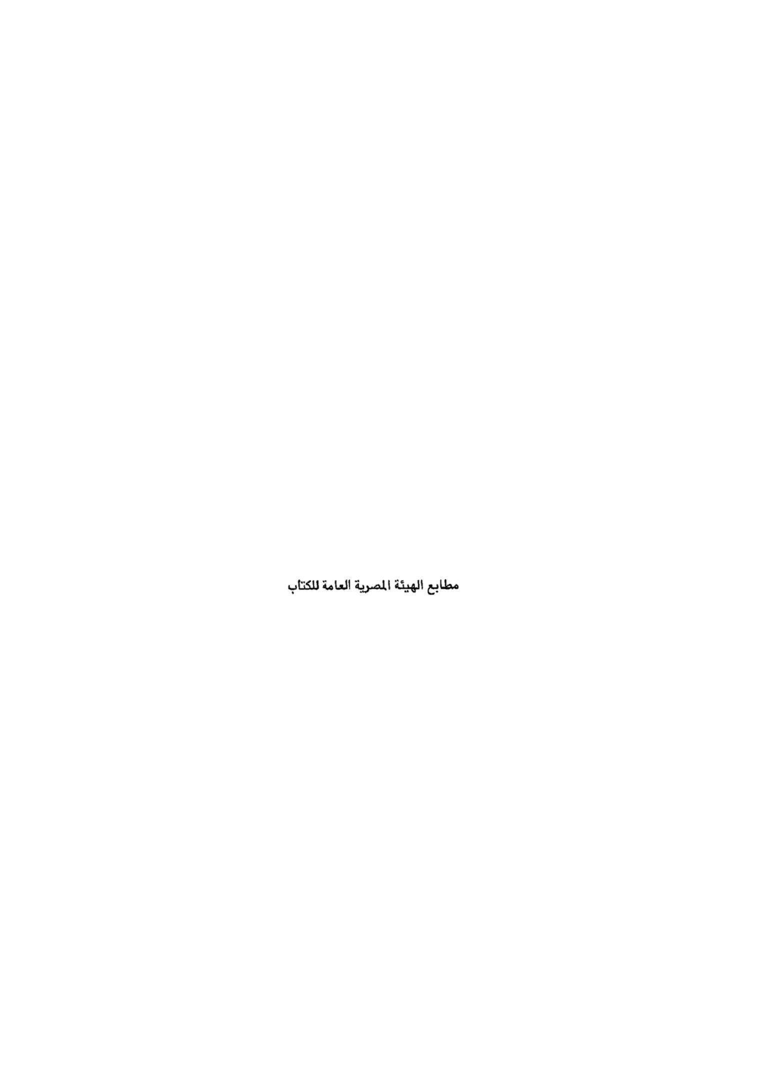
محتويات الكراسة :

ـ مرض السلطان واعلان الأمير أحمد فؤاد بأنه سيعين سلطانا خلفا له .
ـ مقابلة سعد زغلول للمندوب السامى السير ريجنالد ونجت ، وحديث عن الحرب ، ورفض ونجت مفاتحة سعد زغلول له فى حالة مصر السيئة بمناسبة الكلام عن نهاية الحرب .

محتويات الكراسة

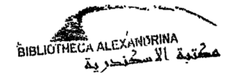
ـ وفاة السلطان حسين كامل وتشييع جنازته .
ـ تعيين أحمد فؤاد سلطانا بعد تنازل الأمير كمال الدين حسين عن حقه ، ومحاولة الحكومة البريطانية أن تسند هذا التعيين إلى اختيارها وليس حق الوراثة .
ـ السلطان أحمد فؤاد يقرر صلاة الجمعة فى مسجد القلعة ، والسلطة العسكرية تعترض على ذلك .
ـ سعد يزور الأمير كمال الدين حسين ويقول إنه خرج من لدنه أقل اعجابا به !
ـ الاشاعات بزواج السلطان فؤاد بكريمة عبد الرحيم صبرى باشا ، نازلى .
ـ سعد ينتقد على خطاب رشدى باشا إلى السلطان .
ـ السلطان فؤاد يريد تعيين أمين يحيى باشا كبيرا للأمناء مكان سعيد ذو الفقار باشا والانجليز يرفضون .
ـ مصلحة التموين تستولى على مقر الجمعية التشريعية بموافقة رئيس الجمعية ، احتجاج سعد على ذلك .
ـ تباهى أمين يحيى باشا بعلاقته بالسلطان فؤاد ، واستياء سعد لذلك
ـ سعد زغلول يرفض حضور صلاة الجمعة فى مسجد القلعة مع السلطان فؤاد ، ويعد ما يفعله السلطان رياء ومتاجرة بالعبادات .
ـ سعد يقول يفكر فى البحث عن وظيفة مستشار فى الأوقاف بعد خسائره فى لعب الورق وبيع الأطيان ، ويعدل عن ذلك لمخالفتها للعهد الذى قطعه على نفسه عند انتخابه نائبا .
ـ صدور مرسوم سلطانى بمعافاة من يتطوع في الجيش الانجليزى لمدة سنة من الخدمة العسكرية المصرية ، وسوء وقعه فى نفوس المصريين ، وتشاؤمهم من حكم السلطان أحمد فؤاد .
ـ شكوى سعد من أقربائه .

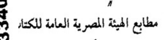
- سعد زغلول يطعن على علم التاريخ فى حديث مع عزيز خانكى
- السلطان فؤاد يريد إخراج سعيد زغلول من وظيفة تشريفاتى فى السراى .
- حسين رشدى باشا يلمح لسعد زغلول بترشيحه لتولى وزارة الزراعة ، وسعد لا يعلق أهمية لأن حسين رشدى لا يقوى على تنفيذه !
- حسين رشدى يقدم للسلطان فؤاد كشفا بأسماء المرشحين للوزارة ، وفى مقدمتهم سعد زغلول واسماعيل صدقى .
- ذيوع خبر ترشيح سعد زغلول للوزارة .
- دعوة السلطان فؤاد سعد زغلول للغداء ، وحديث طويل معه
- انتخاب عدلى باشا رئيسا للنادى خلفا للأمير أحمد فؤاد .
- نفور سعد زغلول من فكرة تعيينه وزيرا .
- قصة إبراهيم فتحى باشا وزير الأوقاف .
- السلطان يطلب من سعد زغلول بواسطة أمين يحيى حضور صلاة الجمعة فى معيته فى جامع السيدة زينب .
- طعن أمين يحيى على الوزراء وتحامله على حسين رشدى باشا .
- استهجان سعد زغلول فكرة دعوة الجمعية التشريعية لتخلف يمين الطاعة والاخلاص للسلطان .
- اعتراض حرم سعد زغلول على ترشيحه للوزارة .
- سعد زغلول يصف تدهور مركز الوزارة فى عهد الحماية .
- اعتراض سعد على أمر السلطة العسكرية بمنع تصدير القطن إلا بترخيص من لجنة لهذا الغرض .
- سعد يحضر تمثيل رواية كارمن بواسطة فرقة منيرة المهدية ، وينتقد جمهور المشاهدين .
- قضية فصل مجلس الجامعة المصرية عبد العزيز فهمى .


مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٨٠٩٣

ISBN 977-01-3468-6





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١١٠٠ قــرش